يوسف السباعي

لست وحدك



يوسف السباعي

لست وحدك

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

كتاب عربي
(شراء)
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

رقم التسجيل ٦١٥٩٧

يطلب من :

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

سعيد جوده السحار وشركاه

الإهـــداء

إلى الحفيد « عبد الوهاب » :

أول من قذف بى من جيل الآباء إلى جيل الأجداد . لعـل جيله يحـقق للبشرية من آمـال الحرية والعدالة وأمـانى الرخـاء والسلام .. ما لم تستطع أجيالنا أن تحققه .

يوسف السباعى

مقـــدمة

هذه أرضك الكبرى ودنيـاك الحافلة ..
كرة ضئيلة فى بحر الكون المتلاطم ..
ومضة من ملايين الومضات فى السماء
الفسيـحة .. لست فى الكون وحدك
إنما الله أحد .. الله الصمد ..

يوسف السباعى

١ ـ خفيف .. بلا جسد

هذه هى الأرض ياعبد الراضى .

مجرد كرة صغيرة .. معلقة فى الجو .. بلا ثور يحملها على قرنيه .

ماذا يبقيها فى مكانها .. وماذا يبقى الناس فوقها ؟

كنت هناك بالأمس ياعبد الراضى .. تسعى فوقها .. مع ملايين البشر تبدون بمشاكلكم ورغباتكم وأطماعكم والغرور يملأ نفوسكم وكأنكم كل شىء فى هذا الكون .

ومع ذلك تبدو الأرض لك .. بكل ماعليها من بشر .. من أمثالك .. ومن غير أمثالك .. ومن كل أنواع الناس .. والمخلوقات .. والطيور .. والحيوانات .. والأسماك .. والزواحف .. والحشرات .

تبدو الأرض بكل ما فيها من صمت وضجيج وسكون حركة .. وآمال وآلام .. ودور وقبور .. وأراض وبحور .... كأنها مجرد بطيخة .. فضية .. لامعة .. معلقة فى سقف شادر مع غيرها من البطيخ والأعلام والكلوبات فى أحد أفراح البغالة أو سيدى الطيبى .

هذه هى الأرض يا عبد الراضى ..

الأرض الكبيرة .. الكبيرة ..

والإنسان يملأ رحابها .. يمشى عليها مرحا كأنه فى الكون وحده . كم يبدو ضئيلا .. بكرته اللامعة .. فى بحر الكون المتلاطم .. فى السماء الفسيحة التى تتلألأ فيها ملايين النجوم .. والكواكب .. ومن بينها .. أرض الإنسان .. ومضة من ملايين الومضات التى تومض فى فسحة الكون .. ليس الإنسان بأرضه وجبروته وحده فى الكون ، إنه جزء من ملايين

الكائنات التي تملأ رحاب الفضاء .. إنما الأحد .. هو الله الصمد .

هذه أرضك ياعبد الراضي .. كرة رمادية .. تحيطها الزرقة ويلفها السواد .

اختفت منها كل معالم حياتك ..

شارع القصر العيني .. ودار الزمان التي قضيت فيها نصف عمرك .. تنتقل بين المحررين في الدور العلوي والمطابع في السفلي .. تحمل الأصول والبروفات .. والقهوة والشاي والكازوزة والسجائر .. على الدرج الحجري .. حتى تآكلت تحت قدميك درجاته .

اختفى شارع القصر العيني بدار الزمان .. واختفى سيدي الطيبي بدار عبد الراضي .. التي لم فيها أم عبده بأولادها واختفى الحي كله بدكاكينه وبيوته وأوتوبيساته المثقلة بركابها واختفت المدينة واختفت مصر .. أم الدنيا .. بحالها .

اختفى كل شيء ..

لم يبق من دنياك .. سوى هذا الشيء الكروي الذي يلمع من بعيد والذي قال لك الأستاذ .. إنه الأرض الى كنت تعيش عليها .

غير معقول !!

غير معقول أن تكون قد أمضيت عمرك كله .. على هذه الكرة .. دون أن تتزحلق وتهوى .. إلى هذا الفضاء العجيب المليء بالنجوم . ولكن من أين انطلقت إذن .. وفي أية بقعة في هذا الفراغ كنت تعيش ؟ .. وأين أمضيت عمرك ؟ .. وأين دار المجلة ؟ .. وأين دارك ؟ .. وأين شارع القصر العيني وفم الخليج ؟ .. وأين .. وأين . في مكان ما .. بين هذه الأشياء التي تبرق من بعيد .. لابد أن يكون مقرك .. بلدك .. حيك .. وبيتك .. ومشاكلك .

ومن مكان ما .. بين هذه الأشياء التي تتناثر في الفضاء الفسيح .. لابد أن تكون انطلقت .

ومع ذلك .. لماذا تشغل نفسك بهذا كله ..

من مكان ما فى هذا الفراغ أتيت ..

وإلى هذا المكان .. ستعود ..

الذى أتى بك سيعيدك ..

المشكلة .. ليست فى المكان الذى أتيت منه ..

إنما هى فى المكان الذى وصلت إليه ..

رحلة مهيبة .. هذه التى دفع بك إليها الأستاذ ..

ضحك عليك كعادته ..

قال لك .. فركة كعب ..

وهى فعلا .. فركة كعب ..

ولكنها تذفت بك من الأرض كلها ، بدلا .. من أن تقذف بك من القاهرة .. أو من مصر .

وكان عليك أن تطاوعه .. بعد أن تعقدت أمامك المشاكل وتعثرت الحياة ..

لم يكن هناك مايغريك بالبقاء على الأرض .. والمعارك على أشدها بين زوجاتك فى البيت وبين رفاقك فى المجلة ..

والبقاء على الأرض .. دون الأستاذ .. مشكلة .. فلقد بات سندك الوحيد على الأرض .

ولم يعد هو يشعر بالغنى عنك .. بعد أن بت تابعه الخاص .. تلازمه فى المجلة .. وفى البيت .

وفجأة علا صوت الأستاذ من القمرة المجاورة صائحا :

ـ ياعبد الراضى .. عبد الراضى .

ـ أفندم ياأستاذ .

ـ فنجان شاى ياعبد الراضى .

ـ شاى إيه ياأستاذ .. هنا لا يوجد غير الأنابيب .

To: www.al-mostafa.com

ـ منذ أن تركنا الأرض وأنا أبتلع فى أنابيب .. وكأنى آكل صابون حلاقة .. أو معجون أسنان .. ألا تستطيع أن توضب لنا فنجان شاى على السبرتاية .. كما كنت تعمل فى المجلة .

ـ أى سبرتاية ياأستاذ .. لقد شحنونى فى الخرج كما شحنوك .. مجردا من كل شىء .. حتى من علبة الدخان .

ـ وما العمل الآن .. أريد أن أغير ريقى .

ـ غيره على لحسة من أى أنبوبة أمامك .

ـ إذن تعال ناولنى أى زفتة .

ـ كيف آتى وأنا مشدود من وسطى .. كميمون الجبل .

ـ فك الحزام .. ياغبى ..

أجل .. فك الحزام ياعبد الراضى .

فك الحزام وانهض .. وافعل شيئا .. بدلا من أن تظل ملقى على ظهرك .. كالسلحفاة المقلوبة .. فلا أظنك ستبقى.. مطيحة على ظهرك حتى آخرعمرك .

قم وأثبت وجودك ..

سيق الأرض .. ريش النوافذ ..

افعل أى شىء .. ما دمت لاتستطيع أن تقدم فنجان شاى .. أو تصنع فنجان قهوة .. أو تنتقل بـالبروفات بين المطبعة والتحرير .

ومد عبد الراضى يده ففك الحزام الذى يشده إلى الفراش .. وفجأة .. وجد نفسه يثب إلى أعلى ..

وإذا بجسده يعوم على الفراش ..

وحاول أن يطبق بكفيه على طرف الفراش ... وهو لايجد أسفله شيئا يسند جسده ..

وصاح فى فزع :

ـ أستاذ .. ياأستاذ .

ووصل إليه صوت الأستاذ فى الحجرة المقابلة يهتف به :

ـ ماذا بك ياعبد الراضى .. ماذا حدث ؟

ـ الحقنى ياأستاذ .. جثتى عامت على السرير .

ـ وفيها إيه ؟ .

ـ جثتى متلبشة .. جثتى ليست خالصة .

ـ لماذا ياغبى ؟

ـ قلت لك ياأستاذ لاشىء يسندنى .. أنا معلق فى الهواء .

ـ طبعا ..

ـ طبعا .. كيف ؟

ـ لأننا فى منطقة اللاجاذبية .

ـ الا إيه ؟

ـ اللا جاذبية .

ـ يعنى إيه ؟

ـ هذا شىء يطول شرحه ياعبد الراضى .. المهم .. تعال .

ـ كيف ؟

ـ امش .

ـ أمشى كيف ؟

ـ كما يمشى الناس ..

ـ ياأستاذ .. الناس يمشون على الأرض .. وأنا ليس تحت قدمى أرض .. كيف أمشى ؟ .

ـ فى الهواء .

ـ لم أتعلم المشى فى الهواء .. لم أعمل فى سيرك من قبل ..

ـ اعقل ياعبد الراضى وامش .. لابد أن تتعلم المشى فى الهواء .. قدم رجلا .. بعد رجل ..

ـ لاأستطيع .. إنى أعوم فى الهواء ياأستاذ ..

ـ إذن عم ..

ـ لقد غرقت مرة فى شبر ماء .. فى ترعة بلدنا .

ـ لن تغرق فى شىء ياعبد الراضى .. تحرك كما تشاء .. شوح بيديك .. وساقيك .. اترك نفسك تنساب فى الهواء .. كما تتحرك السمكة فى الماء .. والعصفور فى الهواء .

وتحرك عبد الراضى ..

ترك نفسه ينساب فى الهواء ..

سار بحذر فى أول الأمر.. كان يخشى أن يهوى فى أية لحظة . رفع قدما ليهبط بها محاولا الاستناد إلى الأرض .. ولكنها لم تهبط .. ظلت معلقة فى الهواء .. لم يفلح ثقله فى إنزالها إلى الأرض .. إما لأن شيئا صلبا فى الهواء يقاومها .. أو لأنه لم يكن له ثقل .

اضغط على قدمك ياعبد الراضى لتوصلها إلى الأرض .. فغير معقول أن تظل معلقا فى الهواء .. فمن يدريك .. أن يظل الهواء هكذا قادراعلى حملك كالريشة .. احذر جيدا .. ياعبد الراضى .. فأنت لم تتعود شغل البهلوانات .

تحرك ياعبد الراضى .. أجل .. هكذا قدم الرجل الأخرى .

تأبى قدمك أن تهبط الى الأرض ..

أنت خفيف يا عبد الراضى ..

خفيف كأنك تطير فى أحلامك .. أو فى غيبوبتك إياها .

وأنت تميل إلى الأمام فلايختل توازنك ولاتهوى على عنقك . بت سمكة ياعبد الراضى .. تعوم فى الهواء .. وأنت الذى كنت تغرق فى شبر ماء .

تحرك خارج القمرة .. وتمايل وتبختر .. وتأرجح كأنك فى مرجيحة الوزة ..

لذيذ هذا المشى ياعبد الراضى .. لذيذ هذا التطوح والتمرجح .

رفع الله عنك عبء جسدك ..الذى أنقض ظهرك .. وبت تسرى كالنسمة الخفيفة ..

عظمك ولحمك .. والشحم الذى يكسو كرشك .. باتت بلا وزن .. لم تعد مسئولا عن حملها فى كل خطوة تخطوها .

يأباى .. خمسون سنة ياعبد الراضى وأنت تحملها على قدميك .. بكل مافيها من أحشاء وكرشة وفشة وكلاوى .. تحملها معك فى كل مشوار ..

كم صعدت بها .. درج المجلة .. تحملها مع البروفات .. وتهبط بها مع الأصول ..

كنت تضيق أحيانا بالحمل .. فتحاول أن تتخلص منه إلى حين .. تقذف به فى قرف .. فوق مقعد .. أو تلقى به فى يأس على المرتبة .

لكن هذا الكوم من اللحم الغليظ والشحم المتراكم والعظم الثقيل لم يدر بخلدك مرة أن تتخلص منه نهائيا .. على طول ما أرهقك .. لأنه منك .. وعليك .. هو أنت ياعبد الراضى .

ولكنك الآن تسير بدونه .

حمله لم يعد من واجبك ..

شىء مايحمله عنك .. ويجعلك تتحرك بغيرتبعيته وبدون ثقله .

جميل .. جميل .. أن تسير بلاجسد .. بلا عرق يقطر من جلدك .. وأنفاس تتلاحق من شفتيك .

ونفذ من باب القمرة اليسرى إلى القمرة المواجهة .. حيث صيحات الأستاذ تتلاحق :

ـ ياعبد الراضى .. أنت فين ؟

ـ أنا هنا ياأستاذ ..

ووجد الأستاذ يقف فى مواجهته ..

ليس فى مواجهته بالضبط .. بل كانت قدماه فى مواجهته .. ورأسه

فى مواجهة قدميه ..

واحتار عبد الراضى ماذا يفعل وهويجد الأستاذ يقف على رأسه .. وانتظر لحظة لعله يعتدل .. وتنحنح . وقبل أن ينطق صاح به الأستاذ فى غيظ :

ـ أستظل هكذا متشقلبا ؟.

ـ أنا ؟ .

ـ أمال أنا ؟

ماذا يقول له .. وهو يقف على رأسه ويتهمه بالشقلبة ويطلب منه أن يعتدل .. هل يتشقلب مثله ؟ وهل يواصلان حديثهما وعملهما فى هذا الوضع المقلوب ؟

ولكن أيهما المقلوب .. وأين السقف وأين الأرض .. بعد كل هذه المرجحة والمطوحة والعوم فى الهواء .. وبعد أن خلص من هذا الشىء الذى يلصق جسمه بالأرض .. وتساوت الأرض مع الحائط مع السقف .. فى مسألة .. الانعدال والانقلاب .

أنت ياعبد الراضى تستطيع أن تكون معدولا .. فى أى وضع تشاء .. بعد أن فقدت ارتباطك بالأرض .

فانقلب لتواجه الأستاذ .. وليكن هو مقياس الانعدال بالنسبة لك .

ووقف عبد الراضى أمام الأستاذ عبد اللطيف .

ونظر الأستاذ إليه متسائلا فى غيظ :

ـ لم تستطع أن تحضر معك عدة الشاى ياخائب .

ـ كيف أحضرها .. بعد أن أدخلونا فى حجرة التجهيز وجردونا من كل شىء وأدخلونا فى هذا الجراب .. كيف أستطيع أن أحضر أى شىء معى ؟

ـ كما أحضرت أنا زجاجة الويسكى .

وانحنى الأستاذ ومد يده أسفل الفراش فأخرج زجاجة ويسكى وقذفها إلى عبد الراضى .

ومد عبد الراضى يده فى سرعة محاولا تلقفها قبل أن تسقط .. وضربه الأستاذ على يده وهو يقول ضاحكا :

ـ ماذا تفعل ياغبى ؟

وعاد عبد الراضى يحاول الإمساك بالزجاجة والأستاذ يجذب يده والزجاجة معلقة فى الهواء .. وقال عبد الراضى فى خوف :

ـ أمسكها قبل أن تسقط . ويضيع الويسكى .

ـ ياجدل .. لا شيء هنا يسقط .. ولاشيء يضيع .

ومد الأستاذ يده فدفع زجاجة الويسكى فتحركت قليلا ولكنها لم تسقط .. وظلت معلقة فى الهواء .

وأمسك بالزجاجة ثم رفع السدادة وأمالها قليلا وعبد الراضى يصيح

ـ ماذا تفعل ياأستاذ ؟

ـ اسكت أنت .

وهبطت بضع قطرات ظلت معلقة فى فوهة الزجاجة كأنها حبات الكهرمان .. ومد الأستاذ شفتيه فالتقط الحبات وقال باستطعام :

ـ لذيذة .. تأخذ رشفة ؟

ـ لا .. ليس لى فيه .

ـ لماذا ؟

ـ حرام .

ـ والأشياء التى تبلعها ؟

ـ لم يرد بخصوصها نص .

وعاد الأستاذ يميل الزجاجة ويلتقط من فوهتها الحبات الصفراء .. وهو يقول :

ـ شيء على ما قسم .. نغير به الريق بدل الشاى .

ومر الأستاذ بلسانه على شفتيه يمسح به ماعلق بهما من قطرات السائل الأصفر .. وعاد يقول :

ـ والآن ماذا سنفطر ؟

وهز عبد الراضي رأسه قائلا فى تمن :

ـ لو ساندوتش فول من على ناصية الشارع ..

ـ لاتذكرنى ياعبد الراضى .. ليس أمامنا غيرأنابيب المعجون ..

ولكن لماذا لا نرى الجماعة .. فقد يكون أحدهم أخفى شيئا كالزجاجة التى أخفيها فى الجراب .. دعنا نحاول المقايضة .. كأس الويسكى بواحد فول ..

وسرى الأستاذ من باب القمرة ووراءه عبد الراضى .. وقال الأستاذ :

ـ لم يعد يعرف الإنسان رأسه من رجليه .. أين السقف وأين الأرض يا عبد الراضى .. هل نسير عدل .. أم نحن فى حالة شقلبة ؟

ـ سنعرف عندما نرى أول شخص نصادفه .

ولم يكد عبد الراضى ينتهى من قوله حتى أبصر بالسيدة شهيرة تقترب منهما .. وقال الأستاذ وهو يراها فى وضع مائل على وضعهما :

ـ عجيبة .. لا هى مقلوبة ولا معدولة .. إنها تسير بالورب .

وقال عبد الراضى فى ثقة الخبير:

ـ تسير على الحيط !! فى الأرض .. عندما كنا ندخل قافية .. كان أحدنا يقول للآخر .. أمك .. إشمعنى .. تمشى على الحيط .

وهنا .. لم يعد الأمر نكتة .. إن الأستاذة تمشى فعلا على الحيط .

وقالت شهيرة معجبية :

ـ صباح الخير يا أستاذ عبد اللطيف .. صباح الخير يا عبد الراضى .. كانت رحلة عجيبة .. كانت فظيعة فى أولها .. كنت أشعر أن المقعد سيتحطم من أسفلى من فرط الضغط عليه .. وكنت أشعر بقوة هائلة تجذبنى إلى المقعد .

وهمس عبد الراضى متمتما :

ـ لم أشعر بشىء .. بعد البلبوعة التى تناولتها .. إنها الشىء الوحيد

الذى استطعت إخفاءه .

وعادت شهيرة تقول :

ـ ولكن الثقل أخذ يخف .. وبدأت أرى الأرض بأنهارها وجبالها وبحورها وقاراتها الخمس .. وبالسحب وظلالها الخفيفة تنعكس عليها .. وجدت البحار قاتمة تلمع فيها نقط بيضاء ..

ولم يبد على أحدهما الاهتمام كثيرا بالبحار التى تلمع فيها النقط البيضاء .

فإن ما يشغل الأستاذ هو شيء يفطر به غير هذا المعجون .

واعتدلت شهيرة لتواجههما قائلة وهى تضحك :

ـ أول مرة أمشى على الحائط .

ثم أردفت وهى تحاول جرهما إلى قمرتها قائلة :

ـ هل رأيتما منظر السماء والنجوم والأرض ؟ .. سأسجل سبقا صحفيا رائعا .. بكل هذا الذى أراه .. هل تريان كيف تلمع النجوم ؟! وكيف تبدو الأرض كلؤلؤة تحاط بهالة زرقاء خفيفة تتدرج إلى اللون التركوازى ثم الأزرق الداكن ثم البنفسجى ثم يلفها بعد ذلك السواد الفاحم .. هل رأيتما مجموعة ألوان أجمل من هذه ؟ .. أى رسام يمكن أن يبدع مثل هذا المنظر الرائع ..

وكان عبد الراضى يعرف المنظر جيدا .. منظر البطيخة المنضضة المعلقة فى سقف الشادر .. وكان كل مايشغله .. هو كيف تقف الكرة فى مكانها ؟ .. وكيف تلم كل ماعليها من ملايين المخلوقات .. دون أن تتزحلق من على سطحها ؟ .. وكان كل مايريد معرفته .. هو أين القصر العينى .. وأين فم الخليج ؟ ..

وتظاهر عبد اللطيف بمشاركة شهيرة الإعجاب بالمنظر وهو يقول :

ـ رائع .. عجيب .

وردت شهيرة وهى تشهق فى إعجاب :

ـ سيوحى إليك هذا كله .. بقصة لم تكتب مثلها .. وسيلهمك بقصائد

رائعة .. منظر السماء .. والنجوم والأرض .. بما يحيط بها من ألوان عجيبة .

وقال عبد اللطيف مرددا دون أن يعرف ماذا يمكن أن يكتب عن هذا .. أكثر مما قالته :

ـ طبعا .. طبعا .. وإلا لما كانت للرحلة فائدة ولذهب كل هذا المجهود سدى ..

والتفت إليها قائلا ببساطة :

ـ هل لديك شيء يؤكل ؟ ..

وتساءلت في دهشة :

ـ هل أكلت كل ماعندك ؟

ـ أقصد شيئا يؤكل .. مما نأكل على الأرض .. شيئا .. لايذكرنا .. بالكولينوس .. والبالموليف ..

ـ ماذا تقصد ؟..

ورد عبد الراضي ببساطة :

ـ الأستاذ يريد .. ساندويتش فول .

وبدت على شهيرة الدهشة .. وهتفت قائلة :

ـ عبد اللطيف .. أتريد ساندويتش فول .. هنا في الفضاء ؟ !!

ورد عبد اللطيف :

ـ ليس بالضبط .. أريد أي شيء يؤكل .. فول .. جبنة .. طعمية .. بسطرمة .. أي شيء غير هذه الأنابيب السخيفة .

ـ تاخد أقراص ؟.

ـ أقراص إيه ياشهيرة .. أريد شيئا يغمس .. إن شالله بامية .

ـ تريد بامية في مركب فضاء يا أستاذ عبد اللطيف .. لو سمعك قائد المركب .. لظنك جننت ..

وقال عبد اللطيف في يأس :

ـ خلاصة القول إنك لم تهربى شيئا معك ؟

ـ أهرب شيئا .. أهرب أكل ؟ .. طبعا لا .

ونظر عبد اللطيف إلى الأحمر فى شفتيها .. وإلى الكحل فى جفنيها ورد مؤكدا :

ـ طبعا .. لم تهربى أكل .. هربت أشياء أهم من ذلك .. رغم أن عينيك وشفتيك فى غير حاجة إلى ماهربته من أجلها .. إنها ما زالت أحلى .. ما فى الكون ..

وردت شهيرة باسمة :

ـ كنت أظنك ستجد إلهاما جديدا .

ـ مازلت عند رأى الكاتب « الإنسان قبلة الإنسان ومالذ الآدمى كالآدمى » .

ـ حتى فى الفضاء ؟

ـ لايمنح الكائنات التى حولنا قيمة .. إلا إنسان نحبه .. فى أى مكان حتى فى الفضاء .

ـ مازلت تتحدث كإنسان على الأرض .

ـ وهل غير البعد عنها تركيبنا ؟

ـ لا أظن ..

ثم أردفت ضاحكة :

ـ وإلا لما أصررت على ساندويتش الفول ..

ـ إذن دعينا نذهب إلى أبيك لعل عنده شيئا مفيدا .

وهز عبد الراضى رأسه فى يأس :

ـ نجد عند الدكتور عبد الخبير .. ساندويتش فول .. أهذا معقول ؟

ـ عالم كبير ومخترع خطير مثله .. لايستطيع أن يطعمنا شيئا غير هذه الأنابيب ؟

وأجابت شهيرة :

ـ سيطعمك أقراصا .

ـ ياساتر ..

وعاد عبد اللطيف يقول :

ـ قد نجد عند الباشمهندس عبد القادر شيئا ..

وردت شهيرة :

ـ لو عند الباشمهندس .. ساندوتش فول .. فلماذا يعطيه لك .. إنه إما يعطيه للقائد .. أو يأكله ..

وقال عبد اللطيف :

ـ إذن نسأل القائد ..

وردت شهيرة :

ـ القائد رجل جد .. ولايحب الغلط .. إنه يحب الضبط والربط .. أكل من الأنابيب يعنى أكل من الأنابيب .

ـ وإلى متى سنظل نأكل .. هذا المعجون ؟

ـ حتى نهبط إلى الكوكب الآخر ..

وتساءل عبد الراضى :

ـ وفى هذا الكوكب .. هل سنجد عيش وغموس .. هل سنجد للأستاذ ساندوتش ؟

ـ من يدرى ياعبد الراضى .. قد نجد كل مانريد وقد لانجد شيئا أبدا.

٢ ـ الزوجة السادسة

استقرت مركبة الفضاء بمن فيها في مدارها داخل منطقة اللاجاذبية استعدادا للنزول إلى الكوكب الآخر .

وعاد عبد اللطيف يسرى مع عبد الراضى فى ممر المركبة بعد لقاء مع الدكتور عبد الخبير العالم الألكترونى والمهندس عبد القادر مهندس السفينة والكابتن عبد المهيمن قائد السفينة .

وقال عبد اللطيف وهويتجه إلى قمرته :

ـ تذكرنى المركبة بديزل أسوان ..

ـ لم أجرب غير قطار الصعيد .. نمت به مرة على رف البضائع وأنا طفل .. ومرة تكومت تحت أحد المقاعد ... هنا نعمة .. المهم ربنا يستر حتي نعود إلى الأرض سالمين .

ودخل عبد الراضى إلى قمرته .. واستقر على فراشه .. طافيا فوقه .. ناظرا بعينيه إلى ما وراء النافذة ..

إلى الكرة المستديرة الرمادية المحاطة بألوان الطيف .

أو إلى بطيخة الفرح .. الفضية المعلقة فى سقف الشادر .

كان هناك بالأمس . كبقية خلق الله المحشورين على سطحها .. فى دورها وأسواقها .. وأوتوبيساتها .

وضاقت به .. أو ضاق بها ..

وسأله الأستاذ ذات ليلة وهويجلس فى حجرة مكتبه بالمجلة بعد أن دفع المقعد بجسده الممتلىء إلى الخلف ومد ساقيه فى استرخاء وتناول رشفة طويلة من فنجان الشاى الذى أحضره إليه .

ـ هل تأتي معي ياعبد الراضي ؟

ـ إلى أين ؟

ـ بعيدا عن هذه الأرض .

وهز عبد الراضي رأسه وابتسم .

كان الأستاذ دائما يتحدث عن السماء .. والموت .. والجنة .. والجحيم . ويخبره مازحا .. أنه لايستطيع أن يترك الأرض بدونه .. وأن عليه أن يدبر أمر اللحاق به عندما يموت .. وأنه سيحجز له مكانا فى الجحيم .. ثم يتوسط له للذهاب إلى الجنة بعد أن يقضى مدته فى الجحيم..

وكان عبد الراضى يحب الأستاذ .. يحب فيه صفاءه ونقاءه .. وطيبته ومرحه ..

وكان يشعر أنه الوحيد الذى يستطيع أن يلجأ إليه .. ليشكو همه .. ويطلب عونه عندما تتأزم به الحياة .. وهى كثيرا ما تتأزم .

كان شيئا آخر غير بقية المحررين والموظفين الذين تمتلىء بهم الدار ..لم يكن يجد حوائل من الكلفة يمكن أن تحول بينهما .. كان يستطيع أن يترك نفسه معه تنساب على سجيتها .. دون حرج أو تهيب .. كان بينهما ما بين الأب والابن .. ولم يكن يستطيع أن يحدد بالضبط من منهما الأب ومن الابن ..

كان يقف منه موقف الأب عندما يراه مرهقا بالسهر أو بالعمل أو بالشراب فيقول له آمرا :

ـ قم يا أستاذ .

ـ إلى أين ؟

ـ إلى البيت .. وكفاك سهرا .

ـ ولكنى على موعد مع ..

ـ لن تلقى أحدا بعد الآن .. سنذهب لتنام .. وسأذهب معك حتى أبيت عليك .. وأغلق عليك باب الشقة .

ـ اذهب أنت ونم إن كنت قد تعبت .. أوكنت قد اشتقت إلى زهرة ..

ـ لم أتعب ولم أشتق إلى أحد .. لقد أصبحن كلهن كالهم على القلب .. ولكنى أريدك أن تستريح .

وعندما كان يطرق باب الأستاذ سائل .. يخرج المحفظة ليعطيه ما بها.. كان يدخل ليقول ناهرا :

ـ هل تجد النقود فى الطريق ؟

ـ لماذا ؟

ـ هذا الذى أعطيته .. نصاب ابن نصاب .. قال لك إن أمه مريضة بالمستشفى .. وأنا أعرف أنه أخذ إعانة من الإدارة فى العام الماضى لدفنها.

ـ لابد أن تكون المشكلة التى لديه أخطر عنده من أمه مادام يستعين على حلها مرة بموتها ومرة بمرضها ... كل إنسان وله مشكلة ياعبد الراضى ..

وكان عبد الراضى يقف منه موقف الابن المذنب عندما تمسك المشكلات بخناقه .. فتأتى أم عبده لتشكوه لأنه ضربها علقة ساخنة .. فيناديه الأستاذ لتقريعه وتأنيبه ..

وكان يقف أمامه كالطفل عندما يطلب منه جلبابا على العيد .. أويعتذر عن نومه للظهر عقب سهرة فى حلقة ذكر أو مولد أو فى غرزة .

وتوثقت أواصر الصلة بين الاثنين على فرط التباين والتناقض بينهما حتى لم يعد لأحدهما غنى عن الآخر . وبات الأستاذ يشعر بأن شيئا ينقصه فى غياب عبد الراضى ... وأصبح عبد الراضى لا يكاد يتصور كيف يكون العمل فى المجلة بغير وجود الأستاذ عبد اللطيف .

وفى تلك الليلة عندما سأله أن يأتى معه بعيدا عن الأرض لم يشك فى أنه يمزح فأجابه كعادته :

ـ أذهب معك .. حتى إلى الجحيم .. فالحياة بدونك لاتسوى بصلة .

ونظر إليه الأستاذ قائلا :

ـ لن تذهب إلى جهنم ياعبد الراضى ..

ـ بعد كل ما فعلناه !!

وضحك الأستاذ قائلا :

ـ لم يحن الوقت بعد .. مازالت فى العمر بقية .

ـ إلى أين سنذهب إذن ؟

ـ إلى السماء .

ـ تعنى إلى الجنة ؟

ـ أعنى ما أقول ياعبد الراضى .. إلى السماء فقط . لاجنة ولاجهنم .

وأحس عبد الراضى أن الأستاذ ليس لديه عمل وأنه يريد أن يضيع وقتا فى الدردشة .. ولم يكن لديه القابلية لكلام ولكن كره أن يصده فقال يسايره :

ـ تعنى أننا سنمكث .. تحت الحساب ؟

ـ أى حساب ياغبى ؟

ـ مادمنا سنصعد إلى السماء دون أن نذهب إلى جهنم أو الجنة فلابد أن تكون وقفتنا فى انتظار الحساب .

ـ لن نصعد إلى السماء أمواتا .. بل أحياء .

وهز عبد الراضى رأسه موافقا وأجاب فى اقتضاب لكى ينهى الحديث:

ـ حاضر .. سآتى معك إلى السماء وقتما تشاء .. عن إذنك الآن .. لأن أم عبده تماركت مع زهرة .. وهى مصرة على أن تذهب إلى البوليس .

وهم بالانصراف ولكن الأستاذ هتف به فى غيظ :

ـ يا غبى أحدثك عن الصعود إلى السماء فتحدثنى عن أم عبده وزهرة .

ـ السماء تنتظر فى أى وقت يا أستاذ .. ولكن أم عبده ستخرب بيتى إذا لم ألحق بها وألمها..

ـ السماء لن تنتظر .. لقد حدد موعد الرحلة . هل تريد أن تأتى معى

أم لا ؟

وأجاب عبد الراضى لينهى الحديث :

ـ أجل .. أجل .. سأذهب معك فى أى داهية ... فقط دعنى الآن ألحق بالولية ..

لم تكن حياة عبد الراضى بالحياة السهلة ..

وهو يعرف أن الحياة بالنسبة لأى إنسان فى هذا الزمن لم تعد بالأمر البسيط الهين .. ولكنه مع يقينه من هذا يأبى إلا أن يزيدها تعقيدا بتصرفاته الحمقاء التى لا يدرك حماقتها إلا بعد أن تغرقه فى المشاكل حتى أذنيه ..

بدأ عبد الراضى العمل فى المجلة منذ سنوات عديدة .

حضر إليها أول مرة عندما كان يعمل عتالا فى مخزن الورق ممتطيا صهوة إحدى بوبينات الورق المحملة على عربة كارو خرجت تحمل الورق من المخزن فى شارع فاروق .. متجهة إلى العتبة فشارع عبد العزيز مخترقة عابدين إلى الدواوين إلى القصر العينى .. ووقفت به أمام البناء العتيق الذى تشغله المجلة والذى علقت على بابه لافتة عريضة كتب عليها اسم المجلة « الزمان » .

وتعود بعد ذلك أن يحضر إلى المجلة كل أسبوع ليحمل الورق من العربة إلى البدروم ، حيث مخزن الورق والمطابع . ويتناول فنجان شاى مع عم جودة حارس الدار وفراشها الوحيد ..

وذات يوم حضر فلم يجد جودة ..

وعلم من الحاج عبد العزيز ريس المطبعة أن جودة مات ودفن منذ بضعة أيام .. وإنهم فى حاجة إلى من يحل محله .

ولم يطل التفكير بعبد الراضى ..

هذه فرصة العمر .. أتاحها القدر له لكى يخلص من مشقة الحمل الذى يكاد يقصم ظهره .

إن عمل جودة ليس بالعمل المرهق .. وإن السن تتقدم به .. وذراعيه لم تعودا تقويان على رفع الأحمال التى تعود حملها بسهولة فيما مضى .. وساقيه أصبحتا ترتجفان أسفل الحمل كلما خطا بهما خطوة أو صعد بهما درجة .

قد تكون السن لم تتقدم به إلى حد الاعتزال .. فما زال رفاقه من العتالين .. والحمالين .. يؤدون مهمتهم فى يسر .. ولكنه هو قد انهك بدنه .. استغله كثيرا فى أشياء غير واجبات المهنة .. أشياء أكثر متعة .. من ثقل البضائع ..

النساء قد استنفدن قدرا من قواه .. وسببن له قدرا من المشاكل .. ولكنه لايستطيع الاستغناء عنهن .

تزوج حتى الآن خمسا .. خلص نهائيا من ثلاث . وانتهى من كل مشاكلهن .. مات من مات من الأولاد وكبر من كبر .. فاشتغل الأولاد وتزوج البنات . وخرج الجميع من حسابه .. ولم تعد تربطه بهم إلارابطة الذكرى .. أوالصدفة .

أما الرابعة ـ زنوبة ـ فهى تأبى أن تخلصه .. وهى تشده بأولادها .. إلى المحكمة من يوم إلى آخر.. وتهدده فى كل وقت ..

والخامسة تعيش معه بأولادها الثلاثة فى سيدى الطيبى قرب فم الخليج ..

مشكلته معها الآن قد باتت تنحصر .. فى إصرارها على تعليم أولادها الثلاثة لكى يصبحوا أفندية وموظفين .. بينما هويصر على إلحاقهم بمهنة من المهن .. ترزى أو نجار أو مكوجى لكى يتعلموا شيئا يرتزقون منه ولكى يساعدوه على تكاليف الحياة .

ولقد اضطر أن يخضع لها حتى يخلص من إلحاحها .. وذهب الولدان الصغيران حسن وسيد إلى المدرسة .. ورفض عبده الأكبر الذهاب إلى المدرسة وأصر على أن يعمل صبى نجار عند الأسطى زينهم .

وأم عبده تظنه يجلس على كنز .. فهي لاتفتأ تخرج له كل يوم بطلب جديد من أجل المدرسة ..يوم ثمن مرايل .. ويوم ثمن صنادل .. ويوم كراريس .

وزنوبة تهدده بين يوم وآخر بحكم النفقة .. لها ولأولادها .. وهو لا يعرف إلى متى سيظل مشدوداً من عنقه إلى هذا القطيع ..

لقد كان كل مايريده منهن .. ليالي ممتعة .. يستمتع فيها .. بأجسادهن الطرية الممتلئة .. ولكنه لم يكن يدرك ..أنها ستنقلب عليه بمثل هذا الهم والغم .

وهولايتعظ بعد كل ماخاض من تجارب الزواج ..

ولكن ماذا يفعل .. ولا سبيل إليهن إلا بالزواج ؟ !!

على أية حال .. توبة ..

المهم الآن أن يستقر فى هذا العمل المريح .. الذى يلوح له به القدر..

لقد مات جودة !! رحمه الله رحمتين .. رحمة على فناجين الشاى التى كان يقدمها إليه .. ورحمة على العمل المريح الذى يورثه إياه .

المهم هو ألايترك الفرصة السانحة تفلت .

وقذف عبد الراضى بالبوبينة من فوق ظهره إلى الأرض ونظر إلى الحاج عبد العزيز وهو يرتدى البدلة الزرقاء الملونة بأحبار المطبعة وقال متسائلا :

ـ هل أستطيع أن أعمل عندكم بدل جودة الله يرحمه ؟

ونظر إليه الحاج عبد العزيز نظرة فاحصة ثم هز رأسه موافقا :

ـ ولم لا ؟ .. أنت رجل طيب .. ولست أظن فى العمل شيئا يستعصى عليك ..

ـ ربنا يكرمك ياحاج ...

ـ كل ماهو مطلوب منك هو أن تقضى حاجات المحررين والموظفين .. وتحرس الدار ..

ـ سأضعها فى عينى .

ـ وأن ترتدى ثوبا غير هذا الثوب الممزق .

ـ عندى جلباب يعجبك أرتديه فى الخروج .

ـ انتهينا .. تعال غدا وسأخبر مرزوق أفندى المدير . .

وفى اليوم الثانى بدأ عبد الراضى عمله فى الدار..

بدأه بشىء من الرهبة ..

خشى فى أول الأمرأن تكون هناك أشياء تحتاج إلى خبرة لايملكها .. وكل خبرته السابقة لاتتعدى حمل الأشياء ونقلها إلى مكان آخر ..

ولكن بمرور الأيام .. ألف الدار .. واعتاد العمل .. ولم يكن فيه شىء يحتاج إلى خبرة جديدة ..

مجرد انتقال بين الحجرات وبين الأدوار.. وتقديم فناجين القهوة والشاى .. ونقل أوراق من هنا إلى هناك .. وشراء سجائر من بائع السجائر .. أو إحضار ساندوتشات الفول والطعمية .. من دكان الحاج زكى على الناصية .

وعرف عبد الراضى بقية الشخصيات التى تدور فى محيط عمله .. عرف قيمتها وأهميتها .. وطبيعتها ..

كان أهمها طبعا فتوح بك صاحب المجلة والمقرر لمصائر كل العاملين بها .. وكلمته فى النهاية هى الأخيرة .. هو الذى يعين وهوالذى يفصل . وهو الذى يرقى ويكافىء ويجازى .

ولم تكن علاقة عبد الراضى تتعدى تقديم القهوة أوالشاى أوحمل الأوراق من مكتب سكرتيرته أو إلى مكتب سكرتيرته .

ولقد أحس منه برهبة فى أول الأمر.. باعتبار أنه البيه الكبير .. أو صاحب الدار ..

ولكن الأيام أضاعت الرهبة الموهومة .. فقد كان الرجل خلال العلاقة الضئيلة القائمة بينهما .. رقيقا كريما .. هاشا متواضعا ..

يشكره إذا قدم له القهوة .. ويمنحه قرشا بين آونة وأخرى .. وفى الأعياد لاينسى العيدية .. وبين آونة وأخرى يسأله عن أولاده .. بصفة عامة .. أشاع الطمأنينة فى نفسه .. ولم يحس له ماتوهمه من خطورة ..

وماتوقع من عجرفة ..

الرجل الذى بدا أشد خطورة وأكثرعجرفة هوالأستاذ مرزوق المدير .. فلقد كان فعلا يمسك بيده بالإضافة إلى المنشة البيضاء التى تخلع عليه نوعا من المهابة .. السلطة التنفيذية فى الدار . هو الذى يوصى بالمذكرات وهو الذى يطلب العقاب أويسأل الترقية أو المكافأة ..وهو الذى يمنح القروض .. والأذونات والإجازات ..

وكان عبد الراضى يتجنبه ما أمكن .. فهو لايتوقع منه خيرا .. وكان يحس أن عليه أن يخصه بمزيد من الاحترام والنفاق .. خشية أذاه واصطيادا لمرضاته .

وثالث الكبراء فى الدار كان الأستاذ زهران .. رئيس التحرير .. ولم يكن عبد الراضى .. يخشاه .. ولم يكن يحبه ..

لم يكن يخشاه لأن الرجل لم يكن به ما يفرض على الناس خشيته .. بل على النقيض .. كانت كل مظاهره .. محاولة ملحة لاستجلاب حب الناس ...

بالابتسامة الواسعة .. والكف المرحبة .. وبكلمات الإعزاز .. والمجاملة .. لكل الناس .

ولكن الجهد المبذول فى استجلاب الحب .. لم يكن يسنده فى التركيب الطبيعى له .. ما يفرض هذا الحب على نفوسهم ..

ولم يكن عبد الراضى يعرف لماذا .. لايحبه .. رغم تحياته الرقيقة وابتسامته المرحبة .

ربما لأنه لم يكن يحس وراء مظاهر الحب المفرطة .. قلبا تنبع منه المحبة بفيض تلقائى .. وبغيرهدف تريد أن تحققه .. وإنما وراءها ذهن ذكى .. يدفع بها بطريقة معينة مقصودة لتحقق رد فعل مطلوب ومحتاج إليه .

كان عبد الراضى يدرك هذا بحسه .. ومن أجل هذا لم يستطع أن يحبه ولااستطاع أن يحدد لنفسه لماذا يحبه ..

ورابع كبراء المجلة .. أو السلطة الرابعة .

كان مخلوقا بلا سلطة .. وبلا قيود .. وبلا مواعيد .. وبلا شيء غير القلب النابع بالحب .. لكل الناس .. والنفس المقبلة على الحياة .. في لهفة وشوق ..

كان الأستاذ عبد اللطيف .. الكاتب .. والشاعر .. وصاحب المكتب الشبيه بالمصطبة .. والبيت الشبيه بالدوار .. يجتمع فيه الأصدقاء .. من كتاب وفنانين .. ملحنين .. وممثلين ..ومطربين .. ومتمطلين .. يأكلون ويشربون .. ويمزحون ويضحكون .. ويغتابون الغير .. ويطلقون التشنيعات .. ويدبرون المقالب .. ويطلقون آخرالنكت والإشاعات .

كان الأستاذ عبد اللطيف .. بلا زوجة ولا أولاد .. ومع ذلك لم تسلم من حبه حسناء .. ظهرت في المجال العام .. من سينما أومسرح أو تليفزيون .. أوصحافة .. أومغنى رقص .

وكان محبا محبوبا .. بالمعنى العام الشامل للحب .. يحب كل الناس.. ويحبه كل الناس ...

ولم يملك عبد الراضي إلا أن يحبه ..

وفاز عبد الراضي منه بشيء من التخصيص .. بحيث لم يعد عبد الراضي مجرد فراش مجلة الزمان .. بل أصبح أيضا .. التابع الخاص للأستاذ عبد اللطيف .

وبدأت علاقتهما بخناقة ..

أراد عبد الراضي عند بدء تعيينه .. أن يظهر قدرته في العمل للمدير .. فبدأ في القيام بعملية نظافة في الدار رفع المقاعد فوق المكاتب ودفع المكاتب جانبا .. وغسل الأرض ونظف الشبابيك ..

قام بهذا في غرف المحررين .. حتى حل الدور على حجرة الأستاذ عبد اللطيف .. فوجد أكواما من الكتب والمجلات مرصوصة على الأرض وعلى الأرفف وأدوات مكدسة على المكتب وبجوارها زجاجات فارغة ومليئة

بسوائل وأقراص وحبوب وعلى المنضدة أكوام من العلب فارغة وملأى .. وحذاء ومنشفة وبذلة معلقة .ولم يعرف كيف يمكن أن يقوم بتنظيف الحجرة وهذه الفوضى تشيع فى أرجائها .. ووقف يفكر برهة .. وكاد اليأس يعجزه، ولكنه كان يعلم أنها مسألة مستقبل .. ولم يلبث حتى هجم على أكوام الكتب والمجلات وأكداس الورق فجمعها فى بضعة شوالات وألقى بها تحت السلم ثم بدأ فى عملية النظافة .. وبعد أن انتهى الغسل والمسح نظر فى رضاء إلى الغرفة وتمتم قائلا :

ـ راقت الحجرة .

ولم يكد ينتهى من كلمته حتى وجد شخصا يقتحم الحجرة ، ويقلب البصر فى أرجائها فى دهشة شديدة ويقول متسائلا :

ـ ماهذا .. أين مكتبى ؟

ثم نظر إلى عبد الراضى فى استنكار :

ـ من أنت ؟

ـ محسوبك عبد الراضى .

ـ وماذا تفعل هنا ؟ .

ـ أنظف الحجرة .. كان بها بلاوى .

ـ بلاوى ؟ !!

ـ لو رأيتها قبل أن أنظفها .. كانت تعيش فيها العناكب والفيران كدت أتركها وأمشى .. ولكنى قلت لنفسى .. عيب ياعبد الراضى وهجمت على أكوام الكتب القديمة والمجلات المقطعة .. وقذفت بها تحت السلم .

وفغر الأستاذ عبد اللطيف فاه من الدهشة ثم صاح مذهولا :

ـ أنت فعلت هذا ؟

ـ أجل ..

وهز رأسه مفاخرا وهو يرد قائلا :

ـ لم تأخذ المسألة منى أكثر من نصف ساعة .. وراقت الحجرة .

واقترب منه الأستاذ عبد اللطيف وأمسك برقبته وهو يهزه قائلا :

ـ قل .. من سلطك على .. قل الحق .

ـ سلطنى عليك .. لقد فعلتها من نفسى والله .

ـ إذن لن يشفى غليلى منك .. إلاأن تبيت فى السجن .

ودون أن يترك عنقه رفع السماعة وأدار القرص ثم هتف صائحا :

ـ بوليس النجدة .. أنا عبد اللطيف إبراهيم .. أجل أجل .. هو أنا .. اسمع من فضلك .. سطا على مكتبى لص . سرق جميع كتبى .. إنه هنا .. إنى أمسك به من عنقه .. لا .. إنه لايقاوم ..يقول إن اسمه عبد الراضى .. من فضلك لاتتأخروا .. سأحتفظ عليه حتى تحضروا .. أجل مكتبى فى مجلة الزمان .

ووضع السماعة والتفت إلى عبد الراضى قائلا :

ـ إن شاء الله ستبيت فى السجن .

وهتف عبد الراضى :

ـ ولكنى لم أسرق الكتب .. إنها موجودة تحت السلم .

ـ حتى تثبت أنها تحت السلم .. تكون قضيت لك ليلة فى السجن أو ليلتين .. لكى تتعلم عدم التهجم على مكاتب الناس .

ـ ولكنى كنت أنظفها .

ـ من قال لك نظفها ؟

ـ إن عملى أن أنظف المكتب .

ـ إن مكتبى لم ينظف منذ عشرين سنة ... كان جودة رحمه الله يعرف هذا .. حتى لا ينقل ورقة من مكانها .. أو يرفع كتابا عن موضعه .

ـ ولكنى لم أكن أعرف يا أستاذ ..

ـ هذا درس سيعلمك ألا تقرب المكتب .

وتصور عبد الراضى نفسه والبوليس يجره من يده إلى القسم .. فهتف مستعطفا :

ـ تبت يا أستاذ .. أقسم أنى لن أدخل مكتبك بعد هذا .

ـ تدخل للشاى والقهوة فقط .. ولكن للنظافة لا .. فاهم ؟

ـ فاهم ياأستاذ .

وترك الأستاذ عبد اللطيف عنقه قائلا :

ـ اذهب وأحضرالكتب والمجلات ..

ثم أردف فى غيظ :

ـ من الذى سيعيد رصها كما كانت ؟

ـ أنا ياأستاذ .. وسأرش عليهاالتراب .. وأنسج عليها العناكب .

وجلس الأستاذ على مكتبه الخالى النظيف .

واستمر عبد الراضى واقفا أمامه فصاح به :

ـ ماذا تريد ؟

ـ بوليس النجدة !!؟

ـ ماله ؟

ـ قل له ألا يحضر .

ـ ومن قال لك إنه سيحضر ؟

ـ ألم تكلمه ؟

ورد الأستاذ مستغرقا فى الضحك :

ـ لم يكن بوليس النجدة ياغبى .. لقد أدرت رقمى الساعة .. لأن ساعتى واقفة .

وتعلم عبد الراضى بعد تلك المعركة .. ألايرفع ورقة من فوق مكتب الأستاذ أو يبدل وضع كتاب أويحرك مقعدا .

وتعلم أيضا ألايأخذ تهديدات الأستاذ مأخذ الجد .

وتوطدت أواصر الصلة بينهما .. حتى أصبح عبد الراضى المسئول الأول عن الأستاذ عبد اللطيف فى بيته وفى مكتبه .. وحتى أضحى كاتم أسراره .. وموضع ثقته ..

وبات الأستاذ عبد اللطيف .. بدوره .. ملاذ عبد الراضي .. وملجأه .. من عواصف الحياة .. ومشاكلها .

ولم تكن مشاكل عبد الراضي .. رغم تعددها بالشيء المستعصي الحل على الأستاذ فقد كانت كلها مشاكل مادية تحل بالنقود .

ولم تكن النقود ذاتها بالشيء المستعصي على الأستاذ .. فقد كانت تجري في يده بسهولة .. تأتي بسرعة وتذهب بسرعة .. وعندما تتجاوز سرعة ذهابها سرعة مجيئها .. وتغلب حاجته إليها لفض مشاكله أومشاكل غيره قدرته على توفيرها .. لم يكن أسهل عليه من الاقتراض .. وليدبرها الله بعد ذلك .. المهم ألايشعر بالعجز إزاء حاجة يقضيها لنفسه أوللغير .

وكانت آخر مشاكل عبد الراضي مشكلة النفقة التي تطالب بها في المحكمة زنوبة زوجته قبل الأخيرة . ورغم أن الحكم كان يتأجل مرة بعد مرة فقد كان يعرف أن عليه أن يدفعها أويسجن .. وكان قد استنفد كل إمكانيات القروض من الدار وكانت أم عبده تستنزف هي وأولاده ثلاثة أرباع ماتبقى من مرتبه بعد تسديد القروض .

ولم يكن عبد الراضي يواظب على الذهاب إلى أم عبده في سيدي الطيبي بعد أن ضاق بها وبالأولاد ومدارسهم وطلباتهم . وبدأ يبيت في حجرة فوق سطح الشقة التي يسكنها الأستاذ .. حيث كان السكن قريبا من المجلة وكان يوفر بذلك أجر المواصلات ومشقتها بالإضافة إلى أنه يمنحه حرية السهر في ليالي الذكر والموالد وسهرات الكيف التي كانت تتاح له بين آونة وأخرى .

وكان يخجل أن يطلب القرض من الأستاذ عبد اللطيف .. فقد سبق أن حصل عليه منه منذ بضعة أشهرعندما أفهمه المحامي أن عليه أن يجهز المبلغ ومعه المصاريف في خلال أسبوع . ولكن الحكم تأجل بعد ذلك .. وكانت أم عبده تعرف أنه حصل على النقود من الأستاذ فطلبت منه أن يعطيها إليها حتى لايضيعها .

وفى اليوم التالى .. اشترت بها راديو ترانزستور .. ولم يتضايق عبد الراضى . فقد كان امتلاك راديو إحدى أمانيه التى لم يحاول تحقيقها ولم يجد بدا من استغلال الراديو الذى دفع فيه نقود النفقة أقصى استغلال فكان يحمله معه معلقا فى عنقه بحيث أصبح عبد الراضى محطة إذاعة متحركة . وقال له الأستاذ عبد اللطيف ضاحكا وهو يراه يحمل فنجان القهوة والراديو معلقا فى عنقه :

ـ خسارتك ياعبد الراضى فى مجلة الزمان .

ـ خسارتى فى السجن ياأستاذ .

ـ ألم تدفع النفقة ؟

ـ الحكم تأجل .

ـ والنقود ؟

ـ اشتريت بها الراديو .

ـ الحمد لله إنك لم تتزوج بها .

ـ الزواج لايحتاج إلى نقود ياأستاذ .. الزواج لايكلف .. الطلاق هو الذى يكلفنا كثيرا .

ـ لعلك لاتنوى الزواج مرة أخرى ؟

ـ لقد كفرت من أم عبده .

ـ كلهن كذلك ياعبد الراضى .. كان يجب ألاتتزوج من أول الأمر .. كان يجب أن تفعل كمافعلت أنا ..

ـ ولكننا لانستغنى عنهن أبدا ياأستاذ .. إن أمامى زوجة لقطة .

ـ أتتكلم جادا ياعبد الراضى ؟

ـ أجل ياأستاذ ..

ـ ومن هى ؟

ـ زهرة .. خادمة السيدة الفرنسية التى تقطن الشقة التى تحت شقتك.

ـ وماذا يعجبك فيها .

ـ إنها لن تكلفني شيئا .. ستدفع ثمن المأذون .. وستتركني قبل الفطار وتأتي إلى بعد العشاء .. وستعطيني خمسة جنيهات مرتبها من المدام التي تخدم عندها .

ـ ما شاء الله يا عبد الراضي .. لم أكن أعرف أنك كازانوفا إلا الآن.

ـ من هوكازانوفا ؟

ـ رجل كانت تعشقه النساء ..

وبدا الخجل على عبد الراضي وطأطأ رأسه قائلا في تواضع :

ـ العفو ياأستاذ .. على رأي المثل تأتي مع العمى طابات .

وضحك الأستاذ متسائلا :

ـ وماذا ستفعل أم عبده ؟

ـ مالها أم عبده .. إنها تأخذ نقودها على داير مليم ..

ـ وأين ستقطن بزوجتك الجديدة ؟

ـ إذا سمحت سأسكن وإياها الحجرة التي فوق .

ولم تأخذ المسألة جهدا من عبد الراضي .. بعد يومين كان قد تزوج من زهرة . دفعت له أجر المأذون .. ولم تكلفه مليما واحدا .. كانت تتركه قبل الإفطار .. وتحضر ـ ليس بعد العشاء ـ بل في موعد العشاء .. ومعها العشاء الذي استطاعت أن تحضره من السيدة الفرنسية التي تعمل عندها .

وأضاف عبد الراضي إلى زوجاته الخمس .. زوجة سادسة .. لم تكلفه في زواجها شيئا .. ولكن يعلم الله . ماذا ستكلفه عندما يحين وقت الخلاص منها .

٣ ـ مجرد إنسان

بالزوجة السادسة بدأت موجة جديدة من مشاكل عبد الراضى الاجتماعية والاقتصادية . حضرت أم عبده إلى المجلة وأجرت معه تحقيقا عن زيجته الجديدة ..

بدأ التحقيق بصرخة فى فناء المجلة الخارجى .

ـ عبد الراضى ..

وكان الوقت قبل الضحى والمحررون قد أخذوا فى التوافد على دار المجلة . وهبط عبد الراضى مهرولا عندما سمع صرخة أم عبده فى بئر السلم.

وأجابها فى غضب :

ـ ماذا تريدين .. يا ولية ؟

وبسؤال مباشر انفجرت فى وجهه :

ـ انت اتجوزت يا عبد الراضى ؟

ـ من قال هذا الكلام الفارغ ؟

ـ يعنى لم تتزوج !!

ـ ولماذا أتزوج ! .. أينقصنى الهم والنكد ؟

وكان الراديو معلقا فى عنق عبد الراضى فمدت أم عبده يدها وجذبت الراديو فخلعته من عنقه قائلة :

ـ إذن هات الراديو .. اذهب وابحث عمن ترضى بزواجك .

وكان الراديو فى نظر أم عبده هو أهم وسائل الإغراء فى عبد الراضى

ورغم أن زهرة ـ الزوجة الجديدة ـ كان المفروض أن تذهب عن عبد الراضى قبل القطار وألا تحضر إليه قبل العشاء حتى لاتكلفه مليما واحد ثمن طعامها .. وفوق هذا تمنحه أجرها الذى تتناوله من السيدة الفرنسية التي تقطن أسفل الأستاذ عبد اللطيف .. رغم كل هذا فقد زادت أعباء عبد الراضى المالية .

لم يكن المرتب ـ رغم كل ما منح من علاوات بعد تنظيم الصحافة . ورغم ما يحصل عليه من الأستاذ عبد اللطيف من هبات وقروض لاترد ـ بالمبلغ الذى يمكن أن يفى بالتزاماته المتعددة ومسئولياته المتشابكة .. كان عليه أن يدفع أجرة سكن سيدى الطيبى الذى تقطنه أم عبده وأولادها .وكان عليه أن يهيىء لهم المأكل والملبس واحتياجات المدرسة ، وكان عليه أن يهيىء لنفسه ثمن الدخان والكسوة والطعام ومايبتاعه بين آونة وأخرى لشبرقة زهرة .. نظير كل ماقدمته إليه كزوجة .. وماصرفته عليه .. سوَاء فى تكاليف المأذون .. أو فى ليلة الدخلة التى قضاها فى لوكاندة الهنا بسيدنا الحسين .. بعد أن ارتدى الجلباب الصوفي واللبدة وارتدت زهرة بالطو السيدة الفرنسية والطرحة البيضاء وأكلوا فتة كوارع فى مصمت الحسين . وتناول عبد الراضى ما تيسر من بلابيع أهداها إليه صديقه القديم كساب العتال فى إحدى وكالات العطارة .

ولقد عاودت نبوية مشاكلها معه عندما سمعت بالزيجة الجديدة ، وبدأت علاقات الصداقة تنبت بينها وبين أم عبده بعد طول خصومة ونشأ بينهما حلف هجومى ضد عبد الراضى وزوجته الجديدة زهرة .

ومع الأيام ازدادت المشاكل تعقيدا لدى عبد الراضى فلقد بدأت زهرة تطالب بحقها كزوجة .. حقها فى المرتب وفى السلطة الزوجية .. وأخذت تناقش عبد الراضى فيما يدفعه لأم عبده وأولادها .. وتحرم عليه زيارتها التى كان يقوم بها بين آونة وأخرى .

وفقدت زهرة ، بحكم الامتلاك الشرعى ، متعتها كأنثى ـ ولم يبق

منها كأية زوجة سوى مشاكلها والتزاماته قبلها ..

وبدأ الصراع بين زوجات عبد الراضى ينتقل إلى ساحة المجلة عندما ترك حجرته التى كان يقطن فيها فوق شقة الأستاذ عبد اللطيف ليستقر وحده فى حجرة المرحوم جودة فوق سطح المجلة .. هاربا من جميع زوجاته ..

وهكذا حاول عبد الراضى النجاة بجلده من مجتمعه العائلى .. ليقضى حياته مابين دار المجلة وشقة الأستاذ عبد اللطيف .

وباستقرار عبد الراضى فى المجلة معظم وقته .. بدأ يمارس مشاكل من نوع جديد . ووجد نفسه من حيث لا يدرى . يزج إلى معارك .. لم يفكر يوما فى الاقتراب من ساحتها .

بدأ الأمر عندما أعلن تنظيم الصحافة .

ولم يعرف عبد الراضى معنى لتنظيم الصحافة إلا ما تردد حوله على ألسنة العمال والمحررين والظهورات أو من يسمونهم محررى القطعة إلا أن الأستاذ فتوح صاحب المجلة « خلاص .. راحت عليه » وأنه لم يعد يملك شيئا فى الدار .. وأنه بات مجرد موظف كغيره من الموظفين ..

وانقسم العاملون « فى الدار » إلى شامت يردد :

ـ ربنا خلصنا منه .. لم تعد المجلة بعد .. عزبة يديرها حسب هواه .

وآخر يمصمص شفتيه :

ـ خسارة .. لن يجدوا أحدا قلبه على المجلة مثله .. إنها قطعة منه ..

وقسم محايد يهز رأسه فى غير اكتراث :

ـ ياأخى .. كله محصل بعضه ..

ولم يتصور عبد الراضى .. أن مشاعر الناس يمكن أن تتغير بجرة قلم .. وأن قرارا لم يكن لأحدهم دخل فيه يمكن أن يجعل أحدهم ينقلب فجأة .. تجاه الآخر .. فيقلب ابتسامته تجهما .. وبشاشته عبوسا .. وتواضعه .. تكبرا وصلفا .

لم يتصور عبد الراضى هذا حتى وجد مرزوق أفندى المديرالذى كان

يستقبل الأستاذ فتوح كل صباح عند باب المجلة .. ويتلقى منه الملاحظات والأوامر .. يصيح بأعلى صوت من أعلى الدرج .. عندما سمع الأستاذ فتوح يبدى ملاحظة لعبد الراضى أن فناء المجلة غير نظيف .

ـ هذا ليس اختصاصك .. إنه عمل المدير .. وأنت مجرد عضو مجلس إدارة .

وصعد الرجل على الدرج وهو ينتفض غيظا ..

لم يخطر بباله أن الأستاذ مرزوق الذى كان يرجوه فى علاوة بالأمس يمكن أن يثور عليه هذه الثورة لمجرد أنه أبدى ملاحظة على فناء المجلة .

ووقف أمام مرزوق وهو يحاول أن يكبح جماح غضبه قائلا فى نبرات جاهد أن يمنحها مااستطاع من الرقة والهدوء ..

ـ الفناء قذر ياأستاذ مرزوق .. وليس من اللائق أن نستقبل زوارنا بمثل هذه القذارة .. قصاصات ورق .. وقشر لب ..

ـ إن هذا عملى أنا ياأستاذ فتوح .

ـ عملك أو عملى .. إننا جميعا مسئولون عن المجلة .

ـ لكل منا مسئوليته ..

ـ ألا أستطيع أن أبدى ملاحظة عندما أجد شيئا يضر بمصلحة المجلة؟

ـ تبديها فى اجتماع مجلس الإدارة .. ونناقشها ثم نصوت عليها ..فإذا كانت الأغلبية فى جانبها .. نفذها الشخص المسئول .

ـ هكذا !

ـ أجل هكذا .. أنت لم تعد تملك سلطة إلامن خلال وجودك فى مجلس الإدارة .

ودخل الأستاذ فتوح مكتبه وهو يرتجف ..

وفى اليوم التالى .. بدأت المعركة الثانية مع الأستاذ زهران رئيس تحرير المجلة .

لم تكن معركة صاخبة .. فقد كان الأستاذ زهران يكره الصخب

والضجيج .. ولم يحاول أن يوقف الأستاذ فتوح عند حده .. بالصياح .. وإنما بمجرد تأشيرة كتبها على مقالة أرسلها الأستاذ فتوح للمطبعة للجمع .. « لايجمع أي حرف قبل الحصول على إمضاء رئيس التحرير بالموافقة » ثم أعادها إلى الأستاذ فتوح بورقة صغيرة كتب عليها « معادة برجاء عدم التدخل في شئون التحرير » ..

ولم يجد فتوح من يشتكي إليه سوى الأستاذ عبد اللطيف . وحاول الأستاذ عبد اللطيف أن يسوى المشكلة وينهي سوء التفاهم بين الاثنين . ولكن الأستاذ زهران رده في حزم .

ـ لقد صدر قرار بتنظيم الصحافة وإنى أمارس سلطتي الكاملة .

ـ ولكن المسألة تحتاج إلى نوع من المجاملة .

ـ العمل ليس فيه مجاملة .. إنه مسئولية .

وحمل عبد اللطيف المقال ووضعه في درجه وهو يتمتم .

ـ معه حق .. ولكن الأستاذ فتوح . لايستطيع أن يصدق .. لقد كان بالأمس رب هذه الدار .. كان الأستاذ زهران لايجرؤ أن ينشر كلمة إلا بأمره .. وكان يؤكد له أن مقالاته هي سبب رواج المجلة .. ولم يخطر ببال فتوح قط أنه بعد بضع ساعات من تزلف زهران إليه .. يمكن أن يصده بمثل هذه القسوة ..

وعاد عبد اللطيف يهز رأسه وهو يتناول فنجان القهوة من عبد الراضي.

ـ حقيقة أن الأصول هي الأصول .. وأن كل إنسان يجب أن يوضع في موضعه حسب التنظيم .. ولكن لماذا كل هذه العجلة .. لماذا لا نتصرف بإنسانية ؟..

ورد عبد الراضي ببساطة :

ـ هذه هي الإنسانية ياأستاذ ..

ـ للأسف ياعبد الراضي ..

ومع الأيام بدأ عبد الراضي يجني ثمار التنظيم .. زاد مرتبه إلى

الضعف .. بعد أن طالب العاملون ببحث الحالات الصارخة .. وإنصافها .. واتضح أن جميع مرتبات الدار .. حالات صارخة تقتضى التعديل .. فتضاعفت المرتبات .

وتلت الحالات الصارخة .. إنصاف العاملين الذين يبذلون جهدا أكبر من غيرهم . فرفعت بعض المرتبات نظير ما يبذله أصحابها من جهد ومايقومون به من عمل ممتاز .

وكانت الموجة الثالثة لإنصاف الذين لم تزد مرتباتهم .. ولمساواتهم بهؤلاء الذين حصلوا على مكافآت تميز فأضاعت العدالة بين العاملين فى الدار ..

وهكذا رفعت مرتبات الجميع مرة ثانية ..

وبدأت المطالبة بمكافأة المتميزين من جديد .. واستمرت سلسلة المطالبات فى حلقة مفرغة .. تبدأ بالحالات الصارخة ثم بالمساواة ثم بمكافأة المتميزين ثم بتطبيق العدالة بين المرتبات ..

وفى نهاية العام .. لم تحقق الدار أرباحا .

ولكن العاملين طالبوا بنصيبهم فى الأرباح .. حسب قرار التنظيم .. واحتارمجلس الإدارة واتصل بالوزارة .. فأمرت بصرف ثلاثة آلاف جنيه .. ستصرفها الوزارة . نظيراعلانات تنشرها المجلة لمؤسسات الوزارة ..

وبدأت الانتخابات بين العاملين للمشاركة فى مجلس الإدارة .

ولم يأبه عبد الراضى للمسألة فى أول الأمر .. فقد أحس أن كل العاملين سواء .. وأن الشخصيات التى تقدمت للانتخابات كلها شخصيات لا بأس بها .. من بينها الحاج عبد العزيز ريس المطبعة وعبد الرحيم عامل التليفون والأستاذ سليم المحرر السياسى والأستاذ نوار مدير التحرير .

وبدأت المعركة الانتخابية ..

وفجأة اكتشف عبد الراضى .. أن جميع المسئولين فى الدار والمرشحين فى الانتخابات مجرمون يستحقون الشنق .

بدأت المنشورات المضادة .

اتضح حسب المنشورات أن الحاج عبد العزيز يسرق اللبن الذى يصرف لعمال المطبعة ويستبدل به لبن زبادى يأخذه لأسرته .. ويبدو أن الحاج عبد العزيز حسب كلام المنشور إما أنه لم يكن يأكل وقتذاك غير اللبن الزبادى هو وجميع أقاربه أو أنه فتح دكانا لبيع اللبن الزبادى .

واتهم عبد الرحيم عامل التليفون الأستاذ نوار مدير التحرير بأنه رجعى واستشهد بفقرات كاملة من الميثاق على رجعية الأستاذ نوار واستغلاله لمركزه وأعماله ضد الاشتراكية .

وبنفس الفقرات المنتقاة من الميثاق .. استطاع الأستاذ نوار أن يدلل على أن عبد الرحيم انتهازى ومتسلق وأنه يستغل العاملين فى الدار للحصول لنفسه على مركز فى الإدارة .

ولم يعد الأستاذ سليم المحرر السياسى يعمل بالسياسة .. بل أضحى أخصائى انتخابات .. يمارسها من مقهى عويس أمام الدار .. حيث يجتمع بالعمال .. ليعدد لهم العلاوات والمكافآت والأرباح التى سيحققها لهم بمجرد وصوله إلى مجلس الإدارة . ويعدد لهم الجرائم التى ترتكبها الإدارة فى حقهم .. وكيف تحرمهم من حقوقهم المشروعة .. وتضيق عليهم الخناق .. وتوقع عليهم الجزاءات بلا مبرر .

وهكذا انقلبت المجلة إلى مجموعة من المجرمين يكشف بعضهم جرائم البعض الآخر .

وكان عبد الراضى يرقب المعركة وكأنه يرقب حلبة مصارعة .. من ضرب من .. ومن صرع من ؟

ولم يكن يخطر بباله أن دوره سيتعدى دور المتفرج حتى فوجىء ذات يوم بالأستاذ سليم يطلبه فى مكتبه .

وطرق عبد الراضى الباب ودخل .

وحياه الأستاذ سليم فى رقة وبشاشة وتواضع دأب عليها فى معاملة

العاملين منذ أن رشح نفسه فى الانتخابات .

ولم يشك عبد الراضى أن الأستاذ سليم يطلبه لكى يشرح له قيمة انتخابه فى مجلس الإدارة . وأهمية إعطائه صوته .

وأشار سليم إلى مقعد بجوار المكتب قائلا :

ــ تفضل ياعم عبد الراضى .

ــ العفو ياأستاذ .

ــ اجلس ياعبد الراضى ..

وجلس عبد الراضى منكمشا على المقعد .

وعاد سليم يردد فى رقة :

ــ تأخذ قهوة ؟

ــ العفو ياأستاذ .

ــ اسمع ياعبد الراضى .. أنا أعرف أننا لن نأخذ راحتنا هنا فى الحديث وأنا أريدك فى أمر هام .. هل تستطيع أن تمر على فى المقهى الساعة الرابعة ؟

ــ أمرك ياأستاذ .

ــ إنها مسألة غاية فى الأهمية ..

ــ خاصة بالانتخابات ؟

ــ طبعا .

ــ إننا معك كلنا ياأستاذ ..

ــ ليست المسألة خاصة بى .. إنها خاصة بك .

ــ بى أنا ؟

ــ أجل .. إنى أريدك أن ترشح نفسك للانتخابات .

ــ أنا .. فى الانتخابات ؟

ــ أجل أنت ..

ــ غير معقول ياأستاذ .

ـ اسمع كلامى ..

ـ ولكن .

ـ لاتتردد .. إن باب الترشيح مازال مفتوحا حتى بعد غد .. تقدم .. وأنا سأضمن لك النجاح .. سأتقدم أنا وأنت فى قائمة واحدة أنت تضمن لى العمال وأنا أضمن لك المحررين .

ـ ولكن .. كيف أضمن العمال ؟

ـ لقد اتضح أنهم ضد كل المرشحين .. بعد كل ما قيل عنهم من تجريح وتهم .. إنهم لايريدون الحاج عبد العزيز .. ولا عبد الرحيم .

ـ ولكن الحاج عبد العزيز رجل طيب .

ـ إنهم يتهمونه بسرقة لبن العمال .

ـ حرام ياأستاذ .. كيف يسرق اللبن .. وكل عامل يعرف نصيبه جيدا ؟

ـ ولقد تسبب فى فصل أحد العمال .

ـ بسطاويسى الذى سرق رصاص المطبعة ؟ .. مادامت السرقة قد ثبتت عليه فقد استحق الفصل .

ـ وقد تسبب فى جزاء بعض العمال الآخرين .

ـ لأنهم تسببوا فى عطل المكنة عن عمد حتى يجلسوا بلاعمل ..

ـ المهم أن العمال يكرهونه .. وكذلك لايطيقون عبد الرحيم .

ـ ولكنه يفهم فى القانون والميثاق .. ويتحدث فى الاشتراكية جيدا .

ـ يقولون إنه خبيث وانتهازى وأنه تعود الوشاية بهم لصاحب المجلة قبل التنظيم .

ـ ولكن أنا .. مادخلى فى كل هذا ؟

ـ إنهم على استعداد لانتخاب أى إنسان ليس له ماض معهم .. ولقد جسست النبض .. فقال عنك معظمهم إنك طيب وابن حلال .

ـ أنا .. فى مجلس الإدارة ؟

ـ ولم لا .. هل تقل عن عبد العزيز أو عبد الرحيم ؟ .. المهم أن

تعمل معى .. ضد الأستاذ نوار ..

ــ ولكن .. لماذا أعمل ضد الأستاذ نوار ؟

ــ لأنه سيكون خصمنا فى الانتخابات .. ويجب أن نحاربه بكل ما نملك .

ــ ولكن ماذا نقول عنه ؟ .. أنا لا أعرف له سيئة .. وهو رجل طيب وشغال .. ويعمل من أجل مصلحة المجلة .

ــ أنت على نياتك .. اترك المسألة على وسأوضبها . إنى أجهز منشورا ضده من عشرين صفحة .. سأنشر عنه كتابا أسود .. عن العمولات التى أخذها.. عن الرشاوى .. والسهرات الحمراء التى يقضيها مع الفنانات ..

وتذكر عبد الراضى .. صاحبه وولى نعمته الأستاذ عبد اللطيف .. إذا تحدث أحد عن السهرات الحمراء .. ألايمكن أن يجره فيها ؟

وهز عبد الراضى رأسه فى حزم قائلا :

ــ لايأستاذ أنا لا أقبل أن يكتب شىء عن الأستاذ عبد اللطيف .

ــ ولكن من الذى تحدث عن عبد اللطيف ؟

ــ ألم تذكر أنت الآن .. السهرات الحمراء والفنانات ؟..

ــ أجل ولكنى لم أقل شيئا عن عبد اللطيف .

ــ ولكن ليس هنا من يسهرسهرات حمراء سوى الأستاذ عبد اللطيف .. إنى أدرى الناس بهذا ..

ــ ياعم عبد الراضى . إننا الآن لانتحدث عن الأستاذ عبد اللطيف .. إننا نتحدث عن الأستاذ نوار.. وسأعرف أنا كيف أدير الحملة ضده .

ــ وهل هو يسهرمع الفنانات ؟

ــ يسهر أو لايسهر .. سأجعله أنا يسهر .. ويعربد ويحشش .. ويرتشى .. هذا عملى أنا .. دع الأمرلى ..

ــ ولكن هذا افتراء ..

ـ إنها الانتخابات ياعبد الراضى .. افتراء أوغير افتراء .. المهم أن نكسب المعركة .

ـ وماذا تريد منى ؟ ..

ـ لاشىء أكثرمن أن تمضى على المنشور .. وتدعو لى بين العمال ..

ـ وهل سيصدقون ؟

ـ أجل . إنهم يحبونك .. ويثقون فى حسن نيتك .

ـ بعد هذا لن يثقوا فى حسن نيتى .

ـ المهم أن نكسب المعركة الآن .. وبعد هذا .. سنعرف كيف نكسب ثقتهم .

وفى الساعة الرابعة التقى عبد الراضى بالأستاذ سليم .. وبدأ يخوض معه معركة الانتخابات .

ومرت الأيام .. وعبد الراضى لاعمل له إلا أن يلف مع الأستاذ سليم بين العاملين ..

وفى يوم الانتخابات فاز عبد الراضى .. بأكثر الأصوات .. لأن العاملين أصروا على ألا ينتخبوا الآخرين .. ولأن عبد الراضى رجل طيب .. لم يسرق اللبن ولم يعمل ضد الاشتراكية .. ولاضد الميثاق .. ولأن أحدا لم يستطع أن يتهمه بسوء .. أوينسب إليه إتهاما .

ولم يدهش الأستاذ عبد اللطيف .. عندما أنبأه أنه سيخوض الانتخابات .. ولادهش عندما أبلغه أنه فاز بعضوية مجلس الإدارة .. ولكنه سأله : هل سيجد وقتا لرعاية شئونه ؟ فرد عبد الراضى مؤكدا :

ـ أنت قبل كل شىء .. أنت أبى وسيدى وحبيبى .

ـ وما رأيك فى الأستاذ سليم ؟

ـ مفترى .. وحاوى .. يلعب بالبيضة الحجر..

ـ ولماذا قبلت العمل معه ؟

ـ كما قبلت كل شىء فى حياتى .. إنه قدر .. قدر سيىء .

ـ ألاتخشى أن تنتقل إليك عدواه ؟

ـ مادمت معك فأنا أستطيع أن أقاوم كل الشرور .

وهز الأستاذ عبد اللطيف رأسه وقال باسما :

ـ تجربة لابأس بها .. تضيفها إلى تجاربك مع زوجاتك الست .

وبدأ عبد الراضى يحضر جلسات مجلس الإدارة .. استعصى عليه فهم الكثير مما كان يدور فيه .. ولكنه كان يؤمن على ما يقول الأستاذ سليم ..

ومع الأيام .. بدأ هجوم العاملين على عبد الراضى وزميله ..

لأنهما لم يحققا للعمال ما وعداهم به .. لازيادة فى الأجور .. ولا .. ولا ..

واحتار عبد الراضى بين مجلس الإدارة والعاملين ..

عرض عليهم المدير فى مجلس الإدارة أن تمارض العمال قد زاد وأن بعضا منهم يعملون فى أعمال خارجية ويحصلون على إجازات مرضية تمكنهم من مباشرة هذه الأعمال . وأن نسبة الغياب تصل فى بعض الأيام إلى أكثر من النصف مما يضطرهم إلى تشغيل الموجودين وردية أخرى بأجر حتى لاتتعطل المجلة .

وعرض المدير أن ثمن الأدوية التى استهلكها العاملون بلغ فى العام الماضى ثلاثة آلاف جنيه . وأن بعض العمال يتهمون البعض الآخر ببيع الأدوية . وإنه تقرر من أجل ذلك أن تصرف الصيدلية الزجاجة بعد أن تمزق علبتها .. حتى لايمكن بيعها ثانية .

وقرر المدير أن عليهم الاستمرار فى بيع مايتبقى من حصة المجلة من الورق فى السوق السوداء حتى يمكن موازنة الميزانية وصرف أجور الموظفين والعمال ..

ولم يعرف عبد الراضى كيف يطالب بزيادة الأجور والمكافآت ..

ولم يعرف أيضا ماذا يقول للعمال الذين يلقونه بعد كل اجتماع لمجلس

الإدارة ليسألوه عما فعل .

إنه لم يفعل شيئا .

وهو لايستطيع أن يفعل شيئا .

وعندما حدثهم عن الإفراط في الإجازات والإهمال في معاملة الماكينات إهمالا يتسبب في عطلها وفي العجز عن مواجهة التزامات الطباعة المطلوبة من الدار ..

عندما قال لهم هذا « شتموه » وقال له أحدهم :

ـ طبعا .. لقد أصبحت عضو مجلس إدارة .. أصبحت تتكلم بلسان أعضاء مجلس الإدارة .. ومفمون أبونا .. لكن الحق علينا .

ولم يعرف عبد الراضى كيف يجيب ..

وعندما شكا للأستاذ سليم قال له :

ـ ولماذا قلت لهم هذا ؟

ـ وماذا أستطيع أن أقول لهم ؟

ـ قل لهم إننا نطالب في المجلس بزيادة الأجور .. ولكن لاأحد يستمع إلينا ..

ـ ولكننا لم نفعل .

ـ ياأخى قل هذا واخلص .

ـ وإذا سأل أحدهم ؟

ـ اسمع .. في أول جلسة .. سأطالب بزيادة الأجور .. حتى نريح ضمائرنا .

ـ ولكن كيف نطالب بزيادة الأجور .. ونحن نعرف الحالة جيدا ؟

ـ هذا ليس من شأننا .. إنه شأن الإدارة .. يجب أن تدبر أمرها ..

ـ ولكن كيف ؟ .. والفوضى شائعة في المجلة .

ـ هذا ليس من شأننا .. إنها مسئولة عن ذلك ..

وصمت عبد الراضى برهة ثم أجاب :

ـ إذن يجب أن يأخذوا العاملين بحزم .. ويوقعوا العقاب على المهملين ..

ورد عليه سليم فى غيظ قائلا :

ـ مالك أنت ولهذا .. أنت معنا وإلا مع الإدارة ؟

وأطرق عبد الراضى مفكرا ثم رد قائلا :

ـ أنا مع المجلة .. لكى نحصل على علاوات وأرباح .. يجب أن تعمل .. لقد بتنا أصحاب المجلة .. وكل أرباح تجنى من عملنا .. فهى ستعود إلينا .. أم أنا مخطىء ؟

ـ تفلسف ياعبد الراضى .. لكى تودى نفسك فى داهية .. إن شاء الله لن ترى مجلس الإدارة بعد التوبة ..

ـ ولكن كل العمال الطيبين الذين يعملون فعلا .. يعرفون هذا .. وهم يكرهون البلطجية .. والعواطلية .

ـ ولكن هؤلاء هم الذين اشتغلوا لنا فى الانتخابات . هم الذين نستطيع أن نعتمد عليهم فى المرة القادمة .. ويجب من الآن أن نعمل على معاونتهم .

ـ كيف ؟

ـ لن ندع أحدا يوقع عليهم عقابا ..

ـ رغم كل مايفعلونه ؟!

ـ هذا ثمن جهدهم معنا .. ويجب أن نعمل من الآن على استمرار كسبهم إلى جانبنا .

هذه مشكلة ياعبد الراضى ..

أعتقد كثيرا من مشكلة زوجاتك الست . ومرتبك الذى لايفى بالتزاماتك .

لكى تكون لك القدرة على أن تعمل عملا نافعا للعاملين فى المجلة .. يجب أن تكون عضوا فى مجلس الإدارة ..

ولكى تبقى عضوا فى مجلس الإدارة يجب أن تساعد محترفى الانتخابات .. لكى يساعدوك .

يجب أن تمنع عقاب المسىء .. وتتغاضى عن إهمال المهمل ..

يجب أن تطالب بالمكافآت والعلاوات .. حتى ولو لم تحقق المجلة ربحا .. لا تهم الميزانية .. فالبنك يستطيع أن يمنح قرضا .. والوزارة تستطيع أن تمنح مساعدة ..

ـ وعندما يحل الخراب في النهاية ؟!

وأشار إليه الأستاذ سليم فى ضيق وملل قائلا :

ـ ياأخى .. لاتعقدها .. عندما نصل إلى المراكز الرئيسية فى المجلة ربنا يفرجها ..

وطالب الأستاذ سليم بدوره بزيادة الأجور ..

كما طالب بإعادة السارق الذى فصل .. ورفع الجزاء عمن جوزوا بسبب الإهمال .

ولم يوافقه المجلس .

ولم يوافقه عبد الراضى .

وخرج الأستاذ سليم إلى العاملين ليعلن ما فعل .. ويعلنهم بخيانة عبد الراضى ..

ولعن أبو عبد الراضى .. لأنه جبان ..

وأحس عبد الراضى بالظلم الذى وقع عليه ..

وسأل الأستاذ عبد اللطيف وهو يدخل عليه دامع العين :

ـ هل أنا جبان حقا .. أنا لاأخشى المدير ولا أخشى أحدا ..ولكنى أعرف أن الذى سرق .. حقا قد سرق .. وأعرف كيف كسر عباس الماكينة عمدا . وكيف التقى مع محمود الميكانيكى فى قهوة عويس .. واتفق على أن يتقاسم معه أجر التصليح .. أعرف كل هذا يا أستاذ عبد اللطيف .. وأعرف أن تعطيل الماكينة أضاع علينا صفقة طبع كتب وزارة التربية

والتعليم ، وأخذتها منا مطابع النصر .. أعرف الكثير يا أستاذ عبد اللطيف .. فهل أنا جبان لأني لم أوافق الأستاذ سليم ؟

ـ لست جباناً يا عبد الراضي .. مادمت مقتنعا بما فعلت .. فلاتندم عليه .

وهكذا أحاط السخط بعبد الراضى .

سخط العاملين عليه .. لأنه جبان منافق .

وسخط الزوجات الثلاث اللاتى لا يعرف كيف يواجه مطالبهن .. بمرتبه الضئيل ..

إنه يستطيع أن يترك مجلس الإدارة ..

ويستطيع أن يطلق من تبقى على ذمته من زوجات ..

وبعد هذا ترد إليه حريته .. يفعل مايشاء وقتما يشاء ..

تغضب أم عبده .. وتضرب زهرة .. وتثور زنوبة ..

وتقضى المحكمة بالنفقة لهن .. وأمامها مرتبه تفعل به ماتشاء .. فلن يعدم كوبا من الشاى .. ولقمة تسد رمقه .. ولن يعدم عطف صديقه الأوحد .. الأستاذ عبد اللطيف .. وهو يسأله الآن أن يذهب وإياه بعيدا عن الأرض ..

فى أى داهية سيذهب معه ..

إلى جهنم ..

إلى الجنة ..

إلى السماء تحت الحساب ..

المهم أن يبعد به عن كل هذه المشاكل الأرضية التى تمسك بخناقه ..

وعندما لقيه الأستاذ فى الصباح وأعاد عليه السؤال :

ــ ها .. هل استقر رأيك على مصاحبتى ؟

ــ أجل ..

ــ هل تعرف إلى أين ؟

ـ قلت لي بالأمس .. إلى السماء .

ـ أتعرف أين في السماء ؟

ـ وأنى لي أن أعرف ؟ .. السماء واسعة .. إلى أي مكان تذهب .. سأكون في صحبتك ..

ـ هل تعرف كيف ستذهب ؟

ـ ليس مهما .. مادمت معك .. ومادمنا سنبعد عن هذه الأرض ..

ـ سنذهب في صاروخ .

ـ إن شاالله في عربة كارو ..

ـ ألاتخشى أن تركب الصاروخ ؟

ـ ألن تكون معي ؟

ـ أجل ..

ـ إذن فلن أخشى شيئا .. مايجرى عليك يجرى علي ..

ـ بعد بضعة أيام سيأخذوننا إلى القاعدة .. وسيجرون علينا بضعة اختبارات .. وسيقومون بتدريبنا بعض الوقت ..

ـ أنا تحت أمرك ..

ـ انتهينا ..

ـ بقى أمرمهم .

ـ ما هو ؟ ..

ـ لم يعد عندي رصيد من الإجازات . وأخشى أن تحسب المدة غيابا بدون أجر .. وأنت تعرف حاجتي إلى المرتب .. لسد نفقات القبيلة التي تنتمي إلي .. زنوبة وأخواتها ..

ـ لاتحمل هما .. سنعمل الترتيب اللازم .. إنك ستصبح إحدى الشخصيات الهامة .. سيكون سفرك دعاية للمجلة .

ـ هل أطلب إذن ؟

ـ لست أظن أن الإدارة ستعتبرك غائبا .. فأنت ستكون في عمل

رسمى طوال الوقت .

ـ إذن هل سيصرف لى أجر إضافى ؟

وضحك الأستاذ عبد اللطيف قائلا :

ـ سأكلم الأستاذ رزق .

وفكر عبد الراضى برهة ثم تساءل فجأة :

ـ ولكن لماذا سنذهب إلى السماء ؟

ـ لقد سألونى أن أذهب ككاتب لكى أعكس ما أرى فى رحلتى ..

ـ وأنا .. ما فائدتى ؟ ..

ـ يريدون انعكاس الرحلة فى نفس بشر عادى .. إنسان .. مجرد إنسان .. وأنت خيرمن يمثل الإنسان ياعبد الراضى .. بكل ما فيه من مركبات الخير والشر .. بكل مافيه من نزوات .. وفضائل .. ألست كذلك ؟

٤ ــ بلا أسرة بلا سمعة

هكذا انطلق عبد الراضى مع الصاروخ .. ليمثل الإنسان .. مجرد إنسان .

وعاد عبد الراضى يشرد ببصره خلال نافذة المركبة ..

ويتأمل الكرة الرمادية .. التى حوت ماضيه .. بكل مافيه من مشاكل .. ومتاعب ..

وفى القمرة المجاورة استقر الأستاذ عبد اللطيف .. طافيا فى استرخاء بجوار نافذة قمرته .. محدقا فى الفضاء الفسيح تتناثر فيه ملايين النجوم .

ولم يحس عبد اللطيف بغربة .. فى عالمه الجديد ..

كان دائما يتوق إليه .. ويحلق فيه ..

لم تكن الأرض بكل ما فيها من وسائل الجذب .. بقادرة على شده إليها .. وربطه بها .. كان دائم التأرجح .. بين الأرض والسماء .

ينجذب إلى الأرض بكل ماتتعطش إليه حواسه من نعم الأرض . وينطلق إلى السماء بكل ماتتوق إليه روحه من رغبة فى الانفتاح على الكون والتحرر من قيود الأرض ..

كم خلا إلى نفسه بعد أن انفض عنه الجمع ليرنو إلى السماء . ويحلق بين النجوم .. وكان يمسح جبينه فى صدر الله الحنون الغفور الكريم .. ويهدأ إلى رحمته .. ويسرى بلا أعباء .. فى رحابه . ويستريح بلا خوف ولا قلق .. فى ساحته .

ولقد رحب بهذه الانطلاقة الحقيقية إلى السماء .. بغير خوف .. ولاجزع ..

فهى لا تعدو أن تكون انطلاقة من انطلاقاته المتعددة بالذهن والروح أو تجربة لانطلاقة أخيرة ينتهى بها رحلته على الأرض .. وهى رحلة مهما طالت .. ومهما بدا من بريقها ورونقها .. لاتعدو أن تكون مجرد عبور أو وقفة .. يذهب بعدها إلى حيث كان .. ويعود من حيث أتى ..

هو لم يكن يملك .. سوى الانطلاق .. لأنه لايتصور أنه يمكن أن يبقى على الأرض بدونها .. حتى ولوذهب إلى السماء ..

حقيقة أن السبب الظاهر لإقدامه على الرحلة . هو رغبة المسئولين عن الرحلة فى أن يرسلوا فنانا تواقا إلى الانفعال قادرا على التعبير .. فلقد اقتصرت رحلات الفضاء فيما مضى على التسجيلات الآلية .. من تصوير وتسجيل ووصف ظاهرى .. ولكن أحدا لم يسجلها بحسه .. لم يعرف العالم شيئا من كل هذه الأشياء الباهرة من خلال فنان .. يمكن أن يرى فيها ما لا يراه غيره .. وينقل إلى البشر انفعال الإنسان بالعالم الجديد عالم الفضاء الفسيح الباهر الرائع .

لقد أقدم عبد اللطيف على الرحلة ليكون ذلك الفنان الذى سيرى العالم .. الكون من خلاله ..

عرف الناس هذا ..

ولكن لم يعرفوا ..أنه فى قرارة نفسه .. أقدم على الرحلة .. ليس ولعا بالفضاء .. وإنما ولع بإنسان يوشك أن يهجره إلى الفضاء .. وهو يكاد لا يطيق فرقته على ظهر الأرض .

كان عبد اللطيف يعيش على الأرض بقلب لاتكف أجراسه عن الدق .. لحبيب ما ...

ولقد بدأ ممارسة الحب فى السنة السادسة من عمره .

كان حبه الأول .. فتاة سيرك .. تمتطى ظهر فيل .. لتستعرضه أمام باب السيرك .. فى الخلاء القائم وراء الدراسة ..

كانت ابنة مدرب الفيل .. الأرمنى ..

وكان عملها الركوب على ظهر الفيل لجذب الرواد قبل بداية اللعب .. أو التجول به حول السيرك .. يسحبه أبوها .. وهى مستقرة على ظهره وبيده جرس .. يدعو به الناس إلى السيرك .

وكان عبد اللطيف ينطلق من بيته فى الدرب الأحمر بعد أن يعود من الكتّاب ليستقر أمام السيرك يرقب الفتاة الأرمنية على ظهر الفيل .. أو يلاحق الفيل وهى تمتطى صهوته .. وكلما تجمع فى جيبه أجر الدخول .. اندفع إلى السيرك ليقضى أطول مدة يحملق فى الفتاة ..

تلك كانت بداية معرفته بالحب .. ويبدو أنه قد استمرأ مرعاه فانطلق يرتع فيه بقية عمره .. ومنذ ذلك الحين لم تكف أجراس قلبه التى دقت لفتاة السيرك على ظهر الفيل .. عن مداومة الدق .. لمحبوبة ما .. تعبر حياته .. فتثير فى نفسه النشوة والضنى .. تسعد أيامه وتؤرق لياليه .

وأحب عبد اللطيف كل الناس .. وغفر لهم ما أصابه من سيئاتهم .. وهى كثيرة .. إذ لم يفاجأ بها قط .. فقد كان أعلم بالتركيب المعقد للإنسان .. اعلم بخليط الحب والكره والطيبة والحقد والسذاجة والمكر الذى يشكل التركيبة الإنسانية وكان يعتقد أن لكل إنسان فى تركيبه المعنوى أوالخلقى وجها وظهرا كما أن لشكله وجها وظهرا .. وأن عليه عندما يتعامل مع الناس أن يواجه ما أمكن وجوههم المعنوية ويتجنب ما أمكنه أقفيتهم الخلقية .. لكى يلقى منهم أطيب مافيهم .. ويكون أقدر على حبهم ..

وكان يؤكد لنفسه أنه ما من إنسان إلا وله ناحية معنوية طيبة .. ووجه خلقى جميل ..وأنه ليس هناك سوى بعض شواذ ليس لهم وجوه .. ولايستطيعون بالتالى أن يواجهوا الغير إلا بأقفيتهم المعنوية .. على كلا الوجهين .. فمركبات السوء أغلب على تكوينهم .. لاتستطيع مهما حاولت بحسن التعامل أن تستدر حسنة من نفوسهم فليس بها سوى مزيج من البغض والحقد والكراهية واللؤم والخسة .

وانطلق عبد اللطيف فى حياته الدراسية .. ضمن آلاف التلاميذ .

ولم يكن هناك شيء يميزه .. سوى ذلك الشيء الخافق في حناياه .

يهفو لوردة تتمايل في نسمة الصباح يقطر الندى من أكمامها .. .

ويهتف لمغرب الشمس تجر أذيالها الحسر من وراء الأفق .. ويدق لطيف جميل .. يلوح بابتسامة مشرقة .. أو همسة عذبة .. تملأ أرجاء الكون نشوة وطربا .

ولم ينفعه ذلك القلب الخافق النشوان .. في الدراسة .. فقد جعل منه تلميذا خائبا .. يكاد .. يلحق في آخر العام بذيل الناجحين .

واشتهر الولد عبد اللطيف في الأسرة الطيبة بأنه ولد (مش فالح) .. وكان يستمع إلى الحوار المستمر بين أمه وأبيه عندما تشكو إليه ..

تقول أمه وقد جلست على الكنبة وأمامها كوم من البامية تتشاغل بتقميعها .. موجهة الحديث إلى الشيخ سليمان وقد انتهى من صلاة العشاء وأخذ يقرأ بعض الأوراد .

ـ وبعدين ياسليمان ؟

ويلتفت إليها سليمان متسائلا :

ـ بعدين في ماذا ؟

ـ في الولد ..

ـ ماله الولد ؟

ـ كل شهر يتأخر عن الشهر الذي يسبقه .

ويضحك الشيخ سليمان قائلا :

ـ أما زالت لديه فرصة للتأخر ؟

ـ ماذا تقصد ؟

ـ ظننته بلغ نهاية الفصل منذ شهرين .. ولست أجد لديه فرصة للتأخر بعد ذلك .. إلا إذا حاول أن يكون أيضا آخر الفصل المجاور .

ـ أهذا موضع سخرية ؟

ـ مادام قد أصبح الأخير .. فماذا نخشى بعد هذا ؟

ـ نخشى أن يرسب فى آخر العام .

ـ وماذا تريدين أن أفعل ؟

ـ كلمه .. لعله يستحى على دمه .

ـ حاضر ..

وينصت عبد اللطيف إلى الحديث الدائر بين أمه وأبيه وهو يجلس فى الحجرة المجاورة يتظاهر بالانكباب على كتاب الجغرافيا وعيناه مسلطتان من مشربية النافذة المقابلة حيث لايفصل بيتهم عن البيت المقابل سوى بضعة أمتار هى عرض حارة الروم فى الدرب الأحمر .. وفى النافذة تقف سعاد .. وهى تصيح بأختها :

ـ ويعدين معاكى ياتحية ..

وأحس عبد اللطيف بصوتها رنين الموسيقى وشدو البلابل وود لو مد يده عبر الحارة من خلال النافذة ليتحسس شعرها ..

مسة واحدة من شعرها .. بكل أيامه الماضية والمقبلة .

كيف يستطيع أن يثبت عينيه على سطور الجغرافيا .. وطيفها الساحر يتهادى أمامه .

فداها الجغرافيا .. بكل قاراتها .. والتاريخ بكل ملوكه .. فداها نفسه وامتحاناته .

وأقبل عليه أبوه يكر حبات السبحة فى يده .. وقف بجواره يرمقه وهو يتظاهر بالانكباب على الكتاب :

ـ ماهى أخبارك ياعبد اللطيف ؟

ـ الحمد لله .

ـ كيف حال الدراسة ؟

ـ ربنا يسهل .

وتناول الشيخ سليمان كتاب الجغرافيا من يده متسائلا :

ـ ماذا تستذكر ؟

وسقطت من الكتاب ورقة .. وتناولها الأب فقرأ مابها .. كان بها بضعة أبيات من الشعر كتبها عبد اللطيف فى فاتنته سعاد .

وهز الأب رأسه وهو يردد أبيات الشعر ثم يتساءل :

ـ أنت كتبت هذا ؟

ورد عبد اللطيف بالإيجاب دون أن يحاول الإنكار .

وقال الأب وهو يعيد الورقة إلى مكانها بين طيات الكتاب :

ـ البيت الثانى مكسور .. والفعل فى البيت الثالث فعل متعد .. وليس فعلا لازما .. والمعنى معاد سبق أن قاله الشريف الرضى .

وناوله الكتاب وهو يردف قائلا :

ـ وذاكر جغرافيا أحسن لك من نظم الشعر .

وهز عبد اللطيف رأسه قائلا فى اقتضاب :

ـ حاضر ..

ـ أمك تقول إنك تتأخر شهرا بعد شهر.

ـ توقفت عن التأخر منذ شهرين .

ـ لأنه لم يكن هناك بعدك أحد .

ـ كان بعدى تلميذ .. غاب طول الشهر لمرضه .

ـ وتقول أمك إنك سترسب آخر العام .

ـ إن شاء الله أكذب ظنها .

ـ إذا سمعت نصيحتى .. دعك .. من هذه الأشياء التى لا تنفع حتى تأخذ الشهادة ..

ثم اتجه إلى النافذة وأغلقها قائلا :

ـ وأغلق هذه النافذة .. لتتجنب تيار الهوى .

ولم يستمع عبد اللطيف لنصح أبيه ..

استمريمارس هذه الأشياء التى لا تنفع .. استمريكتب القصائد .. والقصص . ولم يحاول أبدا أن يتجنب تيار الهوى .. وفى النهاية أخذ

الشهادة ..

وأصبح يحترف هذه لأشياء التى لاتنفع ..

وأصبح يمارس التعرض لتيار الهوى هواية .. أو كعادة مزمنة لايمكن الخلاص منها .

ولم تكن قدرته كطرف من أطراف لعبة الهوى التى يمارسها .. يمكن أن تنبع من شكله .. فهو يعرف جيدا .. أن شكله لايمكن أن يكون أحد عناصر الجذب للطرف الآخر..

ومنذ الصغر وهو يحاول عبثا .. أن يجعل لشكله قيمة .

بدأت المحاولة عندما أبصر رسما فى إحدى المجلات لرجل ذى عضلات بارزة وجسد ضخم يلتف حوله ثعبان هائل وهو يطبق على عنقه بقبضته الحديدية محاولا أن يفتك به وأسفل الصورة إعلان عن معهد القوة والجمال لصاحبه فائق الجوهرى وكيف يمكن بالمراسلة أن يصبح للإنسان مثل هذا الجسد القوى .. والشكل الرائع .

وقال عبد اللطيف لنفسه وهو يتأمل الصورة فى إعجاب :

ـ هل يمكن أن يصبح للمرء حقيقة مثل هذا الجسد الرائع ..

وتخيل نفسه وقد انتفخت عضلاته واستطالت قامته وبرز صدره .. وهو يسير فى الطريق .. وسعاد تستنجد به من معاكسة غليظ ثقيل الدم كان لايفتأ يعاكسها .. وهو يهجم عليه فيمسك به من عنقه ثم يرفعه فى يده ويقذف به فى برميل الطرشى .. ثم يهم بالانصراف فى تواضع ولكن سعاد تلحق به وتشكره وتسأله أن يتفضل بزيارتهم ..

ويعاود عبد اللطيف النظر إلى الإعلان مرددا لنفسه :

ـ أمعقول هذا !

ولم لايجرب .. إن كل ماهو مطلوب منه هو أن يفصل قصاصة الإعلان عن المجلة ويرسلها فى ظرف بعد أن يملأ ما بها من بيانات خاصة بالاسم والسن والعنوان ويطلب الاشتراك فى المعهد نظير بضعة قروش يرسلها

فى صورة طوابع بريد ويحدد فى طلب الاشتراك ماذا يريد ..

وأخذ يملأ البيانات فى القصاصة .. وطلب كل ما يمكن أن يحققه .. طولا .. رشاقة . ذراعين قويتين .. صدرا عريضا ..

ووضع الظرف فى أقرب صندوق بريد وهو فى طريقه إلى المدرسة . هانت ياعبد اللطيف ..

بعد بضعة شهور .. ستصبح كما يقول الإعلان .. رجلا قويا وسيما .. فارع الطول عريض المنكبين ..

ستصبح كذلك الرجل الذى فى الصورة .. هكذا يقول الإعلان .. بغير الثعبان بالطبع ..

ولو أصبحت نصفه .. لكان فى ذلك الكفاية كل الكفاية .. لكى تنهى لعبة الحب التى تمارسها من طرف واحد .. ترقب من بعيد .. وتقرض الشعر .. وتطلق الآهات .. وتناجى النجم تعذبه .. وتقيم الليل وتقعده ..

لن تصبح اللعبة .. مجرد طيف يلوح لناظريك من نافذة .. وصوت يشنف ترديده مسامعك عبر الطريق .. وأنت قابع ترقب فى خوف ..

ستخرج إلى الميدان بجسدك الرائع .. تمارس اللعبة فى غير حشية .. ولاحياء .. ولاخوف من صد أونفور .

ومرت الأيام .. وهو ينتظر الرد من معهد القوة والجمال ..

وفى ذات اليوم دخل أبوه وهويحمل فى يده ظرفا .. قائلا فى نبرات هادئة :

ـ أنت تريد أن تطيل جسدك ؟

وفى هذا البيت الدينى .. والأسرة ذات التقاليد .. كانت عملية إطالة الجسد وتربية العضلات .. تبدو .. إن لم تكن ذنبا .. فهى على الأقل شيئا يدعو إلى السخرية ..

وأحس عبد اللطيف كأنما قد ارتكب منكرا يدعو إلى الخجل .. وقال متسائلا فى استحياء :

ـ أنا .. أطيل جسدى ؟

ومد أبوه يده إليه بالظرف قائلا :

ـ هذه رسالة وصلت إليك من معهد الجمال والقوة ..

وأمسك عبد اللطيف الظرف وهو يتساءل في دهشة :

ـ لى أنا ؟

ـ أجل .. تقول إنهم قبلوا ضمك إلى المعهد .. ويشرحون لك التمرين الأول فى إطالة الجسد ..

ولم يحاول عبد اللطيف أن يفتح الظرف .. وألقاه أمامه فى غير اكتراث .

وأردف أبوه يقول فى هدوء :

ـ بدل هذا العبث الذى تضيع به وقتك .. افعل شيئا مفيدا أحسن لك .

وعندما خلا عبد اللطيف إلى نفسه أقبل على الرسالة يقرؤها .. كان بها التمرين الأول .. ثم طلب اشتراك إضافى لابد من تسديده .. قبل مواصلة الدروس .. وحاول عبد اللطيف أن يقوم بالتمرين .. أمسك بالورقة فى يديه ثم بدأ يثنى جذعه فانقلب على الأرض ..

وحاول ثانية .. وثالثة ..

وبعد الرابعة .. أمسك بالرسالة فمزقها .. قائلا فى يأس :

ـ لا فائدة .

ومن يومها .. رضى بجسده كماهو .. لم يحاول أن يمنحه أى نوع من الرشاقة .. أو الاستطالة .. بل تركه يتشكل كما يتراءى له .. دون أى نوع من أنواع الضغط عليه .. يبرز حيث يريد أن يبرز .. ويضيف إليه من الشحم ما يريد .. وحيث يريد ..

لم يحاول أن يعذب نفسه بتلك الحركات المعذبة التى يسمونها « ألعاب رياضية » .. فلم يكن يحس أن رحلة العمرالمرهقة تحتمل مزيدا من الإرهاق المتعمد بالرياضة أو غيرها من أنواع الحرمان من هذا الطعام أو ذاك

الشراب ..

وهكذا ترك جسده ينمو كما يشا ء.. دون أن يقيده بأى أسلوب من أساليب التهذيب .. أويفرض عليه أي نوع من أنواع الحظر .. بعد أن يئس من أن يجعل منه وسيلة جذب في لعبة الهوى .

ورغم ذلك .. فقد وجد عبد اللطيف نفسه .. دون أن يدرى .. ودون أن يتعمد .. من أشد الناس جاذبية للناس ..

لقد تحول التلميذ الخائب .. بمجرد أن أنهى دراسته .. بخيابة .. إلى مخلوق .. ناجح جذاب ..

ومن عجب .. كانت عناصر النجاح والجذب في نضجه .. هي نفسها عناصر .. الخيبة والفشل في صباه ..

المخلوق الحساس الشفاف .. الذائب من ترنيمة شاد .. النائح من تنهيدة محزون أو موجوع .. بات لكلماته التي كانت تضيع وقته .. وتصرفه عن درسه .. طعم .. وقيمة .

بات .. العبث الذي كان يمارسه .. خلال الدروس .. هو الأصل في حياته .. وباتت الدروس بالنسبة له عبثا أضاع فيه أيامه الخوالي .

وسبحان مغير الأحوال .

واحترف الكتابة .

وباتت كلماته .. سر جاذبيته ..

وبذكائه .. ومشاعره الحارة ..

بنقاء ذهنه .. وصفاء قلبه .. أصبح إنسانا جذابا .. على الورق .. وبين الناس ..

لن يشعر أبدا بحاجته إلى جاذبية الشكل .. بعد أن طغت جاذبيته المعنوية على كل ماعداها .

وانطلق يعيش بحرارة .. يحب وينفعل ويكتب .. ويستمتع بكل مافي الحياة .. من جمال .. ويقاسي كل مافيها من مرارة ..

ولم يحاول أن يزج بنفسه فى معترك الزواج ..

ولم يكن يحس بنفسه القدرة على تحمل مسئوليته . ولاكان يعتبره الحل النهائى .. لمشكلة الرجل والمرأة .. بل لم يكن يعتبره أصلا حلا لمشكلتهما معا .. بل كان يعتبره بداية حقيقية لهذه المشكلة .

وكان يعرف بحكم التجارب التى عاشها من حوله .. أن الزواج ليس هو المحقق لأمانى المحبين .. بل هو المنتهى الذى تقف عنده أمانيهم .. ويتحول إلى شركة يتحتم لنجاحها صفات هى أبعد ماتكون عن الصفات التى يتلهف عليها كل المحبين خلال لوثة الحب . وهو يعرف أن المحب النموذجى .. لا يشكل بالضرورة زوجا نموذجيا ..

قد تتوافر فى مخلوق بالصدفة .. صفات المحب النموذجية .. وصفات الزوج النموذجية .. فينتهى الحب إلى زواج سعيد .. فإذا لم تتوافر صفات الزوج النموذجى .. فى المحب .. وهى صفات أبعد ما تكون عن أن تخطر ببال المحبين ـ أهمها الإحساس بمسئولية الشركة ـ تحول الحب بعد الزواج إلى كارثة ..

وإذا كان عبد اللطيف محبا نموذجيا .. فهو قطعا .. لم يكن بالذى يمكن أن يصبح زوجا نموذجيا .. بكل ما فيه من رغبة فى أن يفعل مايشاء حينما يشاء .. دون التقيد بنظام ما .. أو ارتباط بشخص ما ..

كان يستيقظ فى الظهيرة وينام قبيل الفجر .

وكان يحب الليل .. بسكونه .. ونجومه .. يحبه بكل مافيه من مجون .. وأشجان .. يحب دفئه بين الجدران فى الليالى القارصة .. ويحب نسماته الرطبة الطليقة .. فى لياليه الدافئة .

وكان يقول لأصحابه دائما :

ـ لايقيد الإنسان فى حياته .. غير الأسرة .. وحسن السمعة .

وهكذا انطلق يتجنب بقدر ما يستطيع الارتباط بحمل الأسرة .. أو الاكتساء بحسن السمعة .

وظل يتنقل من دار جريدة .. لدار جريدة أخرى .

ومن حبيبة إلى حبيبة .

حتى استقر أخيرا فى مجلة الزمان .. كمكان عمل .

واستقر على شهيرة .. كمرتع حب .

أما عن الزمان ..

فقد وجد فيها دنياه الحافلة .. بالمخلوقات والأحداث .. دنيا الصحافة بكل مافيها من تناقضات .. دنيا السلطة الرابعة بكل مافيها من سطوة .. وحق .. وقوة .. وكبرياء .. وشجاعة .. وضعف .. ورياء .. وخداع .. وكذب .. وتضليل .. وإرهاب .. وبلطجة..

ومارس عبد اللطيف حياته فيها .. ممارسة المجرب .. المحنك .. الخبير بكل النماذج البشرية .. يقبلها فى ترحاب .. ويتلقى مساوئها .. تلقى المنتظر المتوقع .. لايستغربها ولايستنكرها .. مهما بلغت من سوء .. يقبل السيئة بغير أسف .. ويمنح الحسنة .. بغير انتظار رد أو اعتراف بالجميل ..

وعندما يلومه لائم على عبطه وبلاهته .. لاستمراره فى مساندة من خذله وكفر بنعمته ، يقول ببساطة « لاتجعل سيئات الغير .. تبدل خلقك .. وتغير معالم نفسك » .

. واحتل فى المجلة مكان « العمدة » .. وجعل من مكتبه مصطبة .. ومن بيته .. دوارا .. يلجأ إليه كل متعب .. أو شاك .. أومظلوم .. أو قرفان من الحياة ..

وأقبل عليه الجميع .. بوجوههم مكشوفة .. بلا خوف ولاخجل .. أقبلوا عليه .. بذنوبهم .. ومساوئهم .. وفضائحهم .. فقد كانوا يجدون عنده .. دائما .. العذر .. والراحة .. والأمان .

ولقد حاول أن يقدم النصح لكل منهم .. عبثا .. فانتهى الأمر به إلى أن يأخذهم على علاتهم .. ويتقبلهم .. بكل ما فيهم من سخافات .. كأمر مسلم به وكشكل لابديل له .. ولامفر منه .

ألم يكن هو نفسه .. صاحب سيئات ؟ ..

هل أتعظ بنصح أحد ؟ ..

قالت له أمه ذاكر .. فلم يذاكر ..

وقال له أبوه .. دعك من هذه الأشياء المضيعة للوقت .. فزاد إقبالا عليها ..

ثم كبر .. وأصبح .. ما هوعليه .. بكل مافيه من سيئات .. ولو استطاع أن يغير نفسه .. لما أضحى ماهو .. بل أضحى شيئا آخر .. ربما أفضل .. وربما أسوأ ..

ولكن الإنسان .. يصبح ماهو عليه .. بكل مافيه من سيئات وحسنات .. تركيبة متناقضة .. وخليط عجيب .. يشكل منه .. المخلوق الذى يقذفه القدر إلى الحياة .. وإلى الناس ..

لماذا ينصح الناس أن يكفوا عن سيئاتهم .. وهو لم يستطع بعد هذا العمر أن يخلص من سيئاته ..

السهر .. والشرب .. والحب .. والمزاح .. والمقالب ..

أليست تلك هى سيئاته ؟ ..

ولو خلص منها .. فماذا يبقى له ؟ ..

ماذا يبقى له .. يواجه به الناس .. كشخصه ؟ . لا كمخلوق آخر .. يختلف عنه جد الاختلاف .. كعبود أفندى كاتب الحسابات .. أو الأستاذ شكرى .. رئيس قلم القيودات ..

لم يستطع أن يغير نفسه .. ولن يستطيع أن يغيرالناس .. فليأخذهم على علاتهم .. كما أخذوه على علاته .

كان عليه أن يأخذ الأستاذ عبيد بكل مافيه من غرور واستعلاء .. كظاهرة لامفر من قبولها .. كما هى ..

كان عبيد يقبل عليه بجسده الطويل وقامته الزعامية وشعره المنكوش فوق رأسه .. ويجلس واضعا ساقا على ساق قائلا له :

ـ مارأيك في الهمسة التى كتبتها اليوم ؟

ولم يكن عبد اللطيف قد فهم منها شيئا . كان يعرف أن عبيد .. يحاول أن يكون صاحب أسلوب .. فكان يحول الكلام المفهوم الذى يريد أن يقوله .. إلى كلام غيرمفهوم .. وقال له عبد اللطيف ذات مرة :

ـ لماذا لاتكتب كلاما بسيطا كالذى تتكلمه ؟

ـ أكتب كما أتكلم .. كيف ؟

ـ حتى يفهمك الناس .

ـ ولكن الكتابة شيء والكلام شيء آخر.. يجب أن يكون الكاتب صاحب أسلوب .

ـ الكاتب بطبيعته صاحب أسلوب .. ولكن غيرالكاتب لايستطيع بتكلفه أسلوبا ما .. أن يصبح كاتبا ..

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى أنك لست كاتبا .. فلا داعى لأن تجهد نفسك .. وتتكلف أسلوبا .. فيصبح كلامك غيرمفهوم .

وغضب الأستاذ عبيد .. واستمر يكتب كلامه غير المفهوم .. ومن يومها .. لم يحاول عبد اللطيف أن يردعه .. بل تركه وأسلوبه للقارىء .. يفهم منه ما يشاء .

وأقبل عليه الأستاذ جاد الله وقال له متفاخرا :

ـ كان عندى بالأمس .. كمال عبد الرحيم المخرج ورجانى أن أنشر وجهة نظره فى معركته مع المنتج البشلاوى ..

ـ ونشرتها ؟

ـ لا بالطبع . لأنى قررت أن أتخذ موقفا محايدا .

ـ عملت طيب .

وفى العدد التالى .. لم يجد فقط وجهة نظر المخرج بل وجد حملة شعواء على المنتج ..

وبعد بضعة أيام عرف أن الأستاذ جاد الله يكتب سيناريو الفيلم الجديد الذى سيخرجة المخرج كمال عبد الرحيم .

ولم يجد عبد اللطيف ما يقول له سوى :

ـ مبروك الفيلم الجديد .. لم أكن أعرف أنك كاتب سيناريو ..

وضحك جاد الله قائلا :

ـ هى شغلانة .. أهى كلها كتابة .

ولم يكن عبد اللطيف يجد فى هذه السيئات البسيطة من الخطورة .. أكثرمما يجد فى بقية سيئات الناس الطبيعية .. ولكن أقسى الخطر الذى كان يحس منه .. هو ما لمسه من خروج أحقاد البعض .. من مجالاتهم الخاصة .. إلى المجال العام .. عن طريق الكلمة المطبوعة فى الصحافة .. التى يسلم الناس بها .. كحقيقة واقعة .

أقبل عليه الأستاذ سرحان وعلى وجهه سيماء الشماتة والفرحة قائلا :

ـ سبق صحفى ياأستاذ حققته لمجلة هذا الأسبوع .

ـ ماهو ؟

ـ مدير مؤسسة سرق أموال المؤسسة .

ـ سرق أموال المؤسسة ؟

ـ أجل .

ـ هل صدر عليه الحكم ؟

ـ إنه مقدم للتحقيق .

ـ ولكن قد يبرأ ..

ـ لا .. لا .. بل سيدان ويحكم عليه .

ـ من عرفك ؟

ـ أنا واثق .

ـ هل اطلعت على أدلة الاتهام .. واطلعت على مستندات الدفاع ..

ـ يا أخى .. لقد سرق الرجل أموال المؤسسة .. إنى أعلم ذلك يقينا .

ـ وإذا برىء ؟

ـ تبقى كارثة ..

ـ هل تحب أن يدان ؟

ـ طبعا .. لقد نشرنا عنوانا كبيرا .. مديرمؤسسة يسرق مائة ألف جنيه .

ـ هل كتبت « يسرق » أو يتهم بالسرقة ؟

ـ كتبت يسرق ..

ـ الله يخرب بيتك .. ألا تدرى أنك تدين الرجل قبل أن يدينه القضاء ؟ ..

ـ يا أخى .. فوت .

ـ أفوت ازاى .. هل تحب أن ينشر عن أبيك أنه مجرم .. لمجرد اتهام يوجه إليه ؟ ..

ـ وماله أبى فى هذا الموضوع ؟

ـ ياسيدنا .. هذا رجل له أولاد .. فى المدارس أو فى الوظائف .. كيف يواجهون الناس ؟ .. وإنك قد أثبت على أبيهم تهمة السرقة .. وأدنته .. بمجرد الشبهة .

ـ ماذا كنت تريد منى أن أكتب ؟

ـ تكتب الحقيقة .. بدقة .. كما عرفتها .

ـ ولكنها لن تكون مثيرة .. هل تريدنى أن أقول أن تحقيقا يجرى مع مدير إحدى المؤسسات .. لبعض مخالفات اكتشفت بواسطة ديوان المحاسبة ؟

ـ ولم لا .. إن الأمانة الصحفية تقتضينا هذا .. يجب أن نجعل الناس يحترمون كل مانقول .. ويصدقونه بدقة ..

ـ ولكنهم يصدقونه .. كما هو .

ـ هذه هى المصيبة .

ولم يستطع عبد اللطيف أن يوقف .. نفث الأحقاد من بعض الصدور

على الورق .. ولااستطاع .. أن يقنع الزملاء .. أن صفحات المجلة ليست .. إقطاعيات خاصة يمارس كل منهم فيها سلطاته بغير حدود .. يمنح المديح لمن يحب .. ويصب السخط على من يكره .. ينشر بها الهبات وينفث منها الأحقاد ..

ولااستطاع أن يقنع بعض المستخفين بمسئولية الكلمة .. أنها كحد الموسى .. لاتقذف باستخفاف ذات اليمين وذات اليسار .. لأنها قد تجرح وقد تذبح .

لم يستطع أن يقنع الأستاذ صلحاوي .. بأن القلم ليس .. بلطة في يده يقذف بها من يشاء .. لحساب من يشاء ..

أقبل عليه صلحاوي ذات يوم ضاحكا وهويقول :

ـ قتلت مدير مؤسسة النقل في المقالة التي كتبتها اليوم .

ـ لافائدة منك ياصلحاوي .

ـ لماذا ؟ .. لقد أعجب المقال كل من قرأه .. قالوا لي إن دمه خفيف جدا ..

ـ إن من يشنكل إنسانا في الطريق .. أو يصفع ممثلا على المسرح .. يضحك الناس ..

ـ ولكني لاأصفع .. إني أذبح ..

ـ لوعرفت أن الذي تذبحه يمكن أن يذبحك .. لما وجهت السلاح إليه..

ـ من هو الذي يستطيع أن يذبحني ..

ـ أنت تعرفهم تماما .. وتعرف كيف تقدم إليهم أغصان الزيتون .

ولم يقل له شيئا بعد هذا ..

ولاقال لغيره ..

أخذهم على علاتهم .. لأنه لم يستطع أن يقنعهم بتغيير أنفسهم .. لأنهم بشر .

ولأنه هو نفسه .. كان يمارس بعض خطاياهم في بعض الأوقات ..

ألم يكن يكتب فى نفثاته .. مناجاته الحلوة إلى حبيباته ..ألم يكن يبث على صفحات المجلة لوعته .. ويسطر وجيعته ؟

ألم يكن يمدح من يحب .. ويهجو من يكره ؟

ألم يكن يخدم القريبين إليه .. بنشر صورة أو بكتابة خبر ..

ألم يكن يجامل فى صفحته .. وكأنها عزبة يملكها ؟ ..

الفارق بينه وبين غيره .. أن الناس تحب ما يكتب .. وتقبل عليه فى شغف .. وطرب ؟

ألم تكن قصائده التى غنوها .. وقائع حال .. ينفث به عما فى صدره .. من حرمان ولوعة ووجيعة وضنى .

بل ألم يفسح المجال لشهيرة ـ آخر من أحب ـ على صفحات المجلة ..لكى تنشر من المقالات والآراء والأحاديث .. مالم يستطيعه .. عشرات الكتاب الذين يقفون بباب المجلة ..يطرقون الباب فى إلحاح دون أن يؤذن لهم .. بالدخول إلى صفحات المجلة التى ترتع فيها شهيرة .. بما كتبته ومالم تكتبه؟

لقد كان عبد اللطيف بشرا .. ولقد كان أدرى الناس بميول البشر .. وسيئات البشر ..

فأخذ الجميع على علاتهم .. وقبلهم بكل مافيهم من سيئات ..

والتفوا حوله .. بنفوس مكشوفة .. لاتستحى من سيئاتها لأنه كان يعرفها .. ويغفرها ويمارس بعضها .

ولم يحاول أن يكتسى بحسن السمعة ... لأنه كان يكره النفاق .. ولأنه .. كان يجد أن سوء السمعة وقاية من الإشاعات ..

لقد كان يقول عن نفسه أسوأ مايمكن أن يقوله مروجو الإشاعات لقطع بذلك الطريق عليهم .

وهكذا اكتسب شجاعته بمواجهة القدر بلا أسرة يصوب إليها طعناته .. وبمواجهة الناس بلا سمعة .. يصوبون إليها ألسنتهم .

شىء واحد لم يستطع أن يواجهه .. وهو قلبه .. مكمن الضعف فيه .

وكان آخرما تصيده منه شهيرة .

٥ ــ شركة بالإكراه

كان أول لقاء لعبد اللطيف بشهيرة فى ليلة من ليالى الصيف . كان يجلس فى مكتبه وقد انتهى من قراءة بروفة مقاله وسلمه لعبد الراضى قائلا :

ــ سلم المقال للأسطى عبد العزيز لأنه ينتظره منذ المغرب وطباعة الملزمة معطلة من أجله .

وتناول عبد الراضى الورق من عبد اللطيف متسائلا :

ــ أتريدنى بعد هذا فى شىء .. هل أجهز لك العشاء ؟

ــ لا .. تستطيع أن تذهب حيث تشاء .

ــ وأين ستتعشى ؟

ــ عندى دعوتان للعشاء .. وأنا حائر إلى أيهما أذهب .. هل أذهب إلى حفل تكريم الشاعر اللبنانى زهير . أم أذهب إلى عيد ميلاد الأستاذ صلاح شوكت المخرج ؟

وهز عبد الراضى رأسه قائلا فى هدوء :

ــ اذهب إلى البيت ونم أحسن لك .. لقد مضى عليك أسبوع لم تنم ساعة واحدة بالليل .. حتى بت لاتعرف النوم إلابالأقراص .

ــ غدا سننام كثيرا ياعبد الراضى .

وقال عبد الراضى وهو يتجه إلى الباب :

ــ أبعد الله عنك نومة الغد وأمد الله فى عمرك .

ودق جرس التليفون فرفع عبد اللطيف السماعة قائلا :

ـ أهلا فتوح .. من أين تتكلم ؟ ..

ـ من بيت هالة .

ـ وماذا تفعل هناك ؟

ـ كنت مدعوا إلى حفل أقامته جمعية الطفولة المشردة .. وقد التقيت بها هناك فأصرت على دعوتنا للعشاء .. ماذا تفعل أنت ؟

ـ انتهيت من تصحيح المقال .. وحائرا هل أذهب إلى حفل زهير أم إلى ميلاد صلاح شوكت .. أم أذهب لأنام كما ينصحنى عبد الراضى ؟

وصمت فتوح لحظة كأنه يكلم أحدا بجواره ثم قال :

ـ اسمع .. ما رأيك فى أن تدعك من هذا كله وتأتى إلينا ؟ ..

وأجاب عبد اللطيف فى صوت يغلبه الحزن :

ـ لاداعى يافتوح لهذه المتاعب .. لقد انتهينا .

ورد فتوح فى صوت خفيض :

ـ أى متاعب ؟ انتظر لحظة على التليفون حتى أنقله إلى الحجرة الأخرى لأعرف كيف أكلمك على راحتى .

وبعد لحظة سمع صوته يقول :

ـ اسمع يا عبد اللطيف .. إن هالة تريدك .. إنها هى التى طلبت منى أن أدعوك .. بل أؤكد لك أنها لم تدعنا إلا من أجلك .

ـ ماذا تريد منى .. بعد كل مافعلت ؟

ـ إنها تريد أن تتفاهم معك ..

ـ لم يعد هناك سبيل للتفاهم .. دعنا من هذا كله أرجوك .

ـ اسمع .. سأدعها تكلمك بنفسها .

وأحس عبد اللطيف بالأحمق الذى يسكن صدره .. يدق بعنف عندما سمع صوت هالة يهتف فى رقة :

ـ لطيف ؟ !! .. أهنت عليك إلى هذا الحد ؟ ..

قطعا لم تهن .. إنها مجرد محاولة فاشلة للاحتفاظ بالكرامة .

كان عليه أن يحاول الهجر والقطيعة .. بعدما أبصرها تجلس في شرفتها في حالة وله مع جمال مخرج آخر أفلامها .. وهي حبه المقدس .. والهته التي تغنى بها ورفعها إلى السماء ونظم في حبها القصائد ..

ورصع بصورها الصفحات .

وأحس عبد اللطيف ليلتذاك بالطعنة تدمي قلبه ..

وتحولت طعنة الخيانة الدامية .. إلى قصائد .. تنشد .. ونفثات .. تروى .. وأنات تتصاعد بين السطور .

ومرت الأيام .. وهو مصر على القطيعة والبعد .. والحرمان يؤرقه .. والهجر يسهد لياليه .. وراح يحاول التعزى .. بهذه الحبيبة وتلك .. من رصيده الاحتياطي من الحبيبات .. حتى هتف به صوتها تسأله عما إذا كانت قد هانت عليه .

كيف تهون عليه ؟ .. وهي روحه وقلبه .. رغم كل خياناتها .. فداها نفسه .. وعمره .. وكرامته .. قبل أن تهون .

هبط الدرج وهو ينادي عبد الراضي لكي يطلب له تاكسي .. وتساءل عبد الراضي :

ـ إلى أين قررت المضي ياأستاذ ؟

ـ إلى الجيزة .

وابتسم عبد الراضي في نوع من الشماتة :

ـ قلت هكذا .. قالوا اطلعوا من البلد .. عادت ريمة لعادتها القديمة .

جلس عبد اللطيف في التاكسي وهو يهتف بالسائق :

ـ إلى الجيزة يا أسطى .. أمام جنينة الحيوانات .

وضرب عبد الراضي كفا بكف وهو يقول :

ـ كان لزومه إيه .. الفضايح التي عملتها في القصائد ؟ ..

ودلف عبد اللطيف من باب العمارة .. وحمله المصعد إلى أعلاها في الدور العاشر حيث تقطن هالة .

ووقف يدق جرس الباب وبعد لحظة فتحت له أم حكمت الخادمة وهتفت به مرحبة :

ـــ أهلا .. وسهلا .. أهلا وسهلا .. عاش من شافك يا أستاذ .. لماذا هذه الغيبة .. بعد أن عودتنا على رؤيتك كل يوم ؟..

وحيا عبد اللطيف أم حكمت في حرارة ثم اتخذ طريقه من الصالة إلى الشرفة الكبيرة المطلة عبر الشارع على الحديقة الكبيرة بأشجارها الممتدة المتكاثفة .

وأقبلت هالة تحييه بحرارة ولهفة ..

ورد هو تحيتها بلهفة أشد وكأن شيئا لم يقع بينهما .. واتجه إلى الحاضرين يحييهم في مرح .

ومن بين الحاضرين .. كانت شهيرة .

ومن النظرة الأولى .. نسي قلبه الأحمق دقاته لهالة .. ونسي أشواقه ولهفته وعتابه وحسابه .. وانحرف عن طريقه فجأة .. كما تنحرف عربة السكة الحديد عن الشريط .. واتجه بكل نبضاته .. ليندفع هاويا .. إلى حبه الجديد .

كانت شهيرة تجلس بجوار سور الشرفة ..

ومن ورائها يمتد الطرف الشرقي للقاهرة .. يبدأ بالأشجار المتكاثفة لحديقة الحيوانات والأورمان .. تلفها الظلمة .. وتخشخش أوراقها من هبات النسيم .. ومن ورائها تبدو قبة الجامعة .. والأبنية والمزارع .. حتى الأهرام .. تلوح وسط الظلمة في ضوء أصفر باهت .. يسلطه عليها مشروع الصوت والضوء .

وكانت شهيرة تتكيء بيمناها معتمدة على السور الحديدي للشرفة ، وقد أسندت رأسها مائلة على ذراعها .. وانساب شعرها يغطي نصف وجهها ثم يتهدل على كتفها ، وعندما أقبل عليها وثبت من مكانها تحييه في حماسة مرحبة :

ـ تمنيت دائما أن أراك .. لاتتصور كم سعدت عندما قالوا إنك ستأتي.

ولم يكن في حديثها تكلف .. بل كانت تغلب عليه خفة ونزق لم يتعوده من الإناث الجميلات .

وكانت أنثى جميلة ما في ذلك شك .. رغم كل تصرفاتها التي تبديها كولد شقي .

كانت حلوة .. بعينيها السوداوين المرسومتين جيدا .. تظلهما أهداب تتحرك فوقهما كالمروحة .. وتكاد تمس وجه المتحدث إليها في كل طرفة عين ..

ولم يكن أحلى .. مافيها تقاطيع وجهها .. فقد كانت لأنفها طرطوفة مقصومة إلى أعلى .. وكان فمها أميل إلى الاتساع .. في شفتين ممتلئتين تنفرجان عن أسنان منتظمة بيضاء ..

ولكن وجهها ـ على بعضه ـ كان شيئا شديد الجاذبية .. في ابتساماته ولفتاته .. قادرا على أن يشد الانتباه وسط غيره من الوجوه التي قد تفوقه بمقاييس الجمال العادية المصطلح عليها .

وكان جسدها أميل إلى النحول .. وإن بدا ممتلئا في الأماكن الواجبة الامتلاء .. سواء كان ذلك امتلاء طبيعيا .. أو مصنوعا .. بالحشو أو بتفصيلة الثوب .. كما بدت ساقاها طويلتين مستقيمتين في غير عجف .. ولا اعوجاج ..

واستطاع عبد اللطيف أن يلمح ذلك كله في نظرة خاطفة .. فقد كان يملك قدرة خارقة بالنظر والحس .. في استيعاب الجمال .. والحكم عليه .

واستقرت يدها في يده .. وهو ينظر إليها مشدوها .

ورد على ترحابها قائلا في رنة أسف :

ـ كنت تتمنين أن تريني .. وأنا لا أدري .. يالضيعة العمر الذي مضى قبل أن ألقاك ! ..

وضحك فتوح وقال وهو يصفق بيديه :

ـ مطلع أغنية جديدة ..

وأكمل صلحاوى يقول وهويغمز بعينه :

ـ لمهمة جديدة ..

ثم مال نحو هالة وهو يردف قائلا :

ـ راحت عليك ياست .

ولم يبد أن هالة قد أخذت الأمور مأخذ الجد فقد ردت مازحة :

ـ عبد اللطيف سيبقى صديق العمر .. إنه أخى .

وقال عبد اللطيف مؤكدا وهو مازال ممسكا بيد شهيرة :

ـ طبعا .. إن هالة أعز من أخت .

وسحبت شهيرة كفها من يده وقد أحست بشىء من التوريط والأنظار تحدق فيها . واستقرت على مقعدها . وشد عبد اللطيف مقعدا واستقر بجوارها .

وعاود الحاضرون اهتمامهم بما كانوا يباشرونه قبل وصول عبد اللطيف .. من شرب ومناقشة والتقاط لقمات المزة من فوق المنضدة .

ونسى عبد اللطيف .. كل ماكان قد أعده من عتاب لهالة .. ونسى كل مشروعاته التى خططها لعلاقتهما المستقبلة .. وبدت هالة وكأنها قد أرضتها مجرد عودته .. ولم يضايقها إقباله على شهيرة .. بل لقد أحست بامتنان لها .. وهى تريحها من عناء لهفته وفرط إقباله .. وحرارة حبه .

وأقبلت شهيرة عليه بابتسامتها الحلوة التى تشيع الإشراق فى كل وجهها وقالت فى فرحة :

ـ لا أكاد أصدق أنى أجلس معك .

ورد ببساطة :

ـ ولا أنا ..

وعاد يتأمل وجهها وهى مازالت مبتسمة ثم تساءل قائلا :

ـ أول مرة أراك هنا .

ـ لإنها أول مرة آتى إلى هنا

ـ وكيف حدث ذلك ؟

ـ محض صدفة .. كنا فى اجتماع على الشاى فى نادى الجزيرة لبدء الدعوةلحملة التبرعات لجمعية الطفولة المشردة ..

ـ أنت عضو فيها ؟

ـ اشتركت منذ بضعة أشهر عن طريق خالتى علية ذكرى وكيلة الجمعية .. فقد أحسست أن لدى فراغا لابد أن أشغله .

ـ ألا تعملين ؟

ـ تزوجت بعد أن تخرجت فى الجامعة مباشرة .

ولم يحس عبد اللطيف بارتياح عندما علم أنها متزوجة .. وداخله شعور بخيبة الأمل ..

ولم يستطع أن يخفى دهشته وهو يتساءل :

ـ أأنت متزوجة ؟

وضحكت شهيرة وتساءلت فى اغتباط :

ـ ألا أبدو كذلك ؟

ـ مطلقا ..

ـ ماذا تقول إذا عرفت أنى أم ؟

ـ غير معقول ؟

ـ لاثنين .. ولد .. وبنت .

ـ أنت أم ؟

ـ ولم لا .

ـ تبدين وكأنك لم تتجاوزى السابعة عشرة .

وضحكت شهيرة وأجابته وهى تبسط كفيها إلى أعلى :

ـ ربنا يجبر بخاطرك .

وعاد عبد اللطيف يتساءل وقد أطربه أسلوبها البلدى فى الرد عليه :

ـ متى تزوجت .. ومتى أنجبت .. وماعمر ولديك ؟

ـ إلى هنا وكفى .. ربنا أمر بالستر .

ـ لاأظنهما يزيدان على سنة وسنتين .

واستغرقت شهيرة في الضحك وهى تقول :

ـ يبدو أنى لا أستطيع أن أتستر .. لقد فضحنى القرد الصغير لأنه ذهب إلى المدرسة منذ عامين .. وراوية قد لحقت به هذا العام .

وألقت بشعرها إلى الوراء وهى تعاود الضحك قائلة :

ـ المفروض أن أدعى أنى تزوجت فى السادسة عشرة وأن محمود لايتجاوز الخامسة .. فأضع نفسى بذلك فى الواحدة والعشرين .. ولكن المصيبة أنى لم أتزوج إلابعد أن تخرجت فى الجامعة ..

وقال عبد اللطيف وهويتأملها فى إعجاب زائد :

ـ سنك لاتهم .. المهم أنك رائعة .

وأحست شهيرة أنها قد تغالت فى تكبير سنها فاستدركت قائلة :

ـ على أية حال ـ مازال أمامى بضعة أعوام حتى أصل إلى الثلاثين ..

ورد صلحاوى وهويلتقط حديثها قائلا :

ـ ولاأظنك بعد هذه الأعوام ستبلغينها . إن الثلاثين سن عسيرة البلوغ على السيدات .. وإنما يقفن دونها فلا يتجاوزنها أبدا ..

وقالت هالة مقاطعة :

ـ هيا يا جماعة .. إلى العشاء .. إن الطعام موجود على المنضدة .. فليغرف كل منكم لنفسه مايشاء .. أنت لستم غرباء .

ونهض عبد اللطيف وهو يقول لشهيرة :

ـ استريحى أنت .. سأحضر أنا الطعام لكلينا .. هل تريدين شيئا خاصا ؟

ووثبت شهيرة من مكانها فى خفة وهى تقول ضاحكة :

ـ أهذا معقول ؟ ..

ــ ولم لا .. الرجال .. قوامون على النساء .

ـ ياأستاذ عبد اللطيف . إنى سيدة بيت .. لاتنس أننا فى مجتمع شرقى .. تخدم المرأة فيه الرجل ماداما فى البيت ..

ــ لست أتصورك تخدمين أحدا .. بل أتصور كل الناس فى خدمتك .

ــ الله يخليك ..

ــ إنى أتكلم جادا .

ــ لاتدعنى أخدع فى نفسى ..

ــ بل إنى أعرفك بنفسك ..

ــ إنك لطيف .. ألطف مما كنت أتصور.. رغم كل إعجابى بك .

وأحس عبد اللطيف بنشوة من إطرائها له .

لقد أراحته كلماتها .. وأزالت عنه كل ماكان يشعر به من تعب وإرهاق ..

عجب ماتستطيع أن تفعل به الكلمات الطيبة ! .

وعجب ماتفعل به الكلمات السيئة .

رغم أنها .. هذه .. أو تلك .. مجرد كلمات .

وهم بالاتجاه نحو حجرة الطعام ولكنها أمسكت به من يده وهى ترجو قائلة :

ــ أرجوك .. دعنى أمارس مهمتى الطبيعية ..

وعاد عبد اللطيف يستقر على مقعده .. وهو يحدق فى الفراغ المتبسط أمامه .. الأشجار.. والأنوار .. والقباب .. والأفق الذى يمزج الظلمة فيه سماء ه بأرضه .. وتختلط نجوم السماء المرتجفة .. بذبالات الأرض المتراقصة .

وود لو أضحى جزءا من هذا الفراغ .. ليتحرك بلاحدود .. ولا قيود .. نسمة طليقة .. تسرى بين السحب .. وتنساب بين الدور .. وتنطلق إلى أمواج البحر .. حرة .. بلا قيد يشدها إلى الأرض .. وبلا عبء يشغلها عن

الانطلاق والسريان ..

ولكن .. فى الأرض أشياء جميلة .. لايستطيع أن يمارسها .. إلاوهو فى قيد جسده .. لابد أن يتشكل .. لكى يكون شيئا منظورا .. ملموسا .. لكى يلتقى مع هذه الأشياء الجميلة المنظورة الملموسة .. لكى يتبادل وإياها .. متعة الوجود بالنظر واللمس ..

ومن بين هذه الأشياء الجميلة .. هذه المخلوقة الرائعة .. التى تجسد أجمل الأشياء المنظورة الملموسة .. أجمل مايرتبط بهذه الأرض . .

وعادت شهيرة تحمل طبقين فى يدها ووضعتهما على المنضدة الصغيرة وهى تتساءل :

ـ أرجو أن أكون عند حسن ظنك فى الانتقاء .

ـ فتنتك شغلتنى ..عما سواها .. ولم يعد لى قدرة على التمييز بين هذا الطعام وذاك .. ولاعدت أذكر ما أحب وما لا أحب .

وابتسمت شهيرة وهى تتخذ مقعدها بجواره :

ـ رويدك على .. أنا لست حملك .

ـ لست حملى أنا ؟

ـ أجل .. لاتمارس فى كل قدرتك كشاعر .. فأنا لاأحتمل .

ـ إنى أتحدث كإنسان .. ولست كشاعر .

ـ أجمل شىء فيك أنك إنسان ..

وصمتت برهة وهى تتشاغل بطبقها ثم أردفت :

ـ ولكن مع ذلك .. أسألك الرفق .. فإنى لم أتعود كل هذا التدليل ..

ـ عجيب .. من الذى يدلل إن لم تدللى أنت ؟ ..

وردت ضاحكة فى شىء من السخرية :

ـ قل لهم ..

ـ لاتدعينى أتهم بالقصور .. أولئك الذين لايعرفون قدرك .

ومس قوله من نفسها موضعا حساسا .. وشردت برهة .. ثم نفضت

عن نفسها الشرود .. وعادت تقول ضاحكة :

ـ شاعر الحى لا يسليه .

وتناول عبد اللطيف شيئا من طبقه فى غيراكترات ثم أقبل عليها فى اهتمام أشد قائلا :

ـ حدثينى .

ـ عن ماذا ؟

ـ عن شاعر الحى .

ـ حدثنى أنت عن شاعر البلد ..

ـ لا أظن أن لدى ما أقول عن نفسى .. أكثرما نشرت .. إنى .. أحيا حياة علنية .. أعريها أولا بأول على الصفحات أمام عيون القراء .. لم يعد لدى شىء أخفيه ..

ـ حدثنى كيف تعيش حياتك فى البيت ..

ـ يعرف هذا أفضل منى .. عبد الراضى .

ـ عبد الراضى من ؟

ـ صديقى فى المجلة وفى البيت .. أول من يوقظنى .. وآخر من يودعنى قبل الانطلاق إلى حياة الليل .

ـ وماذا يعمل ؟ ..

ـ كبير فراشى .. مجلة الزمان ..

وضحكت شهيرة قائلة :

ـ لابد أنه مخلوق متميز .. هذا الذى يحظى بصحبتك ؟

ـ لست أظنه متميزا فى شىء .. سوى أنه إنسان طبيعى تستطيعين أن تلمسى فيه بوضوح كل خصال الإنسان الطبيعى .. بحسناته وسيئاته .. يستمتع بحياته بقدرماتسمح به قدرته .. ويمارس جميع النزوات التى يبيحها له مجتمعه .. وعندما يرغب فى امرأة يتناولها ـ كما يقول ـ على سنة الله ورسوله .. وقد تزوج حتى الآن ستا .. طلق منهن ثلاثا .. ويحاول الخلاص

من الباقى .

واستغرقت شهيرة فى الضحك قائلة :

ـ يبدو أنه إنسان عجيب .

ـ إن خبرما فيه .. أنه يتعامل مع المجتمع .. بأسلوب هذا المجتمع .

ـ لاأظن التعامل مع مجتمعنا بالأمرالسهل .

وأطلقت شهيرة تنهيدة نمت عما تختزنه فى صدرها .

وعاود عبد اللطيف التساؤل :

ـ لم تحدثينى عن شاعر الحى بعد .

ـ ماذا تريد أن تعرف .

ـ شيئا أكثر مماعرفت .

ـ وماذا عرفت ؟

ـ عرفت أنك متزوجة .. ولك ابن وابنة .. وأنك ست بيت .

ـ وماذا أيضا ؟

ـ شيئا يتناقض مع كل ماقلت .

ـ وهو ؟

ـ أن لديك فراغا من الوقت .. لاتعرفين كيف تشغلينه .

ـ حاولت أن أشغله فى العمل فى الجمعيات .

ـ هل هذه أشياء تملأ الفراغ حقيقة؟

ـ وكيف يمكن أن أشغله ؟

ـ السؤال الأهم من هذا ؟ .. كيف يمكن أن يوجد فراغ لست بيت وأم أولاد .. وزوجة سعيدة ؟

ورفعت شهيرة حاجبيها فى دهشة وأطلقت ضحكة قصيرة من أنفها وتساءلت :

ـ لماذا سعيدة ؟

ـ المفروض أن تكونى هكذا ؟

ـ وهل كل مفروض واقع بالفعل ؟

ـ وماذا يمنع المفروض من أن يقع لك ؟

ـ ولماذا يتحتم وقوعه ؟

ـ لأنك .. لأنك جميلة .. وذكية .

ـ مجرد وجهة نظر ..

ـ بل حقيقة واضحة .

ـ لاأظن الطرف الآخر .. يراها بنفس الوضوح ..

ـ إذا لم يرها .. يكون هو المخطىء .

ـ عندما يختلف طرفان فى شركة .. تصبح الشركة متعذرة .. بصرف النظر عن أى الطرفين مخطىء .

ـ وهل أصبحت الشركة متعذرة؟

ويغير وعى قفز السؤال إلى شفتيه .. وكأنما يتمنى أن تكون الشركة أضحت متعذرة فعلا .

وتملكه إحساس بتأنيب الضمير.. وهو لايملك إخفاء أمنية السوء التى تحركت فى داخله .

ولكن الرد .. لم يترك فرصة لضميره لكى يمارس تأنيبه .. فقد جاء .. أكثر حسما .. مما يتصور .

قالت شهيرة وهى تهز رأسها فى شىء من الحيرة :

ـ لم تصبح فقط متعذرة .. بل أضحت مستحيلة .

ـ كيف ؟

ـ إننا فى شبه انفصال .

وحاول عبد اللطيف جهده أن يكبت ذلك الإحساس بالارتياح الذى عاد يراود نفسه .. فقد كره من نفسه أن يسعد بفشل الآخرين وشقائهم .

وزجر نفسه عن هذا الإحساس الأحمق الذى لا مبرر له . وقال فى صوت غلبه الحزن :

ـ شيء مؤسف .

وهزت شهيرة رأسها في اعتداد قائلة :

ـ عندما يصبح ارتباط اثنين سببا للتنغيص عليهما .. فخير مايفعلانه .. هو أن يفترقا ..

ـ ولكن أليس هناك سبيل للتفاهم ؟

ـ التفاهم لم يعد وسيلة للتقارب .. بل أضحى وسيلة لمزيد من الخلاف .. أو للجدل الذى لا ينتهى ..

ـ والنتيجة ؟

ـ وصلت إلى نقطة اليأس .. وأخذت الولد والبنت وذهبت إلى بيت أبى .. الدكتور عبد الخبير زكى .. أستاذ العلوم فى الجامعة .. لعلك تسمع عنه .

ـ أبوك .. الدكتور عبد الخبير ؟

ـ أجل .

ـ إنه عالم كبير .. لقد علمت أن له سمعة عالمية طيبة .. وأنه دعى للمشاركة فى أحد البحوث التى أوصى بها مؤتمر العلوم الإلكترونية .

ـ أجل .. لقد حضر هذا المؤتمر وطلبوا إليه فعلا المشاركة فى البحث .

ـ ألم يحاول أن يتدخل فى مشكلتك ؟

ـ حاول كثيرا .. نصحنى مرة .. ونصحه مرة .. وجلس معنا عدة مرات .. ولكنه مل من كثرة الخلاف وكثرة الشكاوى .. وقال لى أخيرا . ليس كل زوجين على ظهر الأرض يمكن أن يتفقا فى حياة واحدة فى بيت واحد .. مدى الحياة .. من الجائز أن يحتمل كل منهما الآخر بعض الوقت ومن الجائز أن يحتمل بعضهم البعض الآخر كل الوقت .. أما أن يتفق كل زوجين على ظهر الأرض كل الوقت .. فهذا أمر مستحيل .. فإذا كنتما قد عجزتما عن أن يحتمل كل منكما صاحبه بعد هذه المدة من الارتباط .. فكفى أنكما قد احتملتما عشرتكما السنين التى مضت . ولن يكون أمرا عجيبا إذا

افترقتما .

ـ أقال لك أبوك هذا ؟

ـ أجل .. لأنه منذ خمسة عشر عاما .. يعيش في شقة وحده ..

ـ وأمك ؟ ..

ـ تعيش في شقة مقابلة في نفس الدور في نفس العمارة .. على النيل في الزمالك ولقد ظللنا نعيش معها في الشقة المقابلة لأبي . حتى تزوج منا من تزوج وسافر من سافر .. وبقي من بقي .

ـ وهو يعيش في شقته وحده ؟

ـ بل يعيش مع زبيدة .

ـ زبيدة من ؟

ـ دادة عجوز سوداء .. قامت بتربيتنا ونحن صغار . وعندما بدأ الخلاف يدب بينه وبين أمي .. قال لها ببساطة .. إنه لم يتعود أن يحتمل رفقة إنسان أكثر من عشرة أعوام وإنه بعد أن أمضى معها خمسة عشر عاما رأى ـ بعد أن طالت عشرتهما ـ وبدأ الضيق والملل يثيران كلا منهما على صاحبه .. أن يعيش وحده .. وحتى لايساء تأويل فرقتهما من الناس .. قرر أن يقطن في الشقة المقابلة .

ـ وماذا قالت أمك ؟

ـ وماذا كانت تستطيع أن تقول .. إنه يأتي في مواعيده ويخرج في مواعيده .. ولايرتكب أي شيء يمكن أن يلام عليه .. لاشيء أكثر من أنه يستمتع بالعيش وحده ..

وضحك عبد اللطيف قائلا :

ـ لقد انتهى أبوك .. إلى حيث بدأت أنا ..

ـ أتستمتع أنت بالعيش وحدك ؟ ..

ـ ليس بالضبط .. ولكني فقط أحسست من أول الأمر .. أنني غيرقادر على حمل مسئولية الشركة .. وأني لا أكاد أحمل مسئولية نفسي

.. حتى أحملها مسئولية الغير .

ـ تعنى مجرد هروب من المسئولية .

ـ شيء كهذا .

ـ ولكنك مع ذلك .. لاتكف عن حمل مسئوليات الغير ..

ـ أحملها بإرادتي .. وليس بالإكراه ..

وضحكت شهيرة قائلة :

ـ إذا فأنت تجد الشركة نوعا من الإكراه .

ـ مع الوقت قد تصبح كذلك ..

ـ ولكننا نستطيع أن نتخلص منها .

ـ كما فعل أبوك ؟

ـ هذه طريقة !!

ـ أو كما تفعلين أنت ؟

وتنهدت شهيرة قائلة وهى تحاول أن تتخلص من رنة الحزن في صوتها :

ـ إنى أحاول .

ـ أليس هناك سبيل لإعادة المياه إلى مجاريها ؟

ـ لاأعتقد .

ـ وما هو موقف أمك ؟

ـ فزعت أول الأمر .. ولكنها تعودت .. وملت من كثرة ذهابى إلى بيتى وعودتى إليها .. واستراحت أخيرا إلى وجودي معها بعد أن يئست من إصلاح الأمر .. إنها تحب الأولاد .. وأننا نملأ عليها البيت .

ـ ولكن .. ماهو سبب الخلاف ؟

ونظرت شهيرة إلى الفراغ الفسيح الذى اختلط فيه الشجر بالسماء .. وتناثرت فيه النجوم والمصابيح .

وأطلقت تنهيدة ثم أردفت وكأنها تحدث نفسها :

ـ إنها قصة طويلة .

ـ أحب أن أسمعها .

ـ لماذا تفسد الليلة الجميلة .. بحديث المتاعب والأشجان ؟

ـ لاأريد أن أضايقك .. ولكني فقط تمنيت أن أعلم عنك المزيد .. لعلي أستطيع أن أصنع لك شيئا .

ولقد عرف بعدها عن شهيرة كل شيء .. وصنع لها كل شيء .. وعندما انطلقت إلى السماء ..

لم يستطع أن يبقى على الأرض لحظة بدونها بل انطلق وراءها .. فلاشيء يمكن أن يكون له قيمة بدونها في الأرض .. أو في السماء .

٦ـ حب أفضى إلى زواج

أنهى عبد اللطيف جولة ذهنه الشارد عبر ماضيه .. وعاد يحدق من جديد فى الفضاء المنبسط وراء نافذة السفينة .. فى حقل السماء المترامى الأطراف .. بذرت فيه النجوم كأنها حبات اللؤلؤ .

رائع هذا الفضاء .. لو أنهم تركوه يفلت من هذا الكوكب ؟ .. ليسرى فيه حرا طليقا .. يسبح كما تسبح الكواكب والنجوم .

ولكنه بشر .. مازالت له احتياجات البشر.. وقدرة البشر .

قد يكون أعفى من حمل جسده .. ولكنه لم يعف بعد .. من مطالبه الملحة .. فهو ملزم أمام هذا الجسد البشري .. بأن يقدم له الطعام والشراب .. والحب ..

وإذا كان يعاف ابتلاع الأكل من الأنابيب .. وامتصاص الشراب بالشفاطات .. فهومضطر لقبول ماليس منه بد .. تحت إلحاح هذا البدن .. الذى إن خلص من عبئه .. فهولم يخلص من عبء مطالبه .. بأكل يقيم الأود .. وشرب يطفىء الغلة .

أما الحب .. فهو خير ماتستطيع السفينة أن تقدمه .. يحملها الأنثوى الجميل .. يشيع فيها .. بل فى الفضاء كله .. حلاوة وبهجة .

لقد ترك الأرض سعيا وراءها ..

أمعقول بعد هذا أن يتركها فى السفينة ويسرى وحده إلى الفضاء ؟

وأحس بالحنين إليها .. وأخذ يحرك أطرافه سابحا فى الهواء .. وسرى فى خفة إلى الممر وتوقف أمام قمرتها فوجدها خالية . وواصل الحركة عابرا حجرة أبيها الدكتور عبد الخبير فلم يجد أحدا .

واستمر يسري حتى بلغ مقدمة السفينة وعبر الباب إلى مايسمونه بـ « غرفة العمليات » فوجد شهيرة مع الثلاثة الآخرين حول منضدة مستطيلة. جلس على رأسها الكابتن عبد المهيمن قائد السفينة وبجواره المهندس عبد القادر ، وأمامه الدكتورعبد الخبير وشهيرة .

وابتسم عبد المهيمن وهويجد عبد اللطيف مقبلا يحرك ساقيه ويديه وحياه ببشاشة قائلا :

ـ أهلا أستاذ عبد اللطيف .. أرجو ألا يكون هناك ما يزعجك .

ـ مطلقا .. إني أحس بنشاط عجيب .. أتحرك كالريشة .

وضحك عبد القادر قائلا :

ـ وتستطيع أن تأكل كما تشاء .. دون أن تحس بتبلد أو وخم .

ـ آكل كما أشاء ؟ .. وأين مني ما أشاء ؟

وتساءل عبد المهيمن باسما :

ـ وماذا تشاء ؟

وردت شهيرة :

ـ ساندوتش فول .

وأخرج عبد الخبير قرصا من زجاجة صغيرة قائلا :

ـ هذا القرص يحتوى من البروتينات ، وفيتامينات ا ، ب ، جـ .. ما يعادل طبق فول وطبق سلاطة ورطل لحمة مشوية وتفاحة .

وأجاب عبد اللطيف وهو يستقر بخفة على أحد المقاعد المحيطة بالمنضدة :

ـ المسألة ليست مسألة بروتينات وفيتامينات .. ليست ملء أنسجة ودعم خلايا وتقوية عظام وشد عضلات .. فالإنسان ليس بناء أجساد .. يحتاج إلى مجرد مونة .. وإنما هومجموعة مشاعر .. تهفو إلى الاستمتاع بنعم الحياة .. ومن بينها شهي الطعام .. ولذيذ الشراب .. ولو لم يكن الطعام متعة .. لما كانت به لهفة إليه .. لو أنه مجرد أقراص بروتينات ..

وفيتامينات .. لنسى تناوله .. وهزل .. وذوى .. إنه لايهوى الحياة .. لمجرد الحياة .. ولكن لينعم بما فيها .. وإذا كان يكافح من أجل اللقمة . وإذا كان يأكل ليعيش .. فهو يعيش بعد ذلك لينعم بكل مافى الوجود من نعم .. الطعام والشراب والراحة والحب والجمال بكل صوره .. والعمل من أجل استنباط المزيد من النعم .

ونظر إليه عبد الخبير وكأنه ينظر إلى مخلوق غريب يتحدث بكلام غير مفهوم ثم قال له باختصار وهو يمسك القرص بين أصبعيه :

ـ أتريد القرص أم لا ؟

ـ هاته .. أحسن من قلته ..

وقال المهندس عبد القادر :

ـ ليس هذا وقت استمتاع بالأكل ..

ورد عبد اللطيف :

ـ مفهوم .. مفهوم .. أهو كلام .. مجرد كلام .

وأجاب عبد الخبير :

ـ ولاهو وقت استرسال فى كلام ..

ورفع عبد اللطيف حاجبيه فى دهشة وقال فى احتجاج :

ـ لاأكل .. ولاكلام .. ماذا أستطيع أن أفعل إذن .. وذلك هو كل ما أملك فى الحياة .

وقالت شهيرة ضاحكة :

ـ تكتب ..

ـ أكتب ماذا ؟

ـ تكتب عن كل مامر به من تجارب .. وتراه من روائع .

ـ أنا لست آلة تصوير .. إنى أختزن ما أراه . وما أحس به .. وأجتره وقت الحاجة .. إنه يبقى فى باطنى رصيدا .. أصرفه وقتما أشاء .. وليس كل ماترونه رائعا .. يمثل عندى بالضرورة شيئا ذا قيمة .. وقد يكون أقيم

ما ألتقطه .. لايلفت نظر أحدكم .. لما قد يبدو لكم من تفاهته ..

وتساءل عبد القادر قائلا :

ـ وماذ يكون دورك في الرحلة إذن ؟

ـ أرقب وأفكر .

وقال عبد المهيمن في لهجة تأكيد :

ـ نحن لانريد منك أكثرمن هذا .. أنت فنان .. ولا أحد هنا يلزمك أكثرمن أن ترقب وتفكر.. وتقول ماتريد .. وقتما تريد ..

وقالت شهيرة مقاطعة :

ـ لقد سجلت أنا كل شيء منذ أول لحظة .. لن يصبر عليّ أحد .. حتى أرقب وأفكر .. ثم أقول ما أريد وقتما أريد .. ولو كنت أفعل .. لفصلت من التليفزيون .. ولما نشرت لي الصحافة شيئا .. إني أريد أن أحقق سبقا صحفيا عالميا ..

ونظر عبد الخبير إلى أحد الأجهزة ثم قال وقد بدا عليه الشرود :

ـ المهم أن تجدي شيئا .. يستحق السبق .

ـ لقد وجدت أشياء رائعة .

ـ كل ما وجدته .. ليس فيه جديد .. المهم هوما يمكن أن تجديه بعد ذلك .

وقال عبد المهيمن وهويرقب الأجهزة :

ـ أجل .. المهم هو ماسنقوم به في المرحلة التالية .. مرحلة الهبوط إلى الكوكب .. ستكون مرحلة مثيرة .. أرجو أن تتم بنجاح .

وقالت شهيرة في حماس :

ـ سنكون أول الهابطين إلى الكوكب .. سنخلد أسماءنا في التاريخ .. ككولومبس ..

وقال عبد اللطيف :

ـ كولومبس .. اكتشف مجرد قارة . نحن سنكتشف كوكبا .

وقال عبد المهيمن في هدوء :

ـ سيصبح كوكبنا .

ورد عبد اللطيف ضاحكا :

ـ لم أفلح في شراء قطعة أرض أبني عليها بيتا في الكرة الأرضية .. وهنا سأملك كوكبا .. سبحان العاطي ..

ثم التفت إلى عبد القادر متسائلا :

ـ هل أستطيع أن أبني عليها فيلا صغيرة ؟

ـ تستطيع أن تبني فيه مدينة إذا شئت .. سنصبح فيه أصحاب سيادة..

وتساءل عبد الخبير :

ـ متى ستفعلون كل هذا .. إن التعليمات تحتم أن نعود خلال أسبوع ..

وقال عبد القادر :

ـ التعليمات تمنحنا مرونة في العمل .. إن الاتصال بيننا وبين القاعدة مستمر.. وهم لايريدون تقييدنا بجدول زمني محدد .. وقد تركوا لنا حرية اختيار وقت الهبوط ..

وقال عبد اللطيف :

ـ على أية حال .. نحن مقيدون على الأقل بما لدينا من طعام .

وردت شهيرة :

ـ ومن قال إننا لن نجد طعاما في الكوكب .. ألايحتمل أن نجد طعاما كافيا يجعلنا نذير إقامة أطول .

ونظر إليها عبد الخبير في دهشة :

ـ إقامة أطول ؟ .. أتظنينها نزهة .. إننا مقيدون ببرنامج محدد .. إن العالم كله يرقبنا.. أم تظنيننا سنهرب بالسفينة إلى الكوكب كالقراصنة .. ونعلنها هنا دولة مستقلة .

ورد عبد اللطيف ضاحكا :

ـ والله مسألة تستحق التفكير .

ونظر عبد القادر إلى عبد المهيمن نظرة متسائلة . وقال عبد المهيمن في هدوء :

ـ دعونا نهبط أولا .. ولنتحدث عن المصيربعد ذاك .

ثم ألقى نظرة سريعة على الساعة قائلا :

ـ أوشك الوقت أن يحين .. ليذهب كل إلى موضعه .. وسأعلنكم ببدء المرحلة الثانية .. حتى يستعد كل منكم ..

وأمسك القلم المعلق في الهواء وضغط على كراسة تعوم فوق المنضدة ثم أخذ يخط بضع كلمات .. قائلا لعبد القادر :

ـ أرسل هذه الإشارة للقاعدة ..

وسارعبد اللطيف وراء شهيرة في الممر وكان عبد الراضي قد أقبل يبحث عنه متسائلا :

ـ كنت أبحث عنك ياأستاذ .

ـ ماذا تريد ؟

ـ هل سنبقى هكذا بلا عمل ؟

ـ وماذا يضايقك في ذلك .. ألست مستريحا في فراشك .

ـ من جهة مستريح .. مستريح .. ولكن أخشى ..

ـ ماذا تخشى ؟

ـ أخشى أن يخصم اليوم عليّ .. وأنا راقد هكذا بلاعمل .

ـ لاتخش شيئا ..

ـ ولكن إلى متى سأبقى هكذا مستريحا ؟

ـ حتى نهبط إلى الكوكب ..

ـ ثم ..

ـ نشتغل .

ـ نشتغل ماذا ؟.

ـ الله أعلم .. يتوقف الأمر على ماذا ستجد فى الكواكب .. وإلام سنمكث ..

وقالت شهيرة فى حماس :

ـ إذا وجدنا أرضا صالحة .. وجوا معتدلا .. فلابد أن نقضى فترة نستكشف فيها الكوكب .

وقال عبد اللطيف :

ـ وهنا يصبح عليك ياعبد الراضى .. أن تزرع .. وتقلع .. وتطبخ وتكنس .. وتفعل كل ما كنت تفعله على الأرض .

وقال عبد الراضى :

ـ وحدى ؟

وردت شهيرة مؤكدة :

ـ بالطبع لا .. سنساعدك جميعا .. بل على كل واحد أن يتولى أمرنفسه .

ـ لاأقصد هذا يا ست شهيرة ..

وتساءل عبد اللطيف :

ـ ماذ تقصد ياغبى ؟

ـ أقصد .. ألن يكون هناك حريم .. نحضر إحداهن تساعدنى فى الخدمة .

ـ وتتزوجها بالطبع ؟

ـ ليس الغرض .. ولكن ..

ـ اسمع ياعبد الراضى .. نحن لانريد فضايح فى الكوكب ..

ـ فضائح لماذا .. ما دامت على سنة الله ورسوله ..

ـ وتأخذها معك إلى الأرض ؟

وفكر عبد الراضى برهة ثم قال :

ـ نشوف ..

وضحكت شهيرة وهى تدخل قمرتها قائلة لعبد اللطيف :

ـ لعلك تجد فى الكوكب أحدا يعجبك .

ـ ليس فى قلبى متسع لأحد .. فيه من الأرض .. مايغنيه عن كل ما فى الكواكب والنجوم ..

ودخلت شهيرة قمرتها ووقفت برهة وراء النافذة المستديرة ترمق الفضاء ثم استقرت على فراشها .. وأسندت ظهرها .. ومدت ساقيها .. وشرد ذهنها يعبث فى دروب الماضى والحاضر .. ويتواثب إلى المستقبل ..

هذا الرجل الذى انطلق وراءها إلى الفضاء .. مصر على حبها فى إلحاح شديد .

ممتع أن يلقى الإنسان مثل هذا الحب العجيب ..

وبغير مقابل .. فهى تتلقى منه هذا الفيض من الحب دون أن تجد فى نفسها من مشاعر الحب ماترد عليه به .. قد تجد فى قلبها المودة .. والعطف .. والامتنان .. والتقدير له كفنان .. أما الحب إياه فقد بات أمره متعذرا ..

نضب الحب من نفسها .. بعد التجربة الكبيرة التى مرت بها .. ..

تجربة الزواج !!

بدأت التجربة منذ زمن بعيد .. بعيد .. وهى تقف من الدنيا على حافة الأمانى الوردية .. والآمال المشرقة .

كانت تقبل على الحياة فى لهفة وثقة .

وكان كل ماحولها يمنحها الإحساس بالأمل ..

فى الكلية .. فى النادى .. وفى البيت .. وفى الطريق .. كانت تشعر أنها شىء ما .. أهم من كل ماحولها .

ورغم أنها لم تكن راضية عن شكلها عندما تقف لتتأمل وجهها فى المرآة .. ورغم أنها كانت تكتشف عيوب جسدها عندما ترتدى المايوه والبنطلون فقد كانت لاتملك إلا أن ترفع كتفيها وتقلب شفتها السفلى وكأنما

تقول لنفسها :

« وماذ أفعل إذا كنت أعجبهم هكذا » .

وكان أبوها الدكتور عبد الخبير زكى الأستاذ فى كلية العلوم أول المعجبين بها . كان يقول وهو يشير إليها فى إعجاب :

ـ هذه البنت .. خسارة .. فى أى زوج .

وملأها الإحساس بأنها خسارة فعلا فى أى إنسان .. وهى تحس بنفسها متربعة على عرش من التميز .. يرفعه إليه كل من حولها .. وانتخبت فتاة الجامعة المثالية .. وبرزت فى كل نواحى النشاط فى كليتها .. فى الدراسة . . وفى الرياضة .. وفى فرقة تمثيل الكلية .

ورآها أحد كبار المخرجين السينمائيين وهى تقف على المسرح لتنشد أغنية مصر .. وقد اتشحت بالعلم ووضعت التاج على رأسها كأنها ملكة فاندفع يعرض عليها بطولة أحد أفلامه .

واستنكرت عرضه .. وقالت فى دهشة :

ـ أنا أصبح ممثلة؟

ـ ستكونين بطلة .

ـ بطلة فى الأفلام المصرية ؟!

ولم تتخيل نفسها .. بكل ماتملكه من قدرات .. وبكل ما يراود نفسها من تطلع إلى المستقبل المشرق الحافل .. أنها يمكن أن تصبح مجرد ممثلة فى الأفلام المصرية .. حتى ولو كانت بطلة .. حتى ولو نشرت صورها على أغلفة المجلات وغطت جدران الشوارع .

إنها ليست بهذه التفاهة .. إن أحلامها أكبر كثيرا .. والقدر يعد لها مكانة أروع .

والتقت به أول مرة فى نادى الجزيرة ..

كان يخرج من أحد ملاعب الاسكواش وقد أمسك المضرب بيمناه وربط البلوفر حول رقبته وتندى جبينه بالعرق .. واحمر وجهه .. وتساقطت خصلة

شعر على جبينه .

كان شكله سينمائيا رائعا ..

وكان المفروض أنها أعقل من أن يلفت نظرها هذه الأشكال .. فقد كانت تترفع على أولاد النادى .. ولعيبة الاسكواش والتنس .

وكانت تحس أن تعاملها لايمكن أن يكون إلا مع الناضجين من الرجال .. من المفكرين والمتميزين من أهل الخبرة والموهبة .

وهتفت إحدى زميلاتها فى إعجاب وهى تراه يقبل فى خطى سريعة :

ـ مدحت ..

والتفت مدحت إليهن وابتسم .. وردت الفتيات الابتسامة فى ترحاب .. ولكن شهيرة أشاحت بوجهها متشاغلة بالنظر فى اتجاه آخر.

واختفى مدحت فى مبنى الحمام .. والتفتت إحدى الفتيات إلى شهيرة متسائلة :

ـ لماذ لم تحييه ؟

ـ ولماذا أحييه ؟

ـ إنه إنسان لطيف .

ـ أحتم علىّ أن أحيى كل إنسان لطيف ؟

وردت أخرى فى دهشة :

ـ إن أية فتاة تتلهف على تحيته أو الحديث معه .

وأجابت شهيرة فى استخفاف :

ـ أنا لاأحب هذه الأشكال التافهة .

ـ ولكنه ليس تافها .. إنه مدرس فى كلية الهندسة .

ـ هذا الولد مدرس فى الجامعة؟

ـ طبعا ..

ـ غيرمعقول .. إنه لايعدو أكثر من تلميذ .

ـ إنه نابغة .. لقد كان أول دفعته .. وعين معيدا فى الكلية .. وهويعد

رسالة للدكتوراه .. إنه صديق أخى إبراهيم وهويقول عنه إنه إنسان ممتاز .

وأحست شهيرة بأنها ظلمته عندما أخذته بشكله .. وبلهفة البنات عليه .. وعندما عاد بعد أن ارتدى ملابسه .. تمنت لو أقبل عليهن ومنحها فرصة الحديث معه .. لعلها تكفر بحسن معاملته عن سوء ظنها به .

واقترب منهن .. اقترابا عن عمد كأنما يود أن يتحدث معهن .. وكانت نظرته موجهة إليها .. واستغل فرصة وجود الفتاة التى يعرف أخاها فاقترب منهن وحياها قائلا :

ـ أهلا نبيلة .. كيف حال إبراهيم ؟

ولم ينتظر الرد .. إذ كانت شهيرة هى هدفه الأصلى ومد يده يشد على يدها وهو يقاطع الفتاة التى حاولت أن تعرفه بها :

ـ من لايعرف شهيرة ..

وملأها الإحساس بالرضا .. وهى تجده يقبل عليها عن عمد .

وكانت بإحساس الأنثى الذكية .. تعرف أساليب الرجال المختلفة فى الإقبال عليها .. وكانت تستمتع بها .. وتتعامل معها بالقدر اللائق بهم وتمنح كلا منهم القدر الذى يستحقه من الاهتمام .وأحست بأن صاحبنا يستحق مزيدا من الاهتمام .. فهو إلى جانب شكله السينمائى الذى يجذب المراهقات إليه .. يتمتع بالقيمة المعنوية التى يمكن أن تميز الناضجين من الرجال ممن ليس لهم وسامة شكله وممن يغلب قدرهم الفكرى نقائصهم الشكلية التى قد تبدو فى جسد أكرش أو رأس أصلع أو غيرهما من السمات التى لاتشكل عنصر جذب فى نفوس الباحثات عن فارس الأحلام ..

ولم يطل الحديث بينهما فى أول لقاء .. ولكن كلا منهما كان قد عزم فى نفس الوقت على ألايترك الآخر يفلت منه .

ويدأت قصة حب حارة .. لم يحاول أحد منهما أن يخفيها ..

وحسدها الزميلات .. واعتبرنها مخلوقة ذكية .. قادرة .. عرفت

كيف توقع أثمن ما فى النادى من صيد .

ولاتذكر هى أنها استعملت شيئا من ذكائها .. كل مافعلته هو أنها أحبته .

وأحبها هو ..

وكانت أياما وردية .. مشرقة .. لم تحس من قبلها .. أن الحياة يمكن أن تكون بهذه المتعة ..

كانت قصة حبها .. أجمل من كل ماقرأته من قصص الحب .

وكما كانت دائما تحاول .. بذكائها وقدرتها .. أن تضع نفسها فى مكان متميز عن كل ما حولها .. وأن تجعل من وضعها الذى تعيشه نموذجا لما يمكن أن يتطلع إليه الغير.. اندفعت فى حبها لتجعل منه شيئا باهرا مشرقا ..

عاشت حبها كأجمل ما يعيشه المحبون .

لاتنام إلا على همسة حبه يهتف بها فى التليفون « أنت حبيبتى » .

وترد عليه هامسة : « وأنت حبيبى » .

وتستيقظ على رنين التليفون . وتمسك بالسماعة ـ بعد أن حذرت على من فى البيت أن يردوا عليه ـ لتستمع إلى صوته يهتف بها فى حب : « صباح الخير » .

وقبل أن تفعل أى شئ، تغيرالمياه لوردته التى يمنحها إياها كل يوم لتؤنس ليلها .. وتمس أوراقها بشفتيها .

وخلال اليوم .. وكل منهما منهمك فى مشاغله فى العمل .. كانا يتبادلان الحديث ولو لبضع كلمات يحدث كل منهما صاحبه عما يفعل .. ويمنحه خلال كلماته .. همسة شوق ..

وكانا يلتقيان فى كل لحظة فراغ . يحملها بعربته صباحا إلى الكلية ..ثم يعيدها إلى البيت إذا كان لديه عمل يشغله أو يصحبها إلى النادى إذا كان خاليا .. وتجلس لترقبه من الشرفة وهو يلعب الاسكواش .. أو تتناول

معه الشاى .. أو تصحبه إلى السينما ..

وتقدم لخطبتها ..

وجرت مناقشة قصيرة بين أفراد العائلة ..

كان هناك بضعة عرسان .. قريب غني صاحب أطيان وعمارات .. وأستاذ فى الجامعة .. وأميرعربى .. و ..

وحاول بعض من أفراد العائلة أن يزكى بعض هؤلاء العرسان .

ولكنها لم تترك فرصة لإطالة المناقشة ..

وقالت فى حزم صارم ..

ـ أنا التى سأتزوج .. وقد قررت أن أتزوج مدحت .

وقال الأب منهيا المناقشة القصيرة :

ـ انتهينا .. على خيرة الله ..

ولو لم يتم الزواج ..

لو أن هناك عقبات خطيرة .. حالت دونه ..

لأصبحت قصة حبها خالدة .. كقصة جولييت .. أو ليلى ..

ولكن ..للأسف .. لم يكن هناك ما يحول دونه ..

بل إنها لم تتصور قط حينذاك .. أن قصص الحب الخالدة .. استمدت خلودها .. من عدم إتمامها .... من أنها مجرد جزء مبتور من قصة الحياة الطبيعية .. وإنها مرحلة من الحب انتهت بالفشل فبقيت معلقة فى ذهن التاريخ بصورتها المبتورة ونهايتها الفاشلة .. ولو كتب بها الاستكمال والنجاح والاستطراد بطريقة طبيعية .. لحدث الزواج .. وكانت النتيجة الحتمية .. هونفس نتيجة زواجها .

تزوجت شهيرة ..

كان حفل الزواج رائعا .. حققت به كل ما رسمته فى ذهنها لصورة الزفاف .. هيلتون . والمدعوين الكبار .. من كل نوع .. والفخامة والأبهة .. والبوفيه .. والموسيقى والرقص .. والتورتة الكبيرة .. وأضواء

الكاميرات تبرق خاطفة .. وصورة الزفاف تملأ الصحف ..

وبدأت حياتها الزوجية ..

أسبوع فى مينا هاوس .. كالسياح .. ثم استقرت فى شقتها الجديدة .. شقة نموذجية . وضعت فيها كل قدرتها فى الاقتناء وفى الانتقاء .. واستقبلت الزوار والمهنئين تدور بهم فى أنحاء الشقة .. تتلقى آيات الإعجاب فى اعتزاز وغبطة .

إنها دائما .. فى موضع التمييز .

قصة حبها .. كانت أروع قصص الحب .

وزواجها .. كان نموذجيا ..

وعندما استقرت فى عش الزوجية .. بدا العش رائعا . وبدأت تركز كل جهدها .. فى العش .. فى البيت الجديد .. الذى أضحت ربته .. فى الأسرة التى نوت أن تقيمها .

ولم يعد يهمها شىء خارج هذا النطاق ..

إنها ستعرف كيف تشيد أسرة نموذجية ..

طالما عابت على زميلاتها اللاتى تزوجن قبلها واشتكين من أن أزواجهن يهجرن البيت .. ويلعبون بذيولهم ..

قالت لإحدى صاحباتها التى تشكو من أن زوجها لم يعد يطيق الجلوس فى البيت :

ـ أنت مسئولة .

ـ كيف ؟

ـ مامن امرأة .. يمل زوجها البيت إلاوهى السبب .

ـ ماذا تريدين منى أن أفعل .. أنصب له سيركا فى البيت ؟

ـ بل تهيئين له الجو المريح .

ـ فعلت والله .. هيأت له كل مايريد .. طبخت على مزاجه ..

ـ الأكل ليس كل شىء .

ـ سجلت له أدوار أم كلثوم التى يحبها .

ـ ربما كان يحب الهدوء . .

ـ سكت فلم يعجبه .

ـ لابد أن هناك خطأ تعجزين عن اكتشافه .

وردت على صاحبتها التى تشكو من أن زوجها لم يعد يحبها كما كان وأنها تشك فى أن له علاقة بأخريات :

ـ أنت السبب .

ـ لماذا ؟

ـ فقدت جاذبيتك .

ـ لست أظننى تغيرت عما كنت .

ـ هل تعدين نفسك فى البيت .. كأنك خارجة؟

ـ وهل هذا معقول ؟

ـ ولم لا ؟

ـ لأن هناك أشياء لابد أن أعملها فى البيت تشغلنى عن إعداد نفسى .

ـ إعداد نفسك لزوجك أهم من كل شىء .

ـ ولكنى أعد أشياء أخرى أهم . .

ـ مثل ..

ـ مثل تنظيف البيت .. والعناية بالولد .. وإعداد الطعام .. هذه كلها أشياء حيوية.. لو أهملتها.. طلقنى ..

ـ وهل إعداد هذه الأشياء يمنعك من إعداد نفسك دائما لاستقباله ؟

ـ أمعقول .. أن أنظف البيت وأنا أرتدى ثياب الخروج .. أمعقول أن أغسل ملابس الولد .. والأحمر فى شفتى والعطر فى ثيابى .. أمعقول أن أطبخ وشعرى مصفوف ؟

ـ لم أقل هذا .. ولكنك تستطيعين دائما أن تكونى على حال مقبول جذاب .. وأن تنهى كل هذا قبل أن يحضر وتستعدى لاستقباله بشكل

جذاب .. وأن تنهى كل هذا قبل أن يحضر وتستعد لاستقباله بشكل جذاب ..

ـ كلام نظرى .. تقوله الجالسة على البر .. إن عندى من متاعب البيت .. ما لايترك لى فرصة لأن أنظر لوجهى فى المرآة .

ـ ومن أجل هذا فقدت جاذبيتك له . واضطررته إلى أن يبحث عنها فى الخارج ..

ـ سنرى ماذا تفعلين عندما تتزوجين .

ـ عندما أتزوج سأعرف كيف أشد زوجى إلى البيت ..

ـ كلام ..

ـ وسأعرف كيف أبقى جذابة كما كنت قبل الزواج .

ـ لابد أنك ستعيشين فى فندق .

ـ بل سأعمل بيتا نموذجيا .

ـ بغير أولاد ؟

ـ بل بدستة أولاد .

ـ ربما .. فأنت قادرة على كل شىء .

ـ إن تصرف الزوج حيال زوجته .. نابع من أسلوبها فى التعامل معه .. وطريقتها فى الحياة داخل البيت .

ذلك كان إيمانها بنفسها .. وثقتها بقدرتها .. وبهذا الإيمان وتلك الثقة .. أقبلت على عش الزوجية تبنيه وعلى الأسرة الجديدة تقيمها . فماذا كانت النتيجة ؟؟ .

٧ ـ نزيل فى فندق

بدأت شهيرة تشيد أسرتها النموذجية .

وكانت الخطوة الأولى بالطبع هى الحمل .

بغير الحمل لاتكون ولادة .. وبغير الولادة .. لايكون أبناء .. وبغير الأبناء لاتكون أسرة .

بدأ الحمل بالوحم ..

والوحم .. يصحبه قىء ..

شىء سخيف .. لايمكن أبدا أن يكون أحد عناصر الجاذبية التى تسعى شهيرة للاحتفاظ بها .

ثم .. شر من هذا .. صحب الوحم . نفور من أشياء زوجها .. ولاسيما الصابون الذى يستعمله .. لم تعد تطيق رائحته ..

ولم يكن الغثيان الذى يلازمها .. يمنحها من الجهد والوقت .. ماتستطيع أن تهيئه للاحتفاظ بالزوج .. بل التفكير فيه .

وسجل الزواج نفسه .. بحكم الوجود الدائم فى بيت الزوجية .. نوعا من الارتخاء العاطفى بين الزوجين ..

ونسيت كل مظاهر الرومانسية التى تزهر أيام الحب .

بل وباتت فى مظهرها مضحكة .

الوردة التى كان يمنحها إياها كل يوم لتضعها فى الزهرية وتغير مياهها فى الصباح وتمسها بشفتيها فى وله . نسى أمرها .

لم يعد لديه من الوقت مايسمح له بالذهاب إلى محل زهور.. لإحضارها .. ونبتت فى حياتهما احتياجات ألزم وأشد حيوية .. من

الوردة ..

سألته مرة أن يحضر زجاجة ميركوكروم لأنها جرحت .. فنسى .. وطلبته فى التليفون ليحضر وهوقادم كيلو بسبوسة لأن أباها سيتغدى عندهم وهو يحب البسبوسة .. فلم يتذكرها إلا وهو على باب الشقة .. ودخل بدونها .

وإذا كان قد نسى الميركوكروم .. وأهمل البسبوسة رغم فرط الحاجة إليها .. فهل معقول أن يذكر الوردة ..

ولم يعد لديها من الوقت ولا من اللهفة مايدفعها إلى الحملقة فى الوردة أوالتمسح بها .

لقد حاولت أن ترتب مع حانوت الزهور أن يحضر لها الزهور مرتين كل أسبوع .. لكى تتم الصورة التى بدأت فى أول الأمر رسمها لعش الزوجية . ولكن مع مرور الوقت ومغالطة البائع فى الحساب .. أنهت عملية الزهور.. واكتفت بالزهور الصناعية البلاستيك تتم بها الديكور ..

ومن غيرشك حاولت شهيرة منذ بدأ الزواج أن تمارس مسئوليتها كزوجة قادرة فاهمة .. قبل أن تبدأ متاعب الحمل .. وقبل أن تفقد الجهد والقدرة على ممارسة خططها الذكية التى تجرى بها حياتها من أجل التميز والنموذجية .

وأسلوبها فى تنظيم البيت .. وإعداد الطعام كان نموذجيا .. طبقت به ل ماكان لديها من أحلام .

ومع ذلك لم تفلح فى تغيير السلوك الطبيعى لمدحت .. كزوج .. إلا كلا .. ولم تنجح فى أن تجعل منه شيئا آخر غيربقية خلق الله من الأزواج .. الذين يهجون من بيت الزوجية .. بمجرد الاستقرار فيه .. والذين يحسون بالانجذاب لجميع نساء الأرض .. عدا زوجاتهم .

حاولت شهيرة تطبيقا لنظرياتها أن تغير القاعدة ..

وأن تربط مدحت بالبيت وتشده إليها بجاذبية ما قبل الزواج ..

وبدأ مدحت كذلك .. فقد استطاع لفترة ما أن يمارس واجبه كرب بيت عاقل .. حياته مكرسة للعمل والبيت .. وخروجه مقصور على زيارة الأصدقاء والأقارب ومشاهدة الأفلام بصحبة زوجته .

وبعد شهور أحس بثقل القيد .. ولم تعد شهيرة شيئا يسعى إليه .. بل يهرب منه .. وكثرت المحاضرات .. والندوات .. وبدأ رسم الخطط .. وتدبير الحجج والأعذار للزوغان من البيت .

وبكل ماتملك من ثقة في نفسها .. وإيمان برابطة الحب الذي شدها بمدحت .. لم يطف ذهنها أن زوجها يمكن أن يكون ككل الأزواج .. قد ضاق بالبيت وتاق إلى الانطلاق .. وأنها يمكن أن تكون كأية زوجة عادية .. شيئا غيرمثيرولا جذاب .

.. وحدث الحمل ودخلت في مرحلة الوحم المزعجة .. وكرهت فيها كل شيء .. حتى الحب ..

وانتهت مرحلة المتاعب الأولى .. وخفت أعراض الوحم .. وأخذ بطنها في البروز .. وبدأ اهتمامها يتركز في الإعداد للوليد المقبل .. وكسبت نفسها مظهر أمومة مبكرة بإبرتي التريكو بين أصابعها تجرى في أعقابها شلة الصوف تتحول بين غرزة وأخرى إلى صديرى للوليد .

وأخذت تعد نفسها لدور الأم النموذجية .. وأعرضت عن كل الأشياء التي كانت تستهويها .. وتناست كل التدابير التي كانت تعدها للاحتفاظ بمدحت .. وجلبه إليها .

وأحس مدحت بالقيد قد أرخى .. ولم يعد يحتاج إلى جهد كبير في الانطلاق وحده ..

كان فيما مضى لايكاد يرتدى ملابسه بعد الظهرحتى تهتف به :

ـ إلى أين ؟

ـ عندى محاضرة .

ـ وبعد المحاضرة ؟

ـ عندى اجتماع .

ـ أى اجتماع ؟

ـ مع العميد .

ـ وبعد الاجتماع ؟

ويبحث مدحت في ذهنه عن عذر آخر يمكنه من قضاء بقية السهرة خارج البيت ولاتتعذر عليه الحجة فيقول ببساطة :

ـ هناك ندوة للاتحاد الاشتراكى .

ـ أضرورى من حضورها ؟

ـ طبعا .

ـ إذن نذهب بعدها إلى السينما .

ـ ولكن قد تتأخرالندوة .

ـ ليس مهما .. يمكن أن نذهب بعد عرض الجريدة .

ويهز مدحت رأسه .. لاداعى للإصرار على أبعد من هذا .. ويكفى الزوغان حتى العاشرة .. ويقول ببساطة :

ـ إذن أمر عليك بعد الندوة .

ـ لا .. سأذهب معك لتوصلنى إلى بيت ماما وعندما تنتهى من الكلية مر علىّ لتوصلنى إلى بيت تانت علية ثم عد إلى بعد أنتهاء الندوة لنذهب إلى السينما .

لماذا تعقدها هكذا .. ألأنها ذكية .. أم مجرد عبط ؟ ..

ويرد عليها :

ـ خذى تاكسى إلى بيت عمتك فى أى وقت .. لأنى لاأعرف متى ينتهى الاجتماع .

ـ أنا غير مقيدة بموعد . أى وقت تنتهى مر على .

هكذا كانت تجرى الأمور .. قبل الحمل .. أما بعده فهو يرتدى ملابسه .. وقبل أن يهم بالخروج توجه إليه سؤالا بسيطا :

ـ متى ستعود ؟

ـ الساعة العاشرة .

ـ أحضر معك فاكهة لأنه لايوجد عندنا شيء .

زادَ الحمل عليها .. وخف الحمل عليه ..

ولم تعد شهيرة .. تجد أن أهم ما في حياتها هو إعداد البيت ليكون مقرا مريحا لمدحت .. وإعداد نفسها لتكون مخلوقة جذابة له ..

وجدت الحياة معقدة أكثر من هذا .

الصورة المبسطة التي رسمتها أيام الحب الوردية لعلاقة الرجل بالمرأة .. لم تعد بسيطة كما كانت ..

لم تعد دعامتها الأساسية .. مجرد رجل وسيم .. يقدم وردة .. ويهمس بكلمات الحب .

فالرجل الوسيم .. لا تعود لوسامته الثقل المرجح بعد الزواج .

والزوج .. وسيما .. أوغير وسيم لايقدم الورود .. ولايهمس بكلمات الحب .

والمرأة بعد أن تصبح زوجة لاتقتصر حاجاتها على مجرد الورود وهمسات الحب .. بل هي تحتاج إلى النقود التي تدبر بها أمر البيت والمعاملة الإنسانية التي تشعرها بكرامتها وعزتها .

لقد وجدت شهيرة نفسها تواجه من المتاعب العادية .. مايشغلها عن التفكير في تهيئة الجو المريح لمدحت .. وإعداد الجاذبية له .

سنية الشغالة تقبل عليها ذات يوم لتقول ببساطة وهي تمسك بصرة وضعت فيها ملابسها :

ـ أنا خارجة ياست .

ـ إلى أين ؟

ـ مسافرة .

ـ لماذا ؟

ـ سأتزوج .

ـ ولكن ألم تعدى بالبقاء حتى أضع لتساعدينى فى الشهور الأولى ؟

ـ أمى أرسلت إلى أن العريس مستعجل .

وأضحى سفر سنية للزواج مشكلة يمكن أن تشغلها عن أى شىء آخر..

وحضر مدحت فوجدها متجهمة وظن أن شيئا بلغها عنه ضايقها فأقبل عليها يسألها فى حذر :

ـ ماذ بك ؟

ـ أبدا .

ـ ولكنى أراك عابسة .

ـ البنت خرجت .

ـ لماذا ؟

ـ ستتزوج .

ـ نحضرغيرها .

ـ من أين ؟

ـ سأوصى أمى لتحضرلنا غيرها .

ـ لقد كانت نظيفة وأمينة .. وكنت أعدها لتربية الطفل .

ـ ياستى .. عندما ينزل يحلها ربنا .

ـ لابد أن تستعد من الآن .. لابد من واحدة مضمونة .

ـ لاتحملى هما ..

ولكنها لم تستطع إلا أن تحمل الهم .. لأنه نسى كل شىء عن الخادمة بعد ذلك .. وكان عليها أن تهيىء له الطعام .. وتعد له البيت وحدها ..بحملها الذى يثقل كاهلها وينقض ظهرها .

مشاكل كثيرة .. تبدو تافهة .. ولكنها كانت تثير أعصابها .. انسداد البالوعة .. تلف الحنفية .. قطع الكهرباء .. عطل التليفون .. وكان أكثرما يثيرها .. أن عليها أن تتحمل عبئها وحدها .

لقد اكتشفت أن مدحت .. لايعتبر نفسه مسئولا عن شيء من هذا .

كان يتصرف كأنه نزيل فى فندق .. وأنه يدفع الحساب .. شاملا الخدمة .. وأن شخصا ما ـ للأسف كانت شهيرة ـ عليه أن يتحمل كل مسئولية خدمته ..

واكتشفت أيضا .. أنه عصبى .. وأن وراء كلماته الرقيقة وهمساته الذائبة التى اتسم بها أسلوبه خلال قصة الغرام الناجحة التى أفضت إلى الزواج .. ألفاظ خشنة وصرخات حادة .. عندما يكتشف أن هناك بعض التقصير فى تأدية خدماته .. أو إطاعة أوامره .

تنطلق صيحة من حنجرته :

ـ أين القميص اللبنى ؟

ـ عندك فى الدرج .

ـ لايوجد .

ـ لابد أنه عند المكوجى .

ـ لقد خلعته منذ أسبوع .

ـ جائز .

ـ جائز يعنى إيه ؟

ـ يعنى مكث فى الغسيل ثلاثة أيام . وبقى عند المكوجى أربعة .

ويصيح فى غضب :

ـ إهمال ..

وتعود صيحته إلى الانطلاق :

ـ زرار القميص مقطوع .

ـ البس غيره .

ـ أريد أن ألبسه .

ـ هاته حتى أخيطه لك .

ـ ألم أطلب إليك من قبل أن تخيطيه ؟ .

ـ نسيت .

ـ وماذا أفعل لك حتى تتذكرى ؟ .. الحياة أصبحت لا تطاق .

وحاولت جهدها أن تتقى غضباته .. القمصان جاهزة .. والأزرار فى محلها .. والطعام الذى يريده دائما معد .. ومع ذلك لم يكن يخلو إلأمرباستمرار .. من أخطاء مفاجئة .. تثيره ..

وبذكائها .. عودت نفسها الاحتمال .. فقد كانت تعرف أنه يعود متعبا من العمل .. وأن عليها أن تريحه .. وتحتمله .

ولكنه لم يحاول .. أن يرد إليها المعاملة الطيبة .. ولاأن يقوم بجزء من مسئولياته .

كان رجلا مدللا ..

ربما دللوه فى تربيته ..

وربما ملأه إعجاب الفتيات به فى النادى وفى الكلية غرورا فتدلل .

المهم أنه كان يضع نفسه دائما موضع المخدوم .. دون أن يرد الخدمة لخادمه.

وكانت هى دائما الخادم .

يعطل التليفون .. وتكتشف أنه لم يدفع الاشتراك .

وتسأله لماذا لم يدفع ؟

ـ ليس لدى وقت .

ـ من يدفع إذن ؟.

ـ ادفعيه أنت .

وهكذا وجدت نفسها أن عليها أن تذهب لتدفع اشتراك التليفون .. وأن تقوم بكل مسئوليات البيت .. حتى تلك التى كانت تعرف منذ صغرها .. أنها تدخل فى اختصاص الرجل .

ووضعت طفلها الأول .. ولم تكن الولادة سهلة ولكنها كانت ـ كما قالوا لها ـ أسرع الآلام زوالا من الذاكرة ..

أضاعت آلامها .. صيحة الوليد وهم يحملونه إليها قائلين لها :

ـ مبروك .. ولد .

وسألت بصوت ضعيف :

ـ حقيقي ؟

ـ والله العظيم .

ـ أنتم تضحكون على .

ـ سنريك حتى تصدقى .

وكشفوا عن الصبى فعلت وجهها ابتسامة مشرقة وقالت :

ـ سأسميه محمودا .

وقال مدحت ضاحكا :

ـ سميه إن شئت عتريس ..

ولم تكن الشهور التالية .. بالوقت المريح ..

وكان المفروض أن تتحملها فى صبر ..

ولقد تحملتها فعلا .. كأى أم ..

ولكن الشىء الذى حز فى نفسها .. هو ضيق مدحت بها وبالطفل .

لم تحاول بالطبع أن تشركه فى سهرها بالطفل .. وكانت تغلق الحجرة عليها لكيلا يصل إليه صياحه بالليل . ولكنه لم يكن يخفى تبرمه بالضجيج .. وإعلانه فى كل وقت أن الحياة لم تعد تطاق وأن الزواج حماقة .. والخلف غلطة ..

كانت راحته فوق كل شىء ..

ولم تحاول هى أن تضايقه فى خروجه .. ولم تقصر فى خدمته .. ولكنه لم يكف أبدا عن الشكوى والتبرم .

وساءلت نفسها كثيرا وهى تأوى إلى الفراش منهكة القوى .. ترى هل أخطأت فى اختيار شريك حياتها ..

ولكنها أحبته ..

ومن كان يمكن أن تحب خيرا منه بشكله وأدبه وتصرفه ورقته . كيف

كان يمكن أن تكتشف أنه إنسان مدلل ..

ولكن حتى لو أنه مجرد إنسان مدلل .. فلن يكون بالنسبة إليها مشكلة .

فهى قد دللته .. وهى مستعدة لمداومة تدليله .. وهى مقتنعة تماما بأن من واجب كل إنسان أن يدلل الأقربين إليه . وليس هناك أقرب من الزوج ولا أولى منه بتدليل الزوجة .

ولكن المشكلة ليست فى أنه إنسان مدلل .. بل فى أنه يريد أن يأخذ ولايعطى .. يدلل .. ولايرد التدليل ..

مشكلته الحقيقية فى أنه يعتبرنفسه مخدوما .

وأنه يدفع ثمن خدمته .. نقدا ..

فهو يعطيها مصروف البيت .. ويأخذ بدله .. خدمة .. من كل نوع .. بما فيها التدليل ..

وهو يطلب منها .. ما لا يحتمه على نفسه .

تنوى أمه زيارتهما .. فيقول لها :

ـ حضرى أكل .

ـ عندنا فى الثلاجة فرخة .. واللحمة الباقية من أمس .

ـ لا ابعتى اشترى حمام .. واعملى سمك مايونيز ..

ـ ولكنى متعبة .. والخادمة عندها إجازة .. ومحمود يحتاج دائما إلى أحد يرعاه .

ويصيح غاضبا :

ـ عندما تأتى على أمى .. تعقدينها .. أتريدينى أن آخذها للغداء فى الخارج ؟

ـ أمك ليست غريبة ..

ـ معنى ذلك .. ألا نطعمها .

ـ أبدا .. ولكنها تأكل مما نأكل منه .

ـ لأنك لا تهتمين بها .

وتهز رأسها فى يأس وتقول :

ـ سأطبخ ماتريد .. لاداعى لكل هذا .

ورغم كل ماتسوقه إليها أمه من كلام مسموم منذ أن تدخل قائلة :

ـ البيت ماله .. يضرب يقلب !!

ثم ترفع الولد فى يدها قائلة :

ـ عينى عليك .. مخطوف ودبلان .

وترفض شهيرة الرد عليها حتى تتجنب الخطأ .. ولكنها لاتلبث حتى تسألها :

ـ لماذا لا تكلميننى .. مخصماتى !

ـ أبدا يا تانت .. تعبانة ..

ـ دائما تعبانة ..

وتقصر شهيرة الشر وتذهب إلى المطبخ .. وتعد كل ما طلب مدحت ..

وعند الغداء .. لاتسمع كلمة حمد .

وعندما تحضر أمها للبيت .. لا يستطيع أن يخفى ضيقه . وعندما تسأله أن يحضرعند عودته دستة جاتوه من جروبى يقول فى اقتضاب :

ـ جروبى ليس فى طريقى .

وتكره شهيرة أن تثير خلافا قد يصل إلى مسامع أمها فتقول ببساطة :

ـ إذن سأنزل أنا لأشتريه .

وبعد الغداء تسأله وهو يهم بالنزول :

ـ ألاتنتظر قليلا . حتى توصل ماما ؟ .

وفى ضيق يقول :

ـ ليس لدى وقت .

ـ اجلس ولو لحظة .. على الأقل من باب المجاملة ..

ـ لقد زهقت من المجاملة .

وتسأله أن يذهب بها ومحمود إلى النادى .. لتجلس به فى فناء الأطفال ولكنه يرد فى عجلة :

ـ لدى محاضرة .. ولابد أن أنزل .

وتطلب تاكسى وتأخذ الطفل بعربته الصغيرة إلى النادى وتجلس بجواره .. محيطة نفسها بهالة من الأمومة النموذجية ..

ويدور الحوار بين أعضاء النادى وهم يرون بها من بعيد :

ـ أليست هذه شهيرة ؟

ـ أجل .

ـ لقد تغيرت كثيرا .. يبدو عليها الإهمال والكبر .

ـ حمل وولادة .. وقرف

ـ كانت لها شنة ورنة .

ـ من كان يصدق أنها ستنطوى هذا الانطواء .

ـ لعلها سعيدة بحياتها .

ـ لا أظن .

ـ لماذا ؟

ـ زوجها منحت مقطع السمكة وذيلها .

وحملت شهيرة مرة أخرى .

هذه المرة ..لم تقصد الحمل ..

كانت غلطة .. وساورت نفسها الرغبة فى إنزاله ..

إنها ليست على استعداد لكى تمر بالتجربة مرة أخرى .

لم تكن تجربة سهلة .

إنها سعيدة بمن أنجبت .. فالقرد الصغير كما كانت تسميه يملأ حياتها بهجة .. بابتسامته الحلوة .. وكلماته المضحكة .. وهو يميزها .. ويحبها .. ويرفع ذراعيه إليها لتحمله كلما رآها ..

إنها سعيدة به .. ولكنها ليست على استعداد لأن تكرر التجربة ..

إنها سعيدة به لذاته ..

ولكن ليس لأنه جزء من أسرة كانت تخطط لتشييدها .. لأن عماد الأسرة نفسه .. ناشز .. يرفض الانطواء فى هيكلها .

لم يحقق مدحت حلمها . الذى كان تتوق إلى تحقيقه .. كانت تحاول أن تشيد أسرة نموذجية .. وكانت تستعد لأن تقوم فيها بدور الأم النموذجية .. وكانت على استعداد للتضحية بكل شىء من أجل هذه الأسرة .. التى ستضرب بها للعالم مثلا يحتذى به .

ولقد حاولت بكل ماتملك من جهد وقدرة ..

كانت تريد أن تتحدى بها الفاشلات من زميلاتها .. اللاتى كن يشكون من هجران الأزواج .. وفراغة عيونهم .. وكانت تريد أن تثبت كما كانت تقول دائما .. أن خطأ الزوج دائما .. نابع من سوء تصرف الزوجة ..

ومن أجل هذا أحسنت التصرف .. واحتملت كل مشقة .. متحدية كل صعب .

ولكن خطتها با ءت بالفشل .. ووجدت نفسها .. ككل زوجة تنطوى فى متاعب الحياة الزوجية .. وتغرق فى المرحلة المعقدة .. من مراحل العلاقة بين المرأة والرجل .. التى تلى مرحلة الأمانى والأحلام .. والتى تحتاج لحل عقدها إلى الفهم الذكى المتبادل .. والحمل المشترك الشجاع لمسئولية الحياة .

ومن أجل هذاحاولت أن تتنزل حملها الثانى فى بدايته .

ولكن أمها جزعت .. ونهاها أبوها فى حزم قائلا :

ـ لماذا ؟ ..

ـ يكفى ماعندنا .

ـ عندكم واحد ..

ـ إن تربيتهم متعبة .

ـ كأن عندك دستة .

وكان موقف مدحت حياديا .. كأن الأمر لا يعنيه . .. قال لها كما كان يقول دائما :

ـ تصرفى .. افعلى ما يحلو لك .. أنت لست صغيرة .

ولقد ضاقت بقوله حتى لقد خيل إليها أنها لو قالت له إنى أريد أن أتخذ عشيقا لقال لها :

ـ افعلى ما يحلو لك .. أنت لست صغيرة .

ولم تكن فترة الوحم . بنفس المشقة السابقة .

وكانت الولاد ة أسهل كثيرا .

ووضعت راوية .

هذه المرة لم تكن حريصة على أن تلد ولدا .. ففى المرة الأولى كانت تخشى من لوم أهل زوجها .. وكانت تحرص على الاستجابة لرغبة مدحت فى أن تحضر له ولى عهد .. وكانت هى نفسها تتمنى ولدا .

ولكن هذه المرة .. لم يكن إرضاء أهل زوجها .. بالمسألة التى تحرص عليها .. ولم يكن مدحت يهمه الأمر فى قليل أو كثير .. أما هى فقد أنجبت الولد الذى تريده .

وفرحت براوية .. وأحست بالراحة .. لأنها ستكون خاتمة حملها فقد علمتها التجربة أن اللواتى ينجبن أولادا يواصلن الحمل حتى ينجبن البنت واللواتى ينجبن البنت يواصلن الحمل حتى يريحهن الله بالولد .

وما دامت قد أنجبت الولد والبنت .. فقد أدت مهمتها .

ولم يكن الفارق بين الاثنين كبيرا .. كان عامين وبضعة شهور ولم تكن المهمة سهلة .. فقد كان محمود مازال يحتاج إلى رعاية مستمرة وكانت الشغالات تسبب لها مشكلة كبرى .. واحدة مهملة .. والأخرى سارقة .. والثالثة تشاغل الباعة والبواب . والرابعة طيبة وبنت حلال .. ولكنها على وشك الزواج ..

ومدحت .. في واد آخر..

يطالب بكل حقوقه .. ويتنصل عن كل مسئولياته ..

حتى الطبيب عليها أن تحضره للأولاد إذا مرض أحدهم ..

وزاد غيابه عن البيت بعد أن عين مديرا لأحد المصانع .. وبات عليه أن يسافر بين آونة وأخرى .

وانهمكت شهيرة في تربية الولد والبنت .. متحملة كل مايصاحب تربيتهما من آلام وسعادة .. تخوض التجربة بكل ماتملك من جهد .. وأمانة وإخلاص ..

وإذا كانت قد فشلت في أن تقيم الأسرة النموذجية .

فهي على الأقل حققت أحد شطريها .. بنفسها .. وبأولادها . وهي على أية حال لا تستطيع إلا أن تقبل مدحت على علاته .. ومن من ا لرجال بلا علات ؟ .. وهوعلى أية حال .. خيرمن غيره .. فهو ليس مقامرا .. وهو ليس سكيرا .. وهو لم يقصر قط في التزاماته المادية نحوها . وإذا كان قد كف عن واجباته الرومانسية ..فهي قد اقتنعت بأن هذه الواجبات سابقة للزواج .. وليس لها القدرة على اللحاق به والإثبات في أرضه الصلبة .. وإذا كان يتسم بالأنانية فالأنانية شيمة الإنسان .. وليس عليها إلا أن تحتمل حياتها كما هي .. مادام يؤدي واجباته نحوها ومادام مشغولا بعمله .. ومادام لا يفعل مايمس كرامتها كزوجة .

ولكن .. حتى هذا الإحساس بالاستكانة .. أخذ يتبدد .. عندما أحست أن كرامتها بدأت تجرح ..

وبدأ الأمر في يوم جمعة وهو يرتدي ملابس خفيفة ويهم بالخروج فتساءلت :

ـ إلى أين ؟

ـ عندي شغل .

ـ يوم الجمعة ؟

ـ ولم لا .

ـ أى شغل هذا ؟

ـ فى المصنع .

ـ المصنع مغلق .

ـ عندى عمل لابد أن أؤديه .

ـ إلى متى ؟

ـ لاأعرف .

ـ ألن تخرجنا اليوم ؟

ـ إلى أين ؟

ـ أى مكان نجلس فيه مع الأولاد .. ألم يوحشوك ؟

ـ قلت لك عندى عمل .

ـ ألاتستطيع أن تؤجله ؟

ـ وهل حبكت الفسحة اليوم ؟

ـ أنت لاتخلو غيريوم الجمعة .

ـ سأخرجكم الجمعة القادمة .

ـ إذا سأذهب بالأولاد إلى ماما ..

وسنتغذى هناك .

وكعادتها أنهت المشادة .

وبعد أن خرج .. أحضرت تاكسى وذهبت بالأولاد والدادة إلى النادى .

وجلست مع الأولاد فى الفناء المخصص لهم .. ولكن محمود إنطلق يعدو إلى الخارج .. ووثبت شهيرة وراءه صائحة خوفا من أن يلعب فى طريق العربات .

وأمسكت به وهو يوشك أن يخطو إلى الطريق . وقبل أن تعود به لمحت منحت يخرج من ملعب الاسكواش وبجواره فتاة شقراء ترتدى « شورت » .

ولم تملك أن توقف قلبها من أن يدق بعنف ..
أهذا هو العمل الملح في المصنع ؟
يرفض الخروج بالأولاد .. لكي يلعب « اسكواش » .
ولو أنه مجرد لعب ..لاحتملت .. فهي غلطة أنانية مما تعودتها منه.
ولكن أن يلعب مع فتاة .. ويخرج وإياها بهذا المنظر في وسط النادي
.. فهو أمر يتعدى الأنانية .. إلى العدوان وجرح الكرامة .
إنها تقبل أن تنطوي في البيت لكي تكون أما نموذجية .
ولكن ليس لكي تصبح زوجة مخدوعة .. مهانة أمام كل الناس .
وقبل أن يراها انسحبت بولديها إلى ساحة الأطفال ..
لقد كانت تكره مشاهد الغيرة .
وتكره أكثر أن تقف فيها .. موقف المعتدى عليها ..

٨ ـ رغبة فى التحدى

عاد مدحت إلى البيت ليلقى أول صدام عنيف بينه وبين شهيرة . سألته عندما دخل :

ـ أذهبت إلى المصنع ؟

ـ أجل .

ـ فقط ؟

وأدرك مدحت أنها لابد أن تكون قد عرفت شيئا .. ربما من إحدى صاحباتها اللواتى ينتشرن فى النادى فأردف قائلا ليغطى موقفه :

ـ ذهبت بعد ذلك إلى النادى .

ـ لماذا ؟

ـ لعبت اسكواش .

ـ مع من ؟

ـ مع الممرن .

ـ فقط ؟

ومرة أخرى أدرك أن هناك وشاية .

ـ ومع فتاة ألمانية .

وانفجرت شهيرة صارخة فى وجهه :

ـ إنى أستطيع احتمال كل سيئاتك .. وأنانيتك ..

وقاطعها فى حدة :

ـ أى سيئات ؟

ـ إنك لا تريد أن تحمل أية مسئولية من مسئوليات البيت .. إنك

تعيش كسيد متغطرس .. مفروض على كل من فى البيت أن يخدموك .. ويتحملوا متاعبك .

ــ إنى لا أجد شيئا مريحا فى البيت .

ــ إنك لاتستقر فى البيت إلا لتأكل وتنام .. وتقل أدبك على من فيه . ومع ذلك .. احتملتك .. وصدقت أنك تقضى كل وقتك فى العمل وتعود مرهقا ..

ــ أليس من حقى أن أذهب إلى النادى لألعب .. هل تستكثرين على هنيهات أريح فيها ذهنى .. أية حياة هذه ؟ ..

وصرخت فيه مقاطعة :

ــ كفى كذبا وادعاء .. لاتقلب الآية فتجعلنى مذنبة كعادتك .. إنى لم أضق أبدا بذهابك للنادى .. ولكن أن تتركنا وحدنا يوم الجمعة وتذهب لتسير مع فتاة فى النادى أمام الناس .

ــ إنها ابنة الخبير الألمانى .. وقد طلبت منى أن ألعب معها .. كيف أرفض ؟ ..

وصمت لحظة ثم عاد يصيح فى غضب :

ــ هذا أمر غير معقول .. إنى لاأقبل الحجر على حريتى ..

ــ حريتك فى مصاحبة البنات فى النادى .. وأنت زوج وأب .. إنى لم أكن أصدق ما يقال من شائعات ..

ــ شائعات ؟!

ــ أجل .. لقد قالوا لى إنهم رأوك بضع مرات مع فتيات فى عربتك .

ــ وماذا فى ذلك .. ربما كنت أوصل أحدا من أخواتك أو أخواتى .

وأطلقت شهيرة زفرة يأس قائلة :

ــ لقد قلت لهم هذا . ولكنى الآن أشعر أنى كنت بلهاء.. إن الحياة لايمكن أن تستمر على هذا المنوال ..

ــ وماذا تريدين ؟

ـ لاأريد منك أكثر من أن تقوم بواجباتك كزوج وأب ..

ـ وما الذى قصرت فيه حيالك أو حيال الأولاد ؟

ـ إنك لاتستقر في البيت لحظة .. وقد تمر بضعة أيام .. دون أن يراك أولادك .. تخرج قبل أن يستيقظوا وتعود بعد أن يناموا .. ولقد حملتنى مسئولية كل شىء .. إنك لاتكلف نفسك مشقة الانتظار حتى يأتى الطبيب عندما يمرض أحدهما .. إن أحدا لايشعر أن بالبيت رجلا .. إنى أفعل كل شىء .. لقد أرهقت .

ـ هل تريديننى أن أبقى في البيت لأطبخ وأغسل ؟ ..

ـ إنك تعرف جيدا ما أريد منك .. فلا تكابر ولاتخادع .. إننى احتملت منك كل هذا الإهمال .. بدعوى أنك مرهق فى العمل .. ولكن .. أن تتركنا لتذهب للعب مع البنات .. فإن هذا أمر لايحتمل .. إن هذا أمر مهين لكرامة أية زوجة .. وأؤكد لك أنى لايمكن أن أحتمل هذا ..

ـ هل تريدننى ألا أذهب إلى النادى ؟.

ـ تذهب عندما تفرغ من واجباتك نحونا .. أوتذهب فى صحبتنا ..

ـ إذن فأنا لاأستطيع أن أذهب إلى النادى وحدى ؟

ـ أجل ..

ـ أهذا معقول ؟

ـ ولم لا .. هل تقبل أنت أن أذهب إلى النادى وأجلس مع رجل آخر ؟

ونظر إليها مدحت نظرة استخفاف وتساءل قائلا :

ـ وهل تستطيعين ؟

ـ وماذا يمنعنى ؟ .

وهز مدحت رأسه وقال محاولا إنهاء المناقشة :

ـ افعلى ما تشائين .

ـ تقول هذا لأنك واثق أنى لن أفعله .

ـ ربما .

ـ ولكنني عندما أيأس منك قد أفعله

ـ لا أظنك قد بت تصلحين له .

ـ أتظن هذا ؟

ـ يكفيك البيت والمطبخ والأولاد ..

وأحست شهيرة بشعور مذل لكبريائها .. وساءها أن تنبع ثقة زوجها .. من يقينه بفقدانها القدرة على الإغراء ..

وانتهت الزوبعة بينهما .. وقد رسب هذا الشعور في أعماقها .. مذلا .. جارحا ..

انتهى بك الأمر ياشهيرة .. إلى أن تصبحي مجرد زوجة وأم .. أو مديرة بيت .. ومربية أولاد ..

انتهى إحساس الرجل بك .. كأنثى ..

وبات مدحت واثقا من عجزك .. عن إيقاظ شكوكه .. أو إثارة غيرته ..

أحقا أصبحت كذلك ؟

ربما ..

فلقد مضت عليك سنون .. وأنت قابعة . في قوقعتك المنزلية .. وعندما تتركين القوقعة .. تغادرينها في موكب .. من الأمومة .. يسبقك محمود .. يتواثب .. أمامك معلنا عن قدوم الموكب .. وتتبعك حميدة الدادة .. تحمل راوية .. كحرس المؤخرة .

ولم يساورك قط إحساس بالتواضع ..

على النقيض .. كنت فخورة بنفسك وبموكبك .. بهذا القرد الجميل يتواثب أمامك .. ملؤه النشاط والصحة .. وبتلك البطة الصغيرة .. المتوردة الوجنتين ..

كنت تشعرين أنك أنجبت أشياء جميلة .. تستحق الفخر .. ولم يكن يعوزك الإحساس بالثقة ، والشعور بأنك مازلت كما كنت دائما .. مخلوقة

رائعة ..

ولم تتخيلي قط أنك قد فقدت قدرتك كأنثى .. كل ما كان يساورك .. هو أنك لم تعودي في حاجة إلى ممارستها .. فالإنسان الذي يهمك أن تمارسيها معه .. لم يعد يبدو في حاجة إليها .. بكل ماظهر لك من استغراقه في عمله .. وانهماكه في محيط بدا أبعد مايكون عن جو الإغراء .. والأنوثة .. محيط العمل ومشاكله وتطلعاته .. ومنغصاته .

حتى فوجئت مرة واحد .. بأن مدحت . لم يتوقف عن تطلعاته كرجل .. إلا بالنسبة لها .. لأنها ببساطة قد فقدت ـ في نظره ـ قدرتها على أن تكون أنثى ..

ولم تكن تلك هي المرة الوحيدة التي يداخلها هذا الشعور .

لقد استمرت الأحداث تؤكده لها ..

حاولت هي بغير إرادة أن تستعيد لنفسها وجودها الأنثوي .. أبدلت حامل الصدر بآخر مبطن .. بعد أن أحست بانكماش صدرها بمرور السنين وفقد النضارة .. وغيرت المشد بآخرأقوى .. لتخفي بروز بطنها وزوائد فخذيها .. وبدأت تلاحق مودات الشعروالثياب باهتمام أكثر .

وذات مرة وهي ترتدي ثيابها استعدادا للذهاب إلى السينما مع مدحت قال يستعجلها في ضجر :

ـ ياللا ياشهيرة الفيلم ابتدا .

وردت وهي تحاول أن تشد سوستة المشد :

ـ دقيقة واحدة ..

واستمرت تحاول جذب السوستة .. ولكنها انفلتت فجأة وفتح المشد ..

وصرخت شهيرة في يأس :

ـ غيرمعقول !!

وأقبل مدحت يتساءل في ضيق :

ـ ماهو هذا غير المعقول ؟

ـ هذه السوست التى نصنعها هنا .. لانكاد نشدها حتى تتفلت .

وزفر مدحت قائلا :

ـ وبعدين ؟.

ـ لابد أن أغير الثوب ..

ـ لماذا كل هذا .. كأنك ذاهبة إلى عرس !

ـ إن الثوب الأزرق ..

وقاطعها في قرف قائلا :

ـ الأزرق .. الأحمر .. ارتدى أى شىء .. من الذى سينظر إليك ؟.

وازدردت شهيرة ريقها وهى تحس أنه قـذف بكـوم من المرارة فى حلقها ..

أحقا .. لم يعد هناك من ينظر إليها ؟

لماذا هو واثق كل هذه الثقة ؟!

والتفتت إليه متسائلة :

ـ أحقا لم أعد ألفت النظر ؟

ـ وهل تريدين أن تلفتى النظر ؟

ـ ما من امرأة إلا وتحب أن تلفت النظر .

وقال وهو يغادر الحجرة :

ـ هذه مسألة قديمة .. فات أوانها ..

أحقا فات أوانك ياشهيرة ؟

مرير .. أليم .. أن يكون الأوان قد فات حقا ..

بل هو أمر غير معقول .. هذه السنوات القلائل .. لايمكن أن تفقدك مواهبك الأصيلة فى التميز .

إن وجودك كأم .. لايمكن أن يلغى وجودك كأنثى .. فأنت أنثى قبل أن تكونى أما .. ولن يحجب تميزك كأم .. التميز الذى كنت تتمتعين به دائما كأنثى .

ولم تستطع شهيرة أن تمنع نفسها من بضع محاولات اختبار .. لقدرتها على الجذب .. فى نطاق معقول .. ومحيط ضيق ..

فى إحدى حفلات الاستقبال التى تعودت أن تعتذر عنها لأنها مشغولة بالبيت وبالأولاد .. وتعود مدحت أن يذهب إليها وحده سألت مدحت وهو يهم بالخروج قبل المساء :

ـ إلى أين ؟

ـ إلى استقبال فى السفارة الفرنسية ..

ـ أهى دعوة مفردة ؟ .

وأخرج مدحت البطاقة من جيبه ثم قال ببساطة :

ـ بل مزدوجة .

ـ إذن لماذا تذهب وحدك ؟ !

ورفع مدحت حاجبيه فى دهشة متسائلا :

ـ ومنذ متى كنت تذهبين إلى حفلات الاستقبال ؟

ـ أيضايقك ذهابى ؟

ـ مطلقا .. ولكنك فقط عودتنى دائما على الرفض معتذرة بالأولاد ..

ـ نصحب الأولاد إلى ماما .. ثم تأخذهم بعد عودتنا

وأجاب مستسلما :

ـ أمرك .. ولكن لاتتأخرى فى اللبس .

ـ ماهو موعد الاستقبال ؟

ـ من الساعة السابعة .. إلى التاسعة .

ـ سأرتدى ملابسى بسرعة .

وكانت فرصة لارتداء ثوبها الجديد .. وكان شعرها مصففا .. وأعدت زينتها بعناية .. ونظرت إلى نفسها فى رضاء ثم خرجت إليه فى خطى خفيفة .. ورأس مرفوع .. وملء نفسها إحساس بكبرياء ماقبل الزواج ونادت الخادمة قائلة :

ـ أعددت الأولاد يا حميدة ؟

ثم نظرت إلى مدحت قائلة :

ـ أنا جاهزة ..

ونظر إليها مدحت .. ولم يرتح إلى منظرها .. الجذاب .. ولكن لم يستطع أن يقول شيئا ..

وفى الاستقبال .. ملأها إحساس بأن أوانها لم يفت .. وهى تجد نفسها موضع الإقبال والاهتمام .

أقبل عليها الكثير ممن تعرف ولاتعرف من الصحفيين ورجال السلك الدبلوماسى وأحست بشعورالأنثى .. إن نظرات الرجال تعبر الأكتاف وتصل إلى عينيها .. وردت الإيماءة بالإيماءة والابتسامة بالابتسامة . ولازمها البعض من وقت أن وصلت حتى دخلت .

وكان أكثرهم التقاصا بها .. الأستاذ فتوح صاحب مجلة الزمان . أقبل عليها متهللا يقول فى ترحاب :

ـ أهلا شهيرة هانم ..

وأطربها أن يعرفها وردت عليه مرحبة :

ـ أهلا وسهلا .

ـ ما هذا الاختفاء .. غيرمعقول أن يختفى هذا الوجه الجذاب طوال هذه المدة .. أين تعملين ؟

وأجابت شهيرة مغتبطة :

ـ فى البيت ..

ـ تعملين ماذا فى البيت ؟

ـ زوجة .. وربة أسرة .

ـ غير معقول .. أنت يغلق عليك جدران بيت .. أيا كان هذا البيت ..

ـ لماذا ؟.

ـ لأنك موهبة كبيرة .. كنا نتنبأ لك بأشياء مثيرة .. كانت لديك

موهبة الكتابة .. والغناء ، والتمثيل .. ولم يتخيل أحد منا أنك ستنطوين في البيت .. ألم يعرض عليك وأنت في الجامعة أن تكوني بطلة أحد الأفلام ؟

ـ أجل .. ورفضت .

ـ معك حق .. لم نتوقع أن تكوني مجرد ممثلة .. ولكنا لم نتوقع أيضا .. أن تصبحي مجرد ست بيت !

ونظر إلى عينيها متسائلا :

ـ ترى هل أنت راضية؟ .

ولم تملك سوى أن تجيب في ثقة واعتزاز :

ـ طبعا راضية .

ـ خسارة .. كان يمكن أن تكوني شيئا ..

ـ أتظنني لم أصبح شيئا ؟!

وتمتم في لهجة اعتذار :

ـ لا أقصد .. وإنما قصدت أن تكوني شيئا في الحياة العامة .. على أية حال إني أرجو أن نلتقي ثانية .. إن رقم تليفوني في الجريدة سهل الحفظ .. وإني موجود حتى الحادية عشرة .

واستمر الرجال يحيطون بها .. وأحست هي بأن تجربة استعادة الثقة قد نجحت .. وخيل إليها أنها لابد ستتلقى لوما من مدحت .. وأنه سيكف عن اتهامها بأنها لم تعد أنثى وبأن أوانها قد فات .

وعندما عادا إلى البيت .. أدركت من حديثه أنه ينوي الخروج بعد أن أوصلها هي والأولاد .

وسألته :

ـ لماذ لاتمكث معنا ؟

ـ لأن لدي موعدا مع رئيس مجلس الإدارة .

ـ في الليل ؟

ـ ولم لا !
ـ متأكد ؟
ـ ماذا تقصدين ؟
ـ أعنى أمتأكد أنت أن الموعد مع رئيس مجلس الإدارة ؟
ـ لاداعى لهذه الأسئلة السخيفة .
ـ سخيفة لماذا ؟ .
ـ لأنك تشككين فى قولى وتسخرين من موعد عمل .
ـ ألا يمكن أن يكون موعد تسلية ؟
وأطلق زفرة ضيق ولم يجب .
وعادت وهى تقول محاولة أن تعود بالحديث إلى اختبار لتجربة الليلة :
ـ أنا مثلا .. دعيت إلى موعد الليلة .
ورد فى استخفافا :
ـ ممن ؟
ـ الأستاذ فتوح !
ـ فتوح من ؟
ـ صاحب مجلة الزمان .
ـ موعد لماذا ؟
ـ ربما كان موعد عمل .
ـ عمل مع صاحب مجلة ؟!
ـ ولم لا ؟
ـ بأية مناسبة ؟
ـ قال عنى .. إنى موهبة كبيرة ..
ـ أنت ؟!
ـ أجل ..
ـ فى أى شىء ؟

ـ فى الكتابة والتمثيل والغناء .

ـ وصدقته ؟

ـ ولماذا لا أصدقه .. لقد أكد لى أنه غيرمعقول أن تغلق علىّ جدران بيت .. أيا كان هذا البيت .. وسألنى أن أذهب للقائه .

ـ لماذا ؟

ـ لم يحدد بالضبط .. ولكنه قد يمنحنى فرصة لإظهار مواهبى .

ـ وهل تريدين الفرصة ؟

ـ ولم لا !

ـ وهل تصدقين أن لديك مواهب .

ـ ولماذا يكذب الرجل ؟

ـ لأنه يجاملك .

ـ إلى حد أن يطلب منى لقاءه ؟!

ـ لا شك أنه كان يغازلك ؟

قالها مدحت ببساطة أثارت غيظها فتساءلت فى دهشة :

ـ ألايضايقك هذا ؟

ـ لايضايقنى مجرد كلمات عابرة .. تقال من باب المجاملة .

ـ ودعوتى للقائه ؟

ـ مجرد كلام .

ـ وإذا ذهبت ؟

ـ الظاهر أنك جننت .

ـ لماذا ؟ .

ـ هل تريدين حقا أنْ تظهرى ماتتخيلينه بك من مواهب خفية ؟

ـ أليس هذا من حقى ؟

ـ أتريدين أن تمثلى ؟

ـ لقد سنحت لى الفرصة وأنا طالبة فى الجامعة ورفضتها .

ـ وتريدين أن تعرضيها الآن ؟ ..

ـ لاأظن .. ولكنني قد أكتب إذا أتيحت لي الفرصة .

ـ ماذا تكتبين ؟

ـ كنت أكتب الشعر والقصة وأنا طالبة في الجامعة .

وضحك مدحت في سخرية قائلا :

ـ وستواصلين الآن إنتاجك الخطير ؟ .

ـ سأحاول .. هل لديك مانع ؟

ـ مطلقا .

ـ وسأذهب للقاء الأستاذ فتوح .

ـ افعلي ما يحلو لك .

وصمتت برهة ثم تساءلت :

ـ ألن يضايقك هذا ؟

ـ ولماذا أتضايق ؟

ـ أعني ألن تغارعليّ

وبدا كأن هذا هو السؤال الذي أرادت أن تسمع إجابته عليه من كل حديثها . ونظر إليها متسائلا :

ـ أغار عليك ؟. ممن ؟

ـ كنت فيما مضى تغار عليّ

ـ ربما !

ـ والآن ؟

ورفع كتفيه في ملل قائلا :

ـ يعني !!

واندفع إلى الخارج قائلا وهو يغادرالغرفة :

ـ ربما أتأخر ..

ولم ترد عليه .

مرة أخرى أحست بكبريائها تدمى .

وتملكتها رغبة جارفة فى التحدى .. وأحست أن قيمتها كأنثى قد هانت ..

وعزت عليها نفسها .. وهى تجد أنها لم تعد تستحق حتى مجرد الغيرة .

جرت على نفسك يا حمقاء .. جرفك تيار الأمومة فلم يبق منك سوى مجرد شغالة .. وسحرمنك مدحت عندماعرف قول الرجل عنك أنك موهبة كبيرة .. ونسى كل ماكان يقوله هونفسه عنك أيام الحب .. من أنك رائعة فى كل شىء.

ذهبت عنك الروعة .. وخبا الضياء المشرق الذى كان يحيط بك ..

من أجل الأسرة التى شيدتها .. ومن أجل الطفلين الجميلين .

ولكن ألايستحقان منك التضحية ؟

ـ تضحية بنفسك .. بقيمتك الذاتية ..

بحقك كامرأة .

بأن تصبحى مجرد قطعة فى البيت .. كأمك وخالتك .. وبقية النساء اللواتى تحولن إلى مجرد تابعات ..

وبدأ صراع شهيرة مع واقعها .. صراعها كى تستعيد ذاتها المتميزة..

وبدأ الصدام بينها وبين مدحت ..

لم تعد تسلم له بالتأخير والغياب .. ولاعادت تستسلم لأساليب الخداع التى كان يمارسها معها ..

وأخذت تفحص ثيابه وتعد نقوده .. وتطارده بالتليفونات فى كل مكان ..

وفى نفس الوقت بدأت تخلص من قيود الأسر الذى فرضته على نفسها فى بيتها ومع أولادها

لم تقصد العبث وإنما قصدت أن تستعيد شخصيتها المستقلة التى

تعودت أن تكونها دائما.. وأن تتخلص من تبعية الأسرة التى ألزمت نفسها بها .. وأن تعود المخلوقة المتميزة التى يعجب بها الناس .

ولم يكن الأمر هينا .. فقد كان عليها أن تحطم قيدها دون أن تعرض نفسها للشائعات .. والأقاويل . وكان عليها أن تعاود الخوض فى غمار المجتمع .. مع تجنب كل المزالق والمضايقات .

والتحقت بالجامعة الأمريكية .. والتحقت بمعهد الرسم .. واندفعت فى عملية دراسات تحاول بها أن تستعيد شخصيتها الأولى لفتاة جامعية متميزة .

ولم تجد ما كانت تتوهم .. من مجد ..

انتهت دراساتها .. بلاشىء .

وحاولت أن تجد عملا يلائم طموحها .. فلم تجد سوى التدريس ووظائف الحكومة التى تزج بها فى قطيع من الموظفين والموظفات ليس بينهم أى مجال للطموح أواحتمال للتميز .

وزاد التوتر بينها وبين مدحت .. واشتد الخلاف .

لم يعد أحد منهما يغفر للآخر زلة .. أو يحتمل منه خطأ .. لقد بدأت تواجه أنانيته بأنانية مماثلة .. وإهماله بإهمال أشد ولم تعد تحس بأن هناك شيئا يمكن من أجله أن تغفر له أوتحتمله .

وتحول الخلاف إلى مشادات ..

وتحولت المشادات إلى تراشق بالشتائم .

وانتهت إحدى المعارك بأن تركت له البيت وأخلت الأولاد وذهبت إلى بيت أبيها .

وحاول الأب مرة بعد مرة أن يصلح مابينهما .. حتى أصابه اليأس فقال لها :

ـ إذا لم تحتملى العيش معه .. فاتركيه .. لست أول زوجة تطلق .

ولم تفزعها فكرة الطلاق .

وبدأت تطالب به .

واستقرت أخيرا بالأولاد فى بيت أبيها .. وهى مصممة أن تكون الفرقة نهائية .

واستمرت تحاول أن تجد طريقها .. إلى التميز مرة أخرى ..

حتى التقت بالأستاذ عبد اللطيف .. المخلوق الذى طالما بهرها بكتاباته..

فأحست أن الطريق قد فتح أمامها على مصراعيه .

لقد أحبها الرجل ..

واستقرت منه فى موضع الملهمة التى طالما شعت من كتاباته ..

ولم تدع الفرصة تفلت منها .

بل أطبقت عليها بكل ماتملك من قدرة .. وذكاء ، وحذق .

٩ ـ نحو الأضواء

توالى لقاء شهيرة بعبد اللطيف عقب أول تعارف فى سهرة العشاء بعد أن وجد كل منهما فى الآخر بغيته المنشودة

وجد عبد اللطيف فى شهيرة .. ملهمة من نوع جديد .. أو مفجرا قويا فعالا لطاقات حبه بكل ماتحوي من أحاسيس وانفعالات .

كانت شهيرة بالنسبة له .. تركيبة ممتازة من شتى الجاذبيات المضمونة الأثر فى نفسه .

جاذبية الشكل العام . التى لاتعرف بالتحديد موضع الجمال فيها .. ولكنها ـ على بعضها ـ بنظرة عينيها .. وبسمة شفتيها .. وإيماءة رأسها .. ولفتة وجهها .. وحركة جسدها .. تشكل شيئا جذابا .. يشد الأبصار ..

وجاذبية الذكاء .. الذى يعرف كيف يستغل مالديه من قدرات .. دون أن يفرضه على الغير .. أو ينفره منه .

وجاذبية الحديث .. بقدرمن النفاق معقول .. وبقدرة على الإنصات عندما يكو ن الإنصات ألزم من الحديث . وعندما يمتع الغير أن تنصت له.. أكثرمما تتحدث إليه .

وتعاون ذكاؤها.. مع لهفته المفرطة عليها .. على إخفاء مايمكن أن يوضع من صفاتها فى كفة العيوب .. عندما توزن بالنظرة المجردة .

أصبح إحساسها بالتميز الذى يمكن أن يوصف بالغرور أو التعالى .. يعتبر فى نظره ثقة فى النفس .. خلوا من مركبات النقص .

أصبح طموحها الشخصى .. الذى أيقظه فى نفسها إصرارها على التحدى .. وعلى أن تكون هى نفسها شيئا هاما .. يعتبر فى نظره أصالة

في الشخصية .. واستقلالا للذات .

وهكذا شكلت شهيرة لعبد اللطيف .. ملهمة جديدة .. سرابا براقا يعدو وراءه .. لاهثا .. بكل مايطلق من أشعار.. وينفث من آهات .. ويؤدي من خدمات ..

وتلقته شهيرة .. في لهفة .. بأشعاره .. وآهاته .. وخدماته . لقد وجدت فيه هي الأخرى بغيتها المنشودة .

اليد القادرة التي تذلل لها العقبات .. وتيسر لها المصاعب .. وتدفع بها إلى الأضواء ..

وأقبلت عليه في مكتبه بالمجلة بعد حديث تليفوني قصير أكد لها لهفته على الاطلاع على بعض ماكتبت .

ودخل عليه عبد الراضي ينبئه في تثاقل وملل :

ـ واحدة تقول إن اسمها شهيرة .. هل أخبرها أنك مشغول ؟ ووثب عبد اللطيف من مكانه صائحا .

ـ مشغول ياغبي .. أدخلها بسرعة .

ـ ألم تقل لي ألا أدخل عليك أحدا .. عندما تكون منهمكا في الكتابة .

وضحك عبد اللطيف قائلا :

ـ إلا هذه .. أدخلها بسرعة .. وعندما تأتي بعد ذلك .. افتح لها الأبواب .. وأدخلها بلا استئذان ..

ـ وأفرش لها الرمل .. وأعلق الأعلام ..

وضحك عبد الراضي ضحكة العارف الفاهم وأردف قائلا :

ـ من عيني ياأستاذ .

ثم اتجه إلى شهيرة يدعوها .

ـ اهلا وسهلا .. أهلا وسهلا .. اتفضلي يا ست .. الأستاذ منتظرك .

وسار وراءها وهو يقول مرحبا :

ـ المجلة نورت .

والتفتت إليه شهيرة باسمة وهى تتساءل :

ـ أنت عبد الراضى ؟ ..

وسر عبد الراضى أن يكون مشهورا إلى هذا الحد .. واندفع فى ترحيبه متهللا :

ـ محسوبك . وخدامك .. داحنا زارنا النبى .

ودخلت شهيرة المكتب .. فى زفة عبد الراضى .. خفيفة الخطى .. رشيقة القوام .. أنيقة المظهر .. وسرت معها .. إلى جانب تهاليل عبد الراضى نسمة عطرة .. تعمدت أن تكون دائما .. مقدمتها لدى عبد اللطيف .

ونهر عبد اللطيف عبد الراضى لهذه الضجة التى ساق بها شهيرة وطلب منه ـ بعد أن رحب بها وسألها عما تشرب ـ أن يحضر قهوة مضبوط.

واستقرت شهيرة على أحد المقاعد المريحة فى الغرفة ورفع عبد اللطيف سماعة التليفون مناديا تهامى عامل التليفون :

ـ اسمع ياتهامى .. أنا مشغول .. لاأريد أن تقلقنى كل دقيقة بالمكالمات الهايفة .. مفهوم ؟ .

ووضع السماعة ثم أقبل على شهيرة يعاود الترحيب :

ـ أهلا .. أهلا ..

ثم تساءل السؤال التقليدى :

ـ كيف الحال ؟

ـ الحمد لله .

ـ أرجو أن تكون الأزمة قد انتهت .

ـ فى طريقها إلى الانتهاء .

ـ هذه أنباء طيبة .. فالفرقة ليست سهلة .. ولاسيما مع وجود الأولاد .

ورفعت شهيرة حاجبيها بشيء من الدهشة .

ثم قالت مؤكدة :

ـ إنها في طريقها إلى الانتهاء .. بالفرقة .

وتساءل عبد اللطيف في أسف :

ـ ألا فائدة من التفاهم ؟

ـ لقد تفاهمنا على الطلاق .

ـ شيء مؤسف .

ـ إذا كان هو الشيء الوحيد الذي أمكن التفاهم عليه .. فلابد من الإقدام عليه .

وأحس عبد اللطيف أنه قد ساق اللقاء إلى جو عكر .. وحاول أن يخلص منه فقال متمتما :

ـ كل شيء نصيب .. وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم .. عوضك الله خيرا .. وهيأ لك السعادة دائما ..

وقبل أن يسمع ردها أردف بسرعة :

ـ المهم الآن .. هو أن نسمع شيئا من إنتاجك .. قلت لي إن لديك بضع قصص وقصائد .

ـ ليس بالمعنى المفهوم .. إنها مجرد خواطر .. لاأعرف حتى إذا كانت شعرا أم نثرا .. لقدكنت أكتب في مجلة الكلية .. ولكني لم أحاول النشر منذ أن تركت الجامعة .. شغلني البيت والأولاد .. وإن كنت في كثير من الأحيان أحس أني أريد أن أقول شيئا .. وأجلس لأخرج أفكاري ومشاعري على الورق . ولكني أطويها .. دون أن أحاول مجرد عرضها على الغير .. ذات مرة .. قرأت لمدحت بعضها فقال لي ببساطة « لقد كبرت على هذا العبث ». ورد عبد اللطيف في حماس :

ـ كل ماكتبناه كان عبثا في أول الأمر..

ثم مد يده قائلا :

ـ أريني ما كتبت .

وأخرجت شهيرة كراسة من حقيبتها وناولتها إليه قائلة :

ـ أريد رأيك بصراحة .

وتناول الكراسة ثم قلب أوراقها بسرعة .. فوجد مابها من نوع الشعر المنثور .. كلمتين في سطر . ثم كلمة .. ونقط .. وثلاث كلمات ثم سطر خال .. وعلامة تعجب .. ثم علامة استفهام .

كلام تسهل قراء ته ..

وبدأ القراءة من الصفحة الأولى :

دقات الساعة تتوالى فى رتابة
وقطرات من صنبور تالف
تطرق الأرض ..
قطرة .. قطرة
فى إلحاح .. وعناد
وقطة .. تموء .. وكلب يعوى
والريح تصفق ضلفة النافذة
وتسحبها !!
ثم تصفقها ثانية بعنف أشد
كأنها تلطم وجه مخلوق بغيض .
وباب مفتوح يهتز .. ويتأرجح
ومن مفاصله .. ينبعث أنين
والليل جاثم لايتحرك ..
يبتلع دقات الساعة ..
ودموع الصنبور التالف ..
واللطمة على الصدغ .. والأنين .. والعويل ..
لايتململ .. ولا يعبأ ..

وهى تنتظر ..
لا تعرف ماذا .. ولا متى ..
لا شيء يوحى بأن هناك شيئا ..
لاشيء قبله .. ولاشيء بعده ..
كل شيء جمد فى حركته .
حركة الشلل .. واليأس .. والملل ..
دقات الساعة .. وطرقات الصنبور ..
مواء القطة ..
وعواء الكلاب .. وصراخ النافذة .. وأنين الباب ..
والليل أسود .. جاثم .. يثقل الأنفاس ..
وهى تنتظر ..
لاتعرف ماذا .. ولامن .. ولامتى ..
النافذة مفتوحة تقرعها الريح ..
والباب يترنح .. وصرير مفصلاته .. أنين .
ولا أحد يدخل ..
فتنتظر أوبته ..
ولاأحد يخرج لتتوقع رحيله ..
ومع ذلك ..
ترهف السمع ..
هذه أصوات أقدام .. تطرق أرض الطريق ..
تقترب .. تقترب أكثر ..
ولكنها لاتلبث أن تتباعد .. وتخفت ..
ويبتلعها الليل .. ويطويها الملل الرتيب ..
دقات الساعة ودموع الصنبور التالف ..
ولكنها تنتظر .. لاتعرف ماذا .. ولا من ولا متى ..

الباب مفتوح ..
فلماذا لا تخرج هي .. تهرب .
تنطلق !!
إلى أين ؟
وهي لا تعرف سوى هذه الجدران ..
وهذه الأرض .. والسقف والنجوم المرتجفة من وراء .. إلى أين ؟
إلى أين .. في هذه الظلمة المطبقة ؟ ..
والليل جاثم ..
إن عليها أن تبقى وتنتظر ..
ترهف السمع ..
لصوت جديد ..
لقادم .. أو راحل ..
ترقب الظلمة والليل واليأس والملل الرتيب ..
وتنتظر ..
ماذا ؟!!
لعله ضوء الفجر .
يطوي كل هذا .. ويجرفه ..
ويقبل ..
بعصفور .. يغني ..
وبقطرة ندى ..
تتلألأ .
على وردة .. تتثاءب .. وتتفتح ..
وأشياء جميلة .. كثيرة ..
بيضاء .. مشرقة .. واضحة .. لطيفة عذبة .. تشيع الأمان ..
والسلام .. والجمال .. ليس فيها قبح الليل .. وسواده .. وتمويهه ..

وخداعه .. وإيواؤه للضغينة .. والشر .. والحقد .. والظلم .. والعدوان .

أشياء كثيرة .. جميلة ..

طواها الليل الجاثم ..

الأسود الخانق ..

وأبعدها اليأس .. والرتابة .. والملل .. دقات الساعة الرتيبة .. ولطمات الريح ..

تجذب النافذة .. وتصفعها على الوجه ..

تجذبها وتصفعها .. فى عنف .. وحقد ..

بلاشعور .. ولارحمة .. ولاندم .

فإذا لم يطلع الفجر..

إذا ظل بعيداً كالسراب .. وهما كالحلم ..

ماذ يجدى الانتظار ؟

إذا كانت دقات الساعة .. إيذانا بالعدم ..

وهبات الريح .. نواحا ..

والانتظار .. احتضارا .. والاستسلام .. فناء ..

ستندفع .. ومرارةاليأس فى فمها ..

لتواجه الريح ..

تخلع النافذة .. وتقلع الباب ..

وتقتل الليل قبل أن يقتلها ..

وتنتزع الفجر من جوف الأفق ..

بكفها تطلق النهار..

وبراحتيها تفتح الأزهار..

وتحقق انتصار الإنسان على البغضاء والحقد ..

وتعيد إلى الحياة .. الحب والجمال .. والسلام ..

***

وانتهى عبد اللطيف من القراءة ..

ووضع الكراسة على المكتب .. ونظر إليها في شيء من الدهشة وتساءل :

ـ أنت كتبت هذا ؟

ـ ألايعجبك ؟

ـ بالطبع يعجبني .

ـ ماذا تعتبره .. أهو شعر ؟

ـ فيه شاعرية .. وإن لم يتخذ سمات الشعر .

ـ لماذا ؟

وضحك عبد اللطيف قائلا ببساطة :

ـ لأنه ليس شعرا .. أعني ليس موزونا ولامقفى ..

ـ إنه شعر حديث .

ـ الشعر الحديث قد لاتكون القافية .. ضرورة فيه ... ولكن لابد أن يتوافر فيه نوع من الوزن يمنحه موسيقية الشعر .. وإلا أضحى مجرد نثر .. ولما كان هناك ضرورة لإدخاله في إطار الشعر .

وتناول عبد اللطيف الكراسة وأجرى بصره بين السطور ثم تمتم قائلا :

ـ على أية حال هي خير في نظري من كثير من القصائد التقليدية أو العمودية التي هي مجرد رص كلمات .. والتي أسميها .. هذيانا موزونا مقفى .. وهي خير أيضا من كثير من قصائد الشعر الحديث التي لا معنى لها .. ولا وزن ولاقافية .

ـ أتقول هذا مجاملة ؟

ـ بل أعنيه .. فهي على الأقل .. صورة متكاملة .. تعبر عن شعور .. وتحمل معنى .. وتبدو لي أنك يمكن أن تكوني قصاصة جيدة .

وهزت شهيرة رأسها قائلة :

ـ لا أظن ..

ـ لماذا ؟

ـ لقد حاولت كتابة القصة فلم أفلح .

وأطلقت ضحكة قصيرة وأردفت قائلة :

ـ إن هذا هو أفضل ما استطعت أن أتوصل إليه .. ولاأظنني أستطيع أن أكتب شيئا أكثرمن هذا .

وهز عبد اللطيف رأسه مؤكدا :

ـ ولكن هذا جيد ..

ـ هل يمكن نشره؟

ـ ولم لا ؟

ـ مجاملة .

وضحك عبد اللطيف قائلا :

ـ النشر ليس مشكلة .. إن نصف ما ينشر .. إن لم يكن ثلاثة أرباعه ليس له قيمة حقيقية .. ولا أظن الناس يمكن أن تفتقد شيئا إذا لم ينشر .

ـ ولماذا إذن ينشر ؟

ـ جزء منه لأن أصحابه .. محترفون للكتابة .. ولابد أن يواصلوا الكتابة حتى يعيشوا .

وقاطعته شهيرة وهي تتساءل ضاحكة :

ـ وهل تفعل أنت هذا ؟

ـ أحيانا ..

ـ لاأظن .. لأني أحس دائما أنك تكتب من قلبك .

ـ وهل تعرفين ما بقلبي ؟

ـ يخيل لي .

ـ إذن علي أن أبذل مجهودا .. لكي أستره .

ـ ولماذ ؟ .. إن ما به دائما .. مشرق نظيف ..

ـ هذا خيرما يمكن أن أمدح به ..

To: www.al-mostafa.com

ـ إنى أقرر حقيقة .

ـ يسعدنى أن يكون هذا فهمك لى ..

وساد فترة صمت مقلقة سرعان ماقطعها قائلا :

ـ ماذا كنا نقول .. إن جزءا مما ليس له قيمة مماينشر .. هو مجرد أداء واجب .. والجزء الآخر.. أصحابه .. يعتقدون .. أنهم يقولون شيئا .. ولاأظن أحدا فهم أى شىء .. ما يحاولون أن يقولوا .. وما يملأون به أعمدة الصحف .. هذا بالإضافة إلى ماينشر من باب المجاملات .

وضحكت شهيرة قائلة :

ـ والذى سأنضوى أنا تحته .

وقهقة عبد اللطيف قائلا :

ـ لا .. لا .. لم أقصد هذا ..

وعاد يمسك الكراسة وهو يردف :

ـ إنى واثق أن بك شيئا .. من هذا الكلام الذى تكتبينه يمكن أن تخرج أشياء لها قيمة .. إذا ما صيغت فى شكل فنى متقن .

ـ وكيف ؟

ـ أعنى أن تصاغ هذه المعانى فى قصيدة .. أوتوضع فى قالب قصصى .

ـ ولكننى لا أعرف .

ـ أنا أستطيع أن أعاونك .

وهكذا بدأ عبد اللطيف أول مساعداته لشهيرة .

صاغ لها خواطرها فى قصائد ..

ونشرت فى المجلة باسمها .

وأثارت القصائد .. شيئا من الاهتمام .. ولاسيما بعد أن نشرت صورة لشهيرة ..

اهتم القراء .. والنقاد والكتاب بها ..

هاجمها البعض .. ومدحها البعض ..

ولكن الكل اجمعوا على أن عبد اللطيف هو الذى يكتب لها قصائدها .. واشتهرت .. كملهمة شاعر .. أكثر منها شاعرة ..

ودخلت شهيرة في دوامة الشهرة .. واستمرأتها .. وأصبح اهتمامها بالصحافة مركزا في البحث .. عن صورتها بين الصفحات أو اسمها بين السطور ..

واستطاع عبد اللطيف .. أن يرضى عندها . ما كان يسميه « متعة الاسم المطبوع » بخبر هنا .. وحديث هناك .. وكان يعد لها كل ماينشر باسمها .. أو ينشر عنها .. حتى استطاع أن يفرضها كإنسانة شهيرة .. وأن يضعها في نطاق من يروى عنهم .. في صفحات الأخبار .. ويؤخذ رأيهم .. في الأحاديث والريبورتاجات .

وأحست شهيرة .. أن الهالة التى أحاطها بها عبد اللطيف والنابعة من مشاعره الخاصة .. أكبر منها .. وأنها لا تستند إلى قدرتها الحقيقية وأنها يجب أن تعمل عملا ما .. يمكن أن تستغل فيه مواهبها .. وتنتفع بأجره .. في المعاونة على مواجهة أعباء الحياة .. بعد أن انفصلت عن زوجها واستقرت في بيت أبيها .

وبدا لها أن أفضل عمل يمكن أن يحقق لها مطالبها .. هو مذيعة تليفزيون .. إنها تستطيع أن تكون فيه مخلوقة متميزة .. بشكلها .. وجاذبيتها وذكائها .. وقدرتها على الحديث ..

وهو يحقق لها .. بلا جدال مزيدا من الشهرة .

وفاتحت عبد اللطيف في الموضوع .

كانت قد دعته لتناول الشاى في بيت أبيها الذى انتقلت إليه بعد انفصالها عن زوجها .

وكان البيت في إحدى العمارات المطلة على النيل في الزمالك في منطقة السفارات ..

وكانت شهيرة قد استقرت بأولادها في شقة أمها مكان إحدى أخواتها التى تزوجت ..

وكان أبوها يشغل الشقة المقابلة في حياة شبه مستقلة .

والتقى عبد اللطيف بأبيها لأول مرة في ذلك المساء .. وأحس وهو يحادثه .. أن الرجل قد أورث ابنته الكثير من شخصيته وذكائه .

وانطلق الدكتورعبد الخبير يتحدث عن الفضاء وتجارب الفضاء .. حديث العالم الخبير .. وقارن بين التجارب التى أجريت حتى الآن لغزو الفضاء بواسطة أمريكا والسوفييت .

وتحدث عن محاولة دولية مشتركة توشك أن تتم بالتعاون بين الدولتين الكبيرتين ..

واستوعب عبد اللطيف ما أمكن أن يستوعبه للنشر مما قاله عبد الخبير ثم سأله :

ــ لماذا لاتنشر في مجلتنا شيئا من هذه المعلومات ؟

ــ لا أظن مكانها يمكن أن يكون مجلة خفيفة .

ــ إننا ننشر بعض الآراء والبحوث العلمية .

ــ أليست ثقيلة على القارىء ؟

ــ إننا ننشرها بشكل مبسط .

ــ أخشى أن تفقد قيمتها وتصبح نوعا من التهريج الدعائى .

ــ على أية حال إذا سمحت لى .. سأكتب أنا مااستطعت أن أفهمه منك .. هل تأذن لى ؟

ــ طبعا ..

ــ وسأعرضه عليك قبل نشره .

وأقبلت شهيرة تجر منضدة الشاى وهى تتساءل :

ــ ما هذا الذى ستعرضه عليه قبل نشره؟

ــ حديث عن غزو الفضاء .

وتوقفت شهيرة وقالت وهى تصب الشاى فى أحد الفناجين :

ـ ياسلام .. لو أتيح لى أن أصعد إلى الفضاء ..

وتساءل أبوها ضاحكا :

ـ هل ضاقت بك الأرض ؟

ـ لقد قرأت ماكتب رواد الفضاء عما رأوه .. إنه شىء جميل حقا .. أن ينطلق الإنسان حرا.. طليقا فى هذا الفضاء الفسيح الرائع ..

ـ من يدرى ربما تسنح لك الفرصة ..

وقال عبد اللطيف باسما :

ـ لقد قال الدكتور إن هناك اتجاها لعمل مشترك بين علماء الفضاء توحد فيه الجهود .. وسيقيمون القاعدة فى مكان محايد .. من يدرى .. ربما تكون هنا .. وربما تسنح لك الفرصة ..

ـ حلم ..

ـ ربما تحقق ..

ـ دعونا نتحدث عن الأحلام القابلة للتحقيق .

ـ مثل ماذا ؟

ـ مثل البحث عن عمل التحق به .

ـ هذا حلم .. ليس أسهل من تحقيقه .

ـ إنى أريد أن أعمل فى التليفزيون .

والتفتت إلى أبيها متسائلة :

ـ ألديك مانع ؟

ـ أبدا .

وقال عبد اللطيف :

ـ هذه مسألة سهلة .. اعتبرى حلمك قد تحقق ..

وتساءلت شهيرة فى دهشة :

ـ أتتكلم جادا ؟

ـ طبعا .. إن مدير التليفزيون صديقى .. ولا أظنه يمكن أن يجد خيرا منك .. شكلا.. وموضوعا ..

ـ إنك تحسن الظن بى .

ـ إنى واثق أنى أقدم للتليفزيون .. هدية أستحق أن أشكر عليها .

ـ ومتى تحدثه ؟

ـ الآن .. أين التليفون ؟

وفى اليوم التـالى كانت شهيرة تتجه إلى هذا المبنى الشـاهق على النيل ..

ولم يبد أن هناك مشكلة .. بل بدا الأمر سهلا ميسورا .

كان التليفزيون يطلب مذيعات ..

وطلب المديرمن عبد اللطيف .. أن يرسلها لتأدية الاختبار .

وقال عبد الطيف مؤكدا فى ثقة :

ـ إنى واثق أنها ستنجـح .. إنها مخـلوقة ممتازة .. شـكلا وذكاء وثقافة ..

وأقبلت شهيرة على المسئولين عن الاختبار وأحست أنهم يتناولونها .. كأنها خصم يشكل عدوانا عليهم وسألتها إحدى الرئيسات :

ـ أتريدين أن تعملى مذيعة؟

ـ أجل ..

ـ ولماذا ؟

ولم تعرف شهيرة كيف تجيب .. ولم تظن أن السؤال جزء من الاختبار وردت ببساطة :

ـ لأنى أرغب أن أعمل مذيعة .. وأعتقد أنى أصلح .

ـ لماذ تعتقدين ؟ .

ـ هذا اعتقادى .. وأنا حرة فيما أعتقد .

ـ ألأنك جميلة ؟ . إن الجمال ليس كل شيء .. ثم إنك قد لا تكونين

وجها صالحا للكاميرا..

ولم تعرف شهيرة بماذا تجيب .. وأحست بالدم يتصاعد إلى وجهها .. ولكنها حاولت أن تتمالك ..

وأقبلت أخرى تسأله في شيء من السخرية :

ـ لقد أوصى بك المدير ..

ـ ربما ! ..

ـ هل تعرفينه ؟

ـ لا ..

ـ إذن لم أوصى ؟

ـ لا أعلم .

ـ على أية حال المهم هوالاختبار .

وسقطت شهيرة في الاختبار ..

ربما لأنها لم تكن صالحة .. وربما لأن المدير أوصى عليها .. وذهبت إلى عبد اللطيف وأنبأته بماحدث ..

وهز رأسه ببساطة وقال ساخرا :

ـ يبدو أني قد أخطأت التوصية؟

ـ كيف ؟ ..

ـ كان عليّ أن أتجه مباشرة إلى الذين أسقطوك في الامتحان .. إذ يبدو أنهم أصحاب السيطرة الحقيقية .

ـ ماذا تقصد ؟

ـ في بعض الجهات يجب أن يكون لدى المرء .. الحس لأن يعرف من .. يفعل هذا . فبعض الناس تراه قادرين على كل شيء .. يبرزون من يشاءون ويخفضون من يشاءون .. يفرضون مايريدون ويرفضون ما لايريدون .. إن شاعرا مجهولا يلقي قصائده يوميا في الإذاعة .. والشعراء الحقيقيون محجوبون .. لأن القيم تحددها الأمزجة الشخصية ومصالح الشلل وأحيانا

تشكل الرئاسات الصغرى .. دولة .. داخل دولة .. لقد أشاعوا أن أحد المؤلفين سئل أن يوافق على مد حلقات إحدى مسلسلاته حتى يزاد أجرها بشرط ألايقبض إلا نصف الزيادة فقط .

ـ وماذا فعل ؟.

ـ فضل أن يترك المسلسة كماهى وأبدى استعداده الكامل للتنازل عن أجرها .. ومن الفكاهات التى يطلقونها أن أحدهم طلب من إحدى الممثلات عمولة عن عملها .. فلم تدفع .. فلم يكن منه إلا أن أرسلها فى المسلسلة .. للحج .. وظلت حتى النهاية محرومة من التمثيل ومن الأجر .. لوجودها فى الحج .. حتى استنجدت بالمسئولين لإعادتها من بيت الله إلى الأستوديو!.

وضحكت شهيرة .. قائلة :

ـ الحمد الله أنى سقطت فى الاختبار ..

وهز عبد اللطيف رأسه قائلا فى ثقة :

ـ ستنجحين .. وتعينين فى التليفزيون .

ثم رفع السماعة وطلب رقما فى التليفزيون وبعد بضعة شهور .. أعادت شهيرة الاختبار.. ونجحت .. وأصبحت مذيعة فى التليفزيون .

وفرضت الشاشة وجهها .. وابتسامتها .. فى كل بيت .. وأصبح اسمها على كل لسان ..

١٠ ــ ثلاثة أرانب

بدأت نبوءة عبد الخبير تتحقق .. وشيدت القاعدة العالمية الكبرى لأعمال الفضاء المشتركة .. وشارك في العمل فيها هو وغيره من العلماء والمهندسين وملاحي الفضاء من كل أنحاء لعالم واستمرت البحوث وتعددت التجارب .. وانطلقت السفينة وراء السفينة تجوب الفضاء في عمليات الاستكشاف ومحاولات الهبوط .

وكانت شهيرة قد استقرت في عملها في التليفزيون .. تخوض معركة الشهرة بكل ماتملك من مواهب شكلية وذهنية . واستطاعت أن تفرض شخصيتها فيما تقدمه من برامج وأن تثير اهتمام الناس بها بالسخط أو بالرضا .. وواصل عبد اللطيف دفعها بإحساس المسئول عنها كجزء من كيانه .. لاتكاد تخلو صحيفة من خبر عنها أو حديث لها وكان هو نفسه صانع الخبر .. وكاتب الحديث .. فجعلها تتحدث عن الاشتراكية والحياد الإيجابي والفن الهادف .. بأشياء لم يخطر ببالها قط أن تنطق بها .. وبين آونة وأخرى .. يحول بعض شعرها المنثور إلى قصائد .. لتوالي تأكيد شخصيتها كشاعرة خلاقة .

وألفت هي ارتباطها به .. والتصاقه بها .. وبات حبه لها جزءا من حياتها .. وإذا كانت لم تستطع أن تمنحه الحب بمفهومه المصطلح عليه .. والذي يمنحها هو نفسه إياه .. فقد منحته اعترافا بوجوده .. وأنست إلى هذا الوجود واطمأنت إليه .. وامتدت جذوره في حياتها الطبيعية .. بحكم حاجتها إليه .. في قضاء الاحتياجات اليومية الدائمة .. والتي لم يحاول

زوجها يوما أن يساعدها فى قضائها.. والتى تبدو تافهة .. إذا أخذت كل على حدة .. إلا أنها تشكل عبئا ثقيلا فى مجموعها .. تسديد رخصة التليفزيون .. دفع فاتورة التليفون .. تصليح العربة .. إحضار طبيب بسرعة لأن أحد الأولاد حرارته ٣٩ .. إصلاح الثلاجة .. إرسال أكلة كباب من الدهان (لأن الطباخ فى إجازة) .. الذهاب إلى قسم الشرطة لأن هناك طلبا لايدرى أحد سببه .. إحضارعامل لإصلاح كالون الدولاب لأن المفتاح كسر داخله .. إرسال بعض الملابس للتنظيف . التوصية على سمن هولندى لأنه غيرمتوافر فى الجمعيات الاستهلاكية .. وطلبات كهذه أخرى .. متعددة .. ومتجددة .. ولاتنتهى .

وكان عبد الراضى عنصرا حيويا فى المساعدة على قضاء تلك الاحتياجات .. بل .. لقد كان هونفسه فى بعض الأحيان .. العنصر الرئيسى .. عندما يدق التليفون فى مكتب عبد اللطيف .. وتقول له شهيرة باختصار:

ـ ابعث لى عبد الراضى .

ويذهب عبد الراضى .. ويقضى اليوم .. بعد توصيل الأولاد إلى المدرسة .. وشراء اللحمة وإحضار النجار ومراقبته وهويعلق أحد الرفوف فى الحائط .

وطبيعى أن يصبح عبد اللطيف وتابعه .. جزءا من الأسرة الكبيرة .. أسرة الدكتورعبد الخبير .. الأب فى شقته .. تخدمه الدادة العجوز زبيدة .. وأولاده بباقيهم شهيرة وأولادها فى الشقة المقابلة ..

ولم تعد الخدمات التى يؤديها عبد اللطيف مقصورة على شهيرة وحدها .. بل أضحى من حق أمها أن تطلبه فى التليفون ببساطة وتسأله أن يرسل لها .. حبهان أو فلفل .. لأنه غيرموجود فى السوق .. وبات من حق أبيها أن يسأله أن يحضر له زجاجة فيتين ..لأن مالديه قد نفد .. وأن يمر عليه لأن لديه موضوعا مهمًا يريد أن يحدثه فيه ..

وأصبح عبد اللطيف .. هو المرجع الذى يرجع إليه فى أمر شهيرة ..

تشكوها إليه أمها وهى تسأله أن يحضر إليها فورا .. وتلقاه فى لهجة ثائرة :

ـ شهيرة أصبحت لا تحتمل .

ـ خير ؟.

ـ لم تعد تطيق كلمة من أحد ..

ويحاول عبد اللطيف أن يطيب خاطرها قائلا :

ـ لماذا .. ماذا فعلت ؟

ـ بالأمس أتت قبل الغداء .. وقالت إنها فى عجلة لأن لديها تسجيلا .. ولم يكن الطعام قد أعد فثارت .. وقالت إن البيت مهمل .. وغضبت لأن ملابس الأولاد لم تحضر من عند المكوجى .. ماذنبى أنا فى كل هذا .. لقد كبرت ولم تعد فى عافية .. وإذا كان لاتعجبها الخدمة فى البيت .. فعليها أن تستقر فيه لترعى أموره بنفسها .. إنها لا تكاد تستقر فيه لحظة واحدة .. هل تصدق أنها لم تعد مساء أمس إلا والساعة تدق الثانية عشرة .

ورغم أن عبد اللطيف كان يحضرفى ذهنه دفاعا عن شهيرة .. ومحاولة لتهدئة أمها .. إلا أن ذهنه اتجه فجأة .. اتجاها مخالفا .. فقد لسعته مسة شك عندما .. أنهت شكواها .. بأن شهيرة قد حضرت أمس فى منتصف الليل .

كان عبد اللطيف يغار على شهيرة ..

وكانت شهيرة تعرف هذا .. ولم تكن تكترث لغيرته .. لأنها لم تكن تفعل فى الواقع مايمكن أن يسبب هذه الغيرة .

ولكنها كانت تكره أن يبالغ فى الغيرة أمام الناس حتى لايضعها فى موضع الحرج .. لقد استطاعت بذكائها وقدرتها أن تطويه بكل مالديه من مشاعر وانفعالات فى إطار عائلى .. بحيث لم يعد ازدياد الصلة بينهما يعنى إلامزيدا من الارتباط العائلى .. وبات كل ما تفرضه الصلة من حقوق وواجبات .. يبدو أمرا طبيعيا .. بحكم ارتباطه الواضح بالأسرة كلها .

وكان هو سعيدا بهذا الوضع المتميز .. الذي يجعله أقرب إليها من أي مخلوق آخر ..

كان سعيدا بوضعه .. على كل مافيه من عائلية .. وعلى بعده من كل ما يهفو إليه محب ولهان .

كان سعيدا .. حتى يقع ما يثيرشكوكه . وما دفعه إلى التوهم بأن إنسانا ما .. يمكن .. أن يدخل الميدان فيزاحمه .. أو ليحتل مركزا أفضل .. ويتمتع بمالم يستطع هو أن يصل إليه .

وسأل الأم في شيء من الحدة :

ـ هل أتت أمس في منتصف الليل ؟

ـ أجل ..

ـ ولماذا ؟

ـ قالت إنها انتظرت حتى تختتم البرنامج .

ـ أهي قالت هذا ؟!

ـ أجل ..

ـ ولكنها كانت تعمل أول أمس .

ـ أنا لاأدري شيئا عن مواعيدها .

وغلبت الوساوس تفكيره .. ولم يجد في نفسه القدرة على أن يهدىء الأم .. ويسايسها .. فقد كان هو نفسه في حاجة إلى التهدئة والمسايسة .

والتقى بشهيرة .. وحاول جهده ألا يلقي إليها بشكوكه .. فقد كان يعرف أنها تكره مظاهر الغيرة .. وجعل الحديث يدور ببساطة حول مافعلته بالأمس .. فأكدت له ببساطة أنها اضطرت إلى البقاء حتى تختتم الإرسال لأن زميلتها التي كان عليها الدورفي العمل كان مريضة .

وببساطة زالت شكوكه .. واندفع يسر لها ما قالته أمها .. ويحاول إصلاح الأمور بينهما .

وهكذا سارت الحياة بشهيرة .. مشدودة .. إلى عبد اللطيف .. حتى

فوجئت ذات يوم بأبيها يناديها قائلا :

ـ اسمعي ياشهيرة .. حلم من أحلامك يوشك أن يتحقق .

وقالت له في غيراكتراث :

ـ وماهو ؟

ـ هل تحبين الصعود إلى الفضاء ؟

ـ أنا ؟ ..

ـ أجل ..

ـ غير معقول .

ـ لم يعد هناك شيء غير معقول في هذه الأيام .. إن التجارب تتوالى .. وعمليات الانطلاق في الفضاء تتتابع يوما بعد يوم .. بعد أن نجحت عمليات الهبوط إلى القمر والزهرة .. وبعد أن بدأت المحاولات للهبوط على المريخ .. والأقمار المحيطة به .

ـ أعلم أن غزو الفضاء قد اتسع نطاقه .. وتعددت عملياته .. ولكن كيف أستطيع أنا أن أذهب في إحدى هذه الرحلات ؟ .

ـ كما سأذهب أنا .

وهتفت شهيرة صائحة :

ـ أتتكلم جادا ؟ .

ـ بالطبع .. لقد كنا نعد لإحدى الرحلات طول الشهور الماضية .. لتجربة الهبوط على سطح أحد الأقمار المحيطة بالمريخ .. إن البحوث قد دلت على إمكان الهبوط المباشر على سطحه كما دلت على وجود كميات من الأكسيجين بكميات تكفي لتنفسنا .. والطقس على سطحه محتمل وهناك ماء في بعض مناطقه .. إذ أمكن رصد الثلوج كما أمكن التأكد من وجود بعض النباتات .. ويشك في أن توجد بعض مظاهر أخرى للحياة .

ـ ألم يهبط أحد هناك من قبل ؟

ـ مطلقا .. إنها أول رحلة إلى هذا القمر .

ـ وهل أستطيع حقا أن أرافقكم ؟

ـ اعتقد هذا .. إن طاقم السفينة يتكون حتى الآن من قائد السفينة والمهندس وأنا..

ـ وهل لى مكان معكم ؟

ـ هناك مكان لثلاثة ..

ـ أيتحتم أن يكونوا.. فنيين ؟

ـ مطلقا .. إن الرحلة .. رحلة استكشاف واختبار .

ـ استكشاف ماذا واختبار لماذا ؟

ـ استكشاف لمظاهر الحياة التى يعتقد بوجودها .. واختيار لقدرة البشر على الوجود فيها .. والمطلوب ..غير الثلاثة اللازمين لقيادة السفينة .. أناس عاديون .. تختبر قدرتهم على العيش على سطح القمر .. وإلى أى مدى يمكنهم الحياة فيه .. وماهو انعكاس تجربة البقاء على سطحه لفترة ما .. على تركيبهم الجسدى .. والذهنى والنفسى .

ـ إذن أستطيع أنا أن أكون أحد هؤلاء الثلاثة .

ـ إذا كنت تريدين .

ـ بالطبع أريد .. إنها فرصة العمر .

وشردت شهيرة برهة .. تتخيل وقع صعودها إلى الفضاء على من حولها .. فى التليفزيون .. ستجن رئيسة القسم الذى تعمل به .. وستحاول أن تؤكد لأهل الكواكب كما أكدت لأهل الأرض أن شهيرة مغرورة وتافهة ولاتصلح لشىء .. وتحذرهم من أن صدرها عيرة .. وأن شعرها باروكة . ويصبح على شهيرة أن تشد شعرها لسكان الكواكب لتؤكد لهم أن ما فى رأسها هو شعرها هى .. وليس شعر إنسان آخر .

وسيناديها مدير الأخبار .. ويحذرها من أن تتعامل مع أية صحيفة لأن المفروض أنها مرسلة منتدبة للتليفزيون .. وأنها ستأخذ بدل سفرها من التليفزيون .

وسيخشاها بعضهم .. ليقينه أنها لابد أن تكون متصلة بجهات عليا.. وإلا لما اختاروها دون غيرها للسفر إلى الفضاء .

وستنشر الصحف أخبارها ..

وفي الصفحة الأولى .. مانشيت .. ومعه صورة .

يجب أن تسرع باختيار الصورة وإرسالها إلى عبد اللطيف حتى لاينشروا لها هذه الصورة السخيفة التى تبدو فيها كالبلهاء .

أية صورة تختار ؟

الصورة التى تبتسم فيها ؟ .. أم الصورة التي تبدو فيها وهي جالسة على المكتب .

لا هذه .. ولا تلك .. ستختار الصورة التي تلوح فيها بيدها فهى تبدو طبيعية .. وكأنها تودع أهل الأرض .

أجل .. لابد أن تسرع بها إلى عبد اللطيف .. لكى يطبع منها ويرسل إلى بقية الصحف .

ولكن ماذا سيقول عبد اللطيف .

سيصدم ولاشك .. فهو لايطيق مجرد سفرها إلى الإسكندرية .. ويظل يلاحقها .. طوال الصيف بين القاهرة والإسكندرية .

وهى تسعد بملاحقته .. لأنها لم تعد تستغنى عنه .. هو الذى يحجز المقاعد في القطار .. وهو الذي يعد التذاكر .. وهو الذي يأخذها إلى المحطة .. وهو الذي يحضر احتياجات الأولاد .. واحتياجات أمها وأبيها .. وهوالذى يشتري سبت المانجو .. وأقفاص العنب .. والبطيخ .. والفراخ .

وفوق هذا .. يشكل أكبر حافز لكل مايملؤها من أحاسيس التميز .. والكبرياء والغرور .

وإذا كانت كارثة له أن يعيش بدونها .

إنها كارثة أكبر أن تتحرك بغيره .. وبغير معاونته الدائمة .

ولكن .. ماذا يمكن أن يفعل لها .. في الفضاء .. أى خدمات يمكن

أن تحتاج إليه فيها .

إنه سيكون أقل منها حيلة .. وأشد عجزا .. لن يكون هناك فواتير نور ولااشتراك تليفون .. ولارخصة تليفزيون .. ولاأطباء للأولاد .. لن يكون هناك ثلاجات تتعطل .. أوحنفيات تتلف .. ولن يكون هناك أزمات تموين تحتاج فيها إلى خدماته ..

ولكنها سترسل أنباء .. وستكتب موضوعات .. وهي في حاجة إليه لكي يصوغها لها .. إن مايمكن أن تكتبه لن يكون له أثربغيرجاذبية تعبيره..

ولكن هل يمكن أن تصحبه معها ؟ .

ألم يقل أبوها إن هناك ثلاثة أمكنة .. لبشر تجرى عليهم تجربة الوجود في الكوكب .. وتختبر قدرتهم على العيش فيه ؟

لماذا لا يكون أحدهم ؟

ونظرت إلى أبيها وتساءلت فجأة وهي تستعيد ذهنها الشارد :

ـ أقلت لي إن هناك ثلاثة أماكن .. لأناس عاديين .. تجرى عليهم تجربة الوجود في الكوكب ؟

ـ أجل .

ـ وأنا سأكون أحدهم .

ـ إذا شئت .

ـ وهل يمكن أن يكون الأستاذ عبد اللطيف بينهم ؟

وتساءل الأب في دهشة :

ـ الأستاذ عبد اللطيف ؟

ـ أجل .

ـ ولكن هل يريد ؟

وتساءلت شهيرة في دهشة :

ـ ومن الذي يرفض فرصة كهذه ؟

ـ لاأظن كل إنسان .. يمكن أن يرضى بمغامرة الانطلاق إلى الفضاء .

ـ أظنها لم تعد الآن مغامرة .. بعدما تعددت عمليات الصعود .. حتى أضحت كأنها مجرد رحلة طائرة .

ـ حتى الطائرة .. ما زال البعض يعتبر ركوبها مغامرة .. كما كان البعض يعتبر ركوب البحر مغامرة .. ويقول « أنزل قدمي ظهرالأرض » .

ـ لا أظن الأستاذ عبد اللطيف يرفض فرصة كهذه .

ـ ولكنني أعرف أنه لا يحب ركوب الطائرة .

ـ ربما .. ولكن الصاروخ شيء آخر.

ـ أيركب الصاروخ .. ويخشى الطائرة ؟

ـ اعتقد أن ركوب الصاروخ .. كعمليات البنج .. يغمض الإنسان عينيه .. ويفتحهما .. فيجد أن كل شيء قد انتهى .

ـ إنك شديدة التفاؤل .. فهل تظنينه كذلك ؟

ـ أعتقد أنه إذا كانت هناك فرصة لسفره .. فسأعرف كيف أقنعه باغتنامها .

وفكر الدكتورعبد الخبير برهة ثم أجاب :

ـ إني واثق أنهم سيرحبون بسفره إذا كان هو يريد ذلك .

ـ وأنا واثقة أنه يريد .

ـ اسأليه أولا .

واتجهت شهيرة إلى التليفون فسألها الأب :

ـ ماذا ستفعلين ؟

ـ سأسأله .

ـ ستسألينه في التليفون .

ـ ولم لا ؟

ـ سيقول عنك مجنونة .. أو يظنك تمزحين .

ـ إذن سأسأله أن يحضر.

ـ هذا أفضل .. حتى نشرح الأمر له في هدوء .

وطلبت شهيرة الرقم الخصوصى فى المجلة . وأجابها صوت عبد الراضى متسائلا :

ـ آلو .

ـ عبد الراضى ؟

ـ من ؟

ـ أنا شهيرة ياعبد الراضى .

ـ أهلا وسهلا .. ست شهيرة .

ـ أين الأستاذ ؟

ـ موجود فى اجتماع .

ـ أى اجتماع ؟

ـ اجتماع اللجنة القيادية .. واللجنة الـ ...

وقاطعته فى دهشة :

ـ وماله و بها ؟

ـ حدثت معركة بين اللجنة القيادية .. واللجنة النقابية .. ولجنة الشباب ومجلس الإدارة ومجلس التحرير وعمال المطبعة .. وذهب هو لفضها ..

ـ اذهب وناده سريعا .

ـ وكيف أحصل عليه فى هذه الهيصة؟

ـ قلت لك اذهب وناده بسرعة .. لأنى أريده حالا .

ـ ياساتر .. ألاأستطيع أنا أن أفعل شيئا .. إذا كان هناك أى طلب أقضيه ؟.

ـ ليس هنا طلب .. إنى أريده هو .

ـ حاضر .. ربنا يوفق .

ومضت فترة بدأت شهيرة تحس بالقلق .. وأخيرا سمعت صوت عبد اللطيف يتساءل فى جزع :

ـ شهيرة . ماذا حدث ؟

ـ هل تستطيع أن تأتى الآن ؟

ـ خير .. أحدث شيء ؟..

ـ أبدا .. أريدك أن تأتى .

ـ هل تعاركت مع ماما ؟

ـ لا .

ـ هل أحد من الأولاد مريض ؟

ـ لا .. لا ..

ـ إذن لماذا هذه العجلة؟

ـ أريدك فى أمرهام .. تعال وكفى تساؤلا .

وفى دقائق كان التاكسى ينطلق به فى الطريق إلى بيت شهيرة .

ووقف يدق جرس الباب فى قلق ..

وفتحت شهيرة فسألها لاهثا :

ـ ماذا حدث ؟

ـ ادخل .

ـ قولى لى أولا .. طمأنينى ..

ـ أطمئنك على ماذا ؟

ـ لماذا طلبتنى بهذه العجلة ؟

ـ لأستشيرك فى أمرهام .

ـ بخصوص مدحت ؟

ـ مدحت ؟! لقد انتهيت تماما من مدحت .. هناك شيء أهم .

وخشى عبد اللطيف أن يكون هناك إنسان فى الأفق .. وانتابه القلق وعاد يتساءل فى جزع :

ـ ماهو هذا الشيء الهام ؟

ـ اسمع .. هل تريد أن تنطلق فى الفضاء ؟

ونظر إليها فى ذهول .. وخيل إليه أنه لم يسمع ماقالت .

فتساءل ببساطة :

ـ نعم ؟

ـ أقول لك .. هل تريد أن تنطلق إلى الفضاء ؟

ـ فضاء ؟

ـ أجل .

ـ أنا ؟

ـ أجل .. أنت .

ـ أطلبتنى بهذه الطريقة المفزعة .. لتسأليني إذا كنت أريد أن أنطلق إلى الفضاء ؟ ..

ـ أجل .. أليس هذا أمرا هاما ؟

ـ أمر هام .. أن أنطلق أنا إلى الفضاء ؟

ـ طبعا

ـ كيف أنطلق .. أرفرف .. كالحمامة .. بجسمى هذا .

وضحكت شهيرة .. قائلة :

ـ أتمزح ؟

ـ أنا الذى أمزح ..

ـ طبعا .. إنى أسألك إذا كنت تريد أن تنطلق إلى الفضاء .. فتقول لى .. إنك ترفرف كالحمامة .

ـ إذن كيف تريديننى أن أنطلق ؟

ـ فى صاروخ .

ـ أنا ؟

ـ أجل .

ـ أنا أنطلق فى صاروخ .. وطلبتنى لكى تقولى لى هذا ؟

ـ اسمع ياعبد اللطيف .. أنا لا أمزح .. تعال لأبى حتى يشرح لك .

ـ يشرح لي ماذا ؟

ـ إن هناك ثلاثة محلات .

ـ وحجزت لي واحدا .. في عربة التكييف .

ونظرت إليه وقالت ناهرة :

ـ عبد اللطيف .. كفى سخرية .. إنى أتكلم جادة .. إن أبى سيذهب في رحلة إلى أحد أقمار المريخ .. وهناك ثلاثة أمكنة .. لبشر عاديين .. تجرى عليهم تجربة الوجود هناك .

ـ ومادخلي أنا في هذا ؟

ـ هل تريد أن تكون أحدهم ؟

ـ أحد الذين تجرى عليهم تجربة الوجود .. في المريخ ..

ـ أجل .

ـ كأى أرنب .. أو فأر .. أو ضفدعة .

ـ يعنى لاتريد ؟

ـ طبعا .

ـ شيء مؤسف .. لقد ظننتك ستصعد معى .

ـ معك .. ومالك أنت ؟

ـ إنى صاعدة .

ـ صاعدة إلى أين ؟ . إلى المريخ ؟..

ـ ليس بالضبط.. سنصعد إلى أحد أقمارالمريخ .

ـ يعنى .. في الضواحى .. يعنى عزبة النخل مثلا أو شبرا الخيمة .

ـ أجل ..

ـ ومتى قررت هذا ؟ ..

ـ الآن .

ـ الآن .. الآن .. ولماذا هذه العجلة ؟

ـ قال لي أبى إنه سيصعد مع طاقم السفينة .. المكون منه ومن القائد

والمهندس . وأن هناك ثلاثة محلات .. لأى أناس يختارون لمصاحبة طاقم السفينة . وسألنى إذا كنت أريد أن أذهب فى الرحلة .. فقلت له أجل .

ـ هكذا ببساطة ؟ ..

ـ طالما تمنيت أن أنطلق إلى الفضاء . ولقد سنحت الفرصة لى .. فلم أتردد فى انتهازها .. وفكرت فيك .. وسألت أبى إذا كان يمكن أن نحجز لك أحد المكانين الباقيين ..

ـ ووافق أبوك .. كأنها رحلة .. إلى الفيوم .

ـ لم يقبل الموافقة قبل أن أسألك .. وكنت أظنك .. ستوافق فورا ..

ـ وماذا دفعك إلى هذا الظن ؟

ـ لأنى .. لأنى .. ظننت أنك تريد الانطلاق إلى الفضاء ..

ـ أقلت لك هذا ؟

ـ قلت لك إنى ظننت .. مجرد ظن .

ونظر إليها عبد اللطيف .. نظرة حاول أن يخفى ما بها من وله ثم تمتم قائلا :

ـ وأنا لا أستطيع أن أكذب لك ظنا .

ـ إذن ستأتى .

ـ أجل .

ـ ولماذا إذن رفضت فى أول الأمر ؟

ـ كانت مفاجأة .. لم يخطر ببالى أن الأمريكن أن يكون جادا .. وحتى الآن لا أستطيع تصوره .. ولكن مجرد ذهابك إلى أى مكان .. يجعلنى بلا تردد أتبعك إليه ..

ـ لقد كنت واثقة أنك سترحب بالذهاب .. مؤمنة أنها ستكون رحلة رائعة .. ولقد قال لى أبى إنهم سيرحبون بك أيما ترحيب .

هيا بنا إليه إنه ينتظرنا فى حجرة مكتبه .

وسار عبد اللطيف يتبع شهيرة إلى مكتب أبيها .. وقبل أن ينهض

الرجل للقائه .. هتفت شهيرة :

ـ لقد رحب الأستاذ عبد اللطيف بالذهاب معنا .

وتساءل الأب فى شىء من الدهشة :

ـ هكذا بسهولة ؟

وأجاب عبد اللطيف :

ـ إنها رحلة مثيرة .. ولكنها بالنسبة لكاتب يمكن أن تكون تجربة رائعة تفتح له آفاقا جديدة .. وأى فنان أصيل لا يمكن أن يتركها تسنح دون أن يقتنصها ..

وتساءلت شهيرة :

ـ هل حدد موعد للرحلة ؟

ـ ليس قبل بضعة أشهر .. فإن الركاب الجدد فى حاجة إلى تدريبات مخصوصة .. إن الإنطلاق فى الصاروخ .. أضحى الآن أسهل كثيرا .. ولم يعد يحتاج المسافر فيه إلى التدريبات الشاقة التى كان يحتاج إليها الرواد الأوائل .. ولكنه مع لك يحتاج إلى نوع من المران .. والتدريب ..

وتساءل عبد اللطيف :

ـ ولكن أنحتمل نحن هذا المران ؟

ـ سيجرى كشف طبى أولا .. تختبرفيه قدرة المسافر على الانطلاق .. ولن يكون التدريب أبدا فوق طاقتك .

وتساءل عبد اللطيف فى شىء من الرهبة :

ـ ومتى نبدأ كل ذلك ؟

ـ بمجرد أن نستقر على الشخص الثالث .. تبدأ الإجراءات .. ولعلها لاتتأخر بعد هذا الأسبوع .

ـ وهل اختيرالشخص الثالث ؟

ـ يمكن أن يكون أحد العمال .. بعد الحصول على إقرار منه بقبول الانطلاق .

وفكر عبد اللطيف برهة ثم سأل فجأة :

ـ أيصلح أى فراش عادى ؟

ـ أجل مادام .. يقبل السفر.

ـ ولماذا لاتأخذ عبد الراضى ؟

وهتفت شهيرة :

ـ أجل .. فكرة مدهشة .

وتساءل الأب :

ـ هل تظنونه يصلح ؟

وأجاب عبد اللطيف متسائلا :

ـ هل تريدون به مزايا معينة؟

ـ أبدا .. مخلوق عادى .

ـ إنه نموذج لجميع البشر ..

وتساءلت شهيرة :

ـ أتراه سيقبل السفر ؟

ـ دعى هذا الأمر لى .

ـ وزوجاته الأربع ؟

ـ سيكون الخلاص منهن .. أول دافع له إلى السفر .

وسألت شهيرة أباها فجأة كأنما تذكرت أمرا :

ـ هل قلت لماما ؟

ـ ليس بعد .

ـ متى تخبرها ؟

ـ بعد أن ننطلق .

ـ لماذا ؟

ـ لنتجنب المناقشة ..

ـ ولكن أنا .. لابد أن أعد كل شىء للأولاد قبل السفر ..

ـ وماذا يمنعك ؟

ـ لابد أن أخبرها عن سفرى فماذا أقول ؟

ـ قولى إنك مسافرة إلى بيروت .

ـ ولكنها ستقرأ الصحف .

ـ لاتدخلى الصحف إلى البيت .

ـ هل يمكن هذا ؟

ـ افعلى ما يحلو لك .. ولكن لا تدعيها .. تكلمنى .

ونهض الأب من مقعده وهو يردف قائلا :

ـ عندنا اجتماع الآن .. وأرجو أن ننتهى فيه بعض أمور مازالت معلقة ..

وخرجت شهيرة .. وعبد اللطيف .. وعند الباب وقف يودعها .. وقد بدا شارد الذهن وهمس قائلا :

ـ أهذا معقول ؟

ـ أنادم أنت على قرارك ؟

ـ مطلقا .. ليس المهم .. أين أكون .. ولكن المهم .. أن أكون معك .

وضغطت على كفه هامسة :

ـ شكرا .. دائما أجدك .. حيث أظن .. وحيث أرجو .. وحيث أريد .

وعاد عبد اللطيف إلى المجلة ، وقال لعبد الراضى .. ووافق عبد الراضى على قوله .. موافقته على نوع من الهذيان .

ولكن الأيام مرت .. وبدأ الكشف والتدريب .. وأصبح الهذيان حقيقة .. والحلم .. واقعا . وانطلقت السفينة بطاقمها .. القائد والمهندس والعالم .. ومعهم الثلاثة .. ثلاثة أرانب (كما قال عبد اللطيف) تجرى عليهم تجربة الوجود فى الكواكب يحلقون فى الفضاء .. فى الحقل الأزرق .. تبذر فيه النجوم .

١١ ـ أسياد الأرض الجديدة

استردت شهيرة نظرتها الشاردة فى الفضاء الأزرق الفسيح تبرق فيه فتات النجوم المبعثرة فى أرجائه .. وقفطت قطفا جسدها متأرجحا فى خفة .. وأخذت تتلوى فى فراغ القمرة وهى تشعر بمتعة من قدرتها على أن تفعل أى حركة فى أى اتجاه .. وكأنها لاعبة أكروبات تقوم بحركاتها بغيرجهد ولامشقة . وهدأت أخيرا على حافة الفراش محاولة جهدها أن تستقر فى وضع الجلوس المعتاد .. وهى تجذب الفراش إليها حتى يلامس مقعدها سطحه .

ومدت يدها تضغط على الكراسة الطافية على المنضدة محاولة تثبيتها فى مكانها . وباليد قلمها المعلق فى الهواء .. وأفلتت الفراش فعاد جسدها يصفو من جديد .

وأخيرا ثبتت نفسها فى وضع الكتابة ووضعت طرف القلم على حافة الكراسة .

اكتبى ياشهيرة .. فإن عليك أن تفعلى شيئا .. خيرا من هذه الحملقة والتمطى والشقلبة ..

حقيقة أن عملك الأصلى فى الرحلة .. أنت والفردتين الأخريين هو أن تكونوا موضع اختبارللوجود الإنسانى على ظهر الكوكب الجديد .. وأن كل ما هو مطلوب منكم هو مجرد الوجود ..

يكفى جدا للمسئولين عن الرحلة أن توجدوا .. أن تعيشوا وتتنفسوا . وتأكلوا وتشربوا .. وأن تبقوا بعد ذلك على قيد الحياة .. إذا تيسر لكم العيش ..

مجرد أن توجدوا هو مهمتكم الأولى .. أما غيرهذا فليس عليكم مسئوليته .. كل ماهومطلوب منكم أن تقبلوا الوجود وتخضعوا لتعليماته .. وتتأثروا ـ أو لاتتأثروا به ، ويرقب الناس بعد ذلك .. ما حدث لكم .. فى دنياكم الجديدة . بكل ما قد يكن فيها .. من نعيم أوجحيم .

ومع ذلك ياشهيرة .. ورغم أنك ـ كما قال عبد اللطيف ـ مجرد أرنب تجربة .. أو فأر اختبار .. فإن عليك أن تفيدى من مغامرتك الكبرى .. يجب أن تفعلى شيئا من أجل نفسك .. يجب أن تحققى المجد الذى تتوقين إليه .. يجب أن تهبطى إلى الأرض .. ليس كمجرد تجربة ناجحة .. ولكن .. كناجحة .. أو بطلة ..

ولكن كيف ؟ ..

بالكتابة ؟ !! وماذا يمكن أن تكتبى أكثر من أنك انطلقت بالصاروخ . مسمرة إلى مقعدك .. وأنك وصلت إلى الفضاء الفسيح .. كل ما حولك فراغ .. فى فراغ .. فى فراغ .. فراغ أزرق داكن تتلألأ فيه النجوم وتبدو فيه الأرض رمادية تحيطها زرقة خفيفة تتحول إلى لون الفيروز ثم البنفسج .

ولقد قاله من قبلك جاجارين .. وفالنتينا وغيرهما من رواد الفضاء .. ولا أظنك ممكن أن تضيفى إليه شيئا .

أتكتبين .. أنك تعومين على فراشك .. وتلهفين القلم من الهواء .. وماذا يمكن أن يكون العيش فى منطقة اللاجاذبية .. سوى هذا ؟

أتكتبين شعرا ؟ حديثا ؟ مدغدغا . يرمه لك عبد اللطيف لكى يجعله شعرا .. موزونا .. ثم يضع اسمك تحته ..

مللت هذه اللعبة ياشهيرة ..

وهى لعبة أرضية .. لاداعى لها فى الفضاء ..

إذن اكتبى .. أى شىء .. كل ماترينه وتحسين به .. اكتبيه .. وصورى بكاميرتك كل ما تستطيعين أن تصوريه . وعندما تهبطين إلى الأرض سيكون له ولاشك قيمة .. وسيعرفون كيف يجعلون منه شيئا فى

التليفزيون وفى الصحافة .. وإذا كنت لا تجدين الآن شيئا جديدا بالنسبة لهم .. فعندما يبدأ الهبوط .. وعندما تستقر بكم السفينة على ظهر الكوكب .. سيختلف الأمر .. وستصادفين أشياء لاجدال أن أحدا من قبل لم يسبقك إليها وهنا سيكون الشغل .. ستكون الخبطة التليفزيونية .. والسبق الصحفى ..

وعلقت القلم فى الهواء وهمت بالاستلقاء عندما أبصرت عبد اللطيف يقبل نحوها محركا ساقيه وقدميه .. عائما فى الهواء وتوقف بباب القمرة متسائلا :

ـ كتبت شيئا ؟

ـ كنت أحاول .

ـ ونجحت ؟

ـ ولاكلمة ..

ـ أليس فى كل مارأيته مايستحق الكتابة ؟

ـ ليس به جديد مما يمكن أن يكتب .

ـ كل هذه الروعة ! .

ـ هذه الروعة تستطيع أن تعبر عنها أنت بماتثيره فى نفسك من أحاسيس .. ولكن أنا .. لاأملك إلا وصفها بالكلمات المجردة .. أنا لا أملك جديدا بالنسبة لها .. ولكن الجديد منها يمكن أن ينبع من نفسك .

ـ تبالغين فى تقديرك .

ـ أنت فنان ..

وضحك عبد اللطيف .

ـ هذه صفة لم تعد تنفع الآن .. كنت أفضل أن أكون طيارا.. أو حتى بهلوانا ..

ـ لاأظن الأمر سيحتاج منا إلى شىء من هذا ؟ .

ـ من يدرى .. فى رحلة الهبوط قد يختلف الأمر .

وكان عبد الراضي قد أقبل يضبش في الهواء .. يحرك ساقيه بحذر.. ولايخطو خطوة إلا بعد أن يتأكد أن قدمه قد وصلت إلى أرض السفينة .. وصاح به عبد اللطيف :

ـ مالك تمشي هكذا كأن الأرض ستغوص من تحتك ؟ .

ـ كأنها !! إنها فعلا كذلك ..

وضحكت شهيرة قائلة :

ـ دعها .. ولايهمك .

ـ كيف ؟! .

ـ لم تعد الأرض مهمة في السير .

وهز عبد الراضي رأسه غيرمقتنع وأجاب :

ـ طول عمري أسير على الأرض .. وإذا لم توجد أرض تحتي لاأستطيع السير .. لم أسر أبدا على الماء .. أو في الهواء .

ووضع عبد اللطيف يده على كتفه قائلا :

ـ اسمع ياعبد الراضي .. ليس هنا أرض .. أزل من ذهنك .. كل ماتعرفه عن الأرض .. نحن في الفضاء يابني آدم .. في الهواء .. ننام في الهواء .. ونسير في الهواء .

وهز عبد الراضي رأسه في قلق وتساءل :

ـ وإلى متى .. سنظل هكذا معلقين في الهواء .. متى سنركز على الأرض ؟ .

وردت شهيرة :

ـ هانت ياعبد الراضي .. لقد قرب موعد الهبوط .

وتساءل عبد الراضي في فرحة :

ـ إلى الأرض ؟

ـ يعني ..

ولم يفهم عبد الراضي وعاد يتساءل في إلحاح موجها السؤال إلى عبد

ا .. ب :

ـ هل سنهبط إلى الأرض ياأستاذ ؟

وأجابه عبداللطيف :

ـ سنهبط والسلام .. إلى الأرض .. إلى القمر ..

ـ القمر ؟!! وهل هذا هبوط ؟

ـ أجل ..

ـ طول عمرنا نعرف أن القمر يطلعون إليه .

ـ إذن سنطلع إلى القمر .

وقال عبد الراضي في ضجر :

ـ ألم يكفنا طلوعا .. نريد أن ننزل .. ياناس .. حرام عليكم .

وسمع صوت عبد القادر يتساءل وهويقبل في الممر :

ـ ماذا بك ياعبد الراضي ؟

وضحك عبد اللطيف قائلا :

ـ زهق من العوم .. يريد أن يستقر على أرض .

ـ انتهينا .. بعد ساعات سنبدأ عملية الهبوط ..

وتساءلت شهيرة في حماس :

ـ هل تقرر الموعد ؟

ـ أجل ..

ـ أنستطيع أن نأخذ فكرة عما سيحدث ؟ .

ـ ليست مجرد فكرة .. ستعرفون كل شيء عن خطة النزول .. فهيا بنا .. إن الكابتن سيعقد لنا اجتماعا قصيرا يشرح فيه كل شيء .

وسار عبد القادر يتبعه الثلاثة متجهين إلى غرفة العمليات وكان عبد المهيمن قائد السفينة قد اتخذ وضع الجلوس هو وعبد الخبير حول منضدة مستطيلة في الغرفة المليئة بالأجهزة والأزرار . وقال عبدالمهيمن مرحبا :

ـ أهلا .. تفضلوا.

والتفوا حول المنضدة وأمسك كل منهم بطرفها محاولين الهبوط على المقاعد المثبتة في أرضية السفينة .

واستطرد قائد السفينة يقول :

ـ أرجو أن يكون كل شيء على مايرام ..

ثم نظر إلى عبد اللطيف متسائلا في رقة :

ـ كيف الحال يا أستاذ عبد اللطيف ؟

ـ محتمل .. رغم غرابته .

ـ غرابته من أية ناحية ؟

ـ يعني .. العوم الذى نحن فيه .. والذى يجعل كل شيء سائبا لايعرف له مستقر ..

ـ كنت أظنك سعيدا بالخلاص من وزنك ..

ـ استمتعت بخفتي بعض الوقت .. ثم أحسست بأني تائه .. سائب .. بغيرانضباط .. وبدا لى أن وزن الأشياء له قيمة .. فهو يمنح الإنسان الإحساس .. بأنه قادر بإرادته على أبسط أنواع التغيير .. وهوتغيير الوضع .. وأن التطبيق الإرادى لقانون الحركة .. يهيىء للإنسان الشعور بأول مظاهرالقوة .. ويمنحه المتعة بالقدرة على تغيير أوضاع الأشياء التى تظل على حالها من الثبات أوالحركة حتى تطرأ عليها قوة .. تغير حالتها .. إن انعدام وزن الأشياء .. يفقدنا الإحساس بأبسط مظاهرالقوة .. بعد أن أضحى كل شيء يتطوح ويتمرجح .. من مجرد اللمس .

وهز عبد المهيمن رأسه قائلا وهويبتسم :

ـ مفهوم ..

ولكن عبد الراضي لم يبد عليه أنه قد فهم شيئا ، وكان منهمكا .. في محاولة الجلوس .. وهو يحس بتعذر التصاق مؤخرته بالمقعد .. ويتوهم بأن لاشيء يحمله .. وأنه معرض للسقوط في أية لحظة .

ولم يجد خيرا من الوقوف .. فرغم إحساسه بأن الأرض لاوجود لها

تحت قدميه .. وأنه قد يقع فى أية لحظة .. فقد فضل الوقوع ـ كما يقول المثل ـ واقفا ..

وسأله عبد القادر :

ـ لماذا لاتجلس يا أسطى .. عبد الراضى ؟

ـ هكذا أريح .

ـ غيرمعقول أن تظل واقفا فى الاجتماع .

ورد عبد المهيمن

ـ أنا متعود على الوقوف .

ورد عبد المهيمن فى حزم :

ـ اجلس ياعبد الراضى .. فنحن هنا على قدم المساواة ..

وقال عبد اللطيف محاولا إنهاء المناقشة :

ـ اجلس ياعبد الراضى .. كأنك فى مجلس إدارة .

وتساءل عبد الراضى :

ـ أهذا مجلس إدارة ؟

ورد عبد المهيمن ضاحكا :

ـ تقريبا ..

ـ هل ستنظر فى المكافآت والعلاوات ؟

وأجاب عبداللطيف :

ـ مكافآت إيه ياعبد الراضى . اجلس .. أمسك بطرف المنضدة .. كما أفعل أنا واضغط جسدك لأسفل .. وألصق نفسك بالمقعد .

ـ كل ما أفعل هذا .. أجد نفسى أقب ثانية !

ورد عبد القادر بصبر نافذ :

ـ قب اغطس .. المهم أن تجلس الآن .. حتى ننتهى مما نريد أن نقوله فليس لدينا وقت كثير.

وجذب عبد الراضى نفسه إلى أسفل حتى مس المقعد .

وبدأ عبد المهيمن حديثه قائلا :

ـ لا أريد أن أضايقكم بالكثير من التفاصيل التى قد تزحم ذهنكم بلا فائدة .

وقاطعته شهيرة قائلة :

ـ إننا نحب أن نعرف كل شىء ؟

ونظر إليها أبوها في ضيق قائلا :

ـ لاتستطيعون أن تفهموا كل شىء ..

وقال عبد اللطيف :

ـ بل لن نستطيع أن نفهم أى شىء .. المهم أن نعرف متى سنبدأ الهبوط .. وماذا يمكن أن يصيبنا خلاله .. حتى نأخذ فكرة مسبقة عن متاعب العملية .

وقال عبد القادر:

ـ لن يصيبكم أى أذى .

ـ إذن ماهوالمطلوب منا ؟

ـ لاشىء ..سوى أن تبقوا فى أماكنكم ؟

وقال عبد الراضى :

ـ بسيطة .. هذا .. أفضل مانستطيع أن نفعل .

وتساءلت شهيرة :

ـ هل الهبوط متعب ؟

ورد عبد القادر :

ـ ليس أسوأ من الصعود .

وتمتم عبد الراضى لنفسه :

ـ « استطعنا أن نحتمل الصعود بالبلبوعة .. ولكن ما العمل الآن .. نجرب مشروب الأستاذ عبد اللطيف .. فقد يعيننا .. على متاعب الهبوط ؟» .

ونظر إلى عبد اللطيف .. ومال عليه بجسده فكاد ينقلب على رأسه .. لولا أن دفعه عبد اللطيف فى كتفه دفعة عدلته .. ثم سأله فى دهشة :

ـ مالك ياعبد الراضى ؟

ـ أبدا .. كنت فقط أتساءل ..

ـ عن ماذا ؟!

ـ عن .. عن ..

وخفض صوته حتى بلغ حد الهمس ثم استطرد يقول :

ـ .. عما إذا كان لديك .. شيء فى الزجاجة .

ـ أية زجاجة ؟

ـ الزجاجة إياها .. التى هربتها معك ..

وانفجر عبد اللطيف ضاحكا وتساءل فى صوت عال :

ـ لماذا ياعبد الراضى ؟

وبدا الخجل على عبد الراضى وتمتم قائلا :

ـ لا شيء .. لاشيء .. كنت فقط أظن أنها قد تعيننا على الهبوط؟.

وتساءل عبد المهيمن :

ـ ما الحكاية ؟!

ورد عبد اللطيف :

ـ أبدا .. مسألة بسيطة بيننا .. سنحلها فيما بعد .

ونظر عبد القادر إليهما فى ضيق وقال :

ـ ياجماعة .. دعونا ننهى عملنا ..

وعاود عبد المهيمن حديثه .. شارحا عملية الهبوط .

ـ بعد ساعة سنبدأ الهبوط .. سيعود كل منكم إلى مكانه بعد الاجتماع .. ويتناول كل منكم طعامه من إحدى الأنابيب الموجودة فى صندوق الطعام ..

وقال عبد القادر محذرا :

ـ أرجو أن نكون حذرين في المحافظة على كمية كل وجبة .. لأن لدينا من الطعام ما يكفي شهراً .

وتساءل عبد اللطيف في جزع :

ـ شهراً .. هل سنمكث شهراً ؟ !

ـ إنه طعام احتياطي للظروف .. ويجب أن نحافظ عليه .. لأننا لاندري ماذا يمكن أن يحدث .

وغمتم عبد الراضي :

ـ إن شاء الله لانحتاج إليه .

وعاد عبد المهيمن يقول :

ـ خلال ساعة .. يجب أن نكن على استعداد في أماكننا .. يجب أن يستلقى كل منكم في فراشه ويشد الأحزمة .. وبعد ساعة سنبدأ الخروج من مدارنا حول الأرض .

وتساءل عبد اللطف :

ـ نحن ندور الآن حول الأرض ؟

ـ طبعا ..

ـ كنت أظننا في حالة توقف تام ! .

ـ نحن لانشعربالحركة لأنه ليس هناك كائنات مجاورة تشعرنا بالابتعاد عنها والاقتراب منها .. ولكننا ندور في فلك خاص حول الأرض .. نحن كالقمر ..

ولم يملك عبد الراضي إلا أن يتساءل باسما في غبطة ؟ :

ـ أول مرة أسمعها .. أنني كالقمر ؟ .

ورد عبد المهيمن مستمرا في شرحه :

ـ في حركته حول الأرض .. نحن في مدارمتزن مع جاذبية الأرض .. بحيث لانميل نحوها .. فنسقط عليها بحكم الجاذبية ولانبتعد عنها فنندفع في الفضاء بحكم جاذبية أي كوكب آخر .. وسنترك بعد ساعة هذا المدار..

ونحاول الاقتراب من قمر المريخ الذي نقصده .. حتى نصل إلى منطقة جاذبيته .. فتبدأ الهبوط .. بقوة هذه الجاذبية .. وهي أضعف كثيرا من جاذبية الأرض .. ولن نحتاج إلى قوة كبيرة لمقاومتها .. وعندما نستقر فوق أرضه الجديدة .. وقبل أن نغادر السفينة ..

وأحس عبد اللطيف بقلبه يدق في شيء من الجزع .. وتساءل وهو يجد أن المسألة قد دخلت في دور جاد :

ـ هل سنخرج من السفينة ؟

ـ طبعا ..

وتساءلت شهيرة :

ـ أولا هل تستطيع السفينة أن تهبط ؟

ونظر أبوها إليها في ضيق متسائلا :

ـ ماذا بك يا شهيرة .. هل تظنين أننا خرجنا إلى الفضاء .. لكي تهبط إلى قمر المريخ .. بسفينة لاتستطيع الهبوط ؟

ـ لقد كنت أظن أن الهبوط يحتاج إلى تجهيزات فنية في مركبة أخرى ملتصقة بالسفينة .

ورد عبد القادر :

ـ إن السفينة نفسها معدة بهذه التجهيزات .. إنها قادرة على الهبوط مباشرة على الأرض الجديدة .

واستطرد عبد المهيمن يقول :

ـ قبل أن نصل إلى منطقة الجاذبية الجديدة .. سندور دورة حول القمر الذي سنهبط عليه .. وستبدل ملابسنا .

وقال عبد الراضي في ارتياح :

ـ سنتخلص من هذا الهم الثقيل .

وقال عبد القادر :

ـ لتضع أثقل منه .. سيرتدي كل منا البدلة الموجودة في قمرته .

وتساءل عبد اللطيف :

ـ هذه البدلة الشبيهة بملابس فرسان القرون الوسطى ؟

وأردف عبد الراضى فى استنكار :

ـ هذا القزان والقصعة سنحشو فيها جثتنا ؟

وقال عبد القادر فى لهجة مقتضبة :

ـ أجل إننا لانعرف نوع الهواء ولادرجة الحرارة .. ربما واجهنا الشمس .. فأحرقتنا .. أوصادفنا الوجه الظليل فتجمدنا من البرد .

ورد عبد اللطيف فى جزع :

ـ ياساتر ..

رهز عبد الراضى رأسه وتمتم فى أسى :

ـ شورتك المهببة .. تعال ياعبد الراضى إلى فوق ..

واستطرد عبد القادر يقول :

ـ وقد يكون الجوغيرصالح للتنفس .. المهم أننا سنجد داخل البدل .. ما يمنحنا الجو الذى نحتمل العيش فيه ..

وسألت شهيرة :

ـ إلى متى ؟.

ـ إلى أن نكشف خارجها .. جوا صالحا ..

ـ فإذا لم نجده ؟

ـ نعود إلى السفينة .. لكى نعيد شحن البدل .. بما نحتاج إليه من هواء وتكييف .

وتساءل عبد اللطيف :

ـ معنى هذا أننا لن نستطيع السير على الأرض الجديدة إلا بالبدل ..

ـ بصفة مبدئية .. أجل .

ـ وكيف نعيش بهذا الهم الثقيل ؟

ـ سنعمل ما نريد أن نعمله ..

وغمغم عبد الراضى :

ــ لن استطيع أبدا أن أعمل ما أريده ..

ماعلينا .. ربنا ينهينا على خير .

وتساءلت شهيرة :

ــ ألايحتمل أن نجد جراصالحا للمعيشة العادية ؟

وقال عبد المهيمن :

ــ محتمل جدا .. إن البحوث قد أكدت وجود الأوكسيجين .

والتفت عبد الراضى إلى عبد اللطيف متسائلا :

ــ الأوكسيجين هذا .. يؤكل .. أم يشرب ؟

ــ يتنفس .

ــ يتنفس .. وماله الهواء الذى نتنفسه ؟! . طول عمرنا .. نتنفس هواء ..

ــ إنه هو نفسه الأوكسيجين .

ــ وما الغرابة فى وجوده .. أمعقول ألا يوجد هواء ؟!

ــ قد يوجد هواء .. ولكن ليس كالذى نتنفسه .

ــ رائحته وحشة ..

ــ ليس رائحته .. ولكنه خانق .

ــ ياساتر ..

نظر عبد القادر إلى الاثنين فى غيظ وتساءل :

ــ وبعدين .. أرجوكم .. نريد أن ننتهى .

وعاد عبد المهيمن يقول :

ــ وغير الأوكسيجين .. يوجد بعض النباتات .

وتساءل عبد اللطيف :

ــ مثل ماذا ؟

ورد عبد الراضى :

ـ يعنى حايكون ماذا ؟ . بالكتير .. خيار .. سريس .. كرات .. لا أظن هذه الأرض المخسوفة سيكون بها أكثرمن هذا .

ـ قد يوجد نباتات كبيرة .

وتساءل عبد الراضى فى دهشة :

ـ جميز ؟

ـ أقصد نباتات غيرطفيلية .. وقديكون هناك صورأخرى من الحياة .. لانعرفها على وجه التحديد .

وقالت شهيرة فى فرحة :

ـ إذن نستطيع أن نتحرك بسهولة على أرضها .

ـ يجب أن نحتاط ببدلة الفضاء أولا. ثم نرى .. ماذا يوجد على الأرض .. من مظاهر الحياة التى نألفها ؟ .

وصمت عد المهيمن برهة ثم قال وهوينقر بالقلم على المنضدة :

ـ أعتقد أن هذا حوكل مالدى لكم . وتستطيعون الآن أن تنصرفوا إلى قمراتكم .. وتستعدوا للهبوط .

ترك عبد اللطيف جسده يقف وهو يتساءل :

ـ ومتى سنرتدى هذا الترمس .. الذى سنحفظ به جسدنا من الموت حرقا .. أو التجمد بردا :

ـ عندما نصل إلى مدار القمر . ونبدأ فى الدوران حوله ..

ـ ومتى نعرف ذلك ؟

ـ سنخبركم بالطبع .

وسار الثلاثة يشوحون بأذرعهم وسيقانهم متحركين فى جوف السفينة .

غادر الأرانب الثلاثة غرفة العمليات .. متجهين إلى أسرتهم يستلقون عليها .. فى انتظار التجربة .

وبقى الثلاثة المسيطرون .. فى الغرفة .

وشد عبد المهيمن ذراعيه وساقيه متمطيا.. ثم عاد يثبت نفسه وراء

المنضدة قائلا :

ـ والآن .. أمستعدون نحن؟

ورد عبد القادر :

ـ أنا مستعد .

ووجه عبد المهيمن إلى الدكتورعبد الخبير:

ـ وأنت يادكتور؟

ـ أعتقد أن كل شيء معد .

ـ لكل احتمال ؟

ـ مثل ماذا ؟

ـ لو اضطررنا للبقاء مدة أطول .

ـ أظن أن لدينا احتياطا لكل شيء لمدة شهر .

ـ وإذا قضينا أكثر ؟

ـ ولمه ؟

ـ من يدرى ؟

ـ أظن الترتيبات قد عملت من الأرض للبقاء مدة أسبوع .

ـ وإذا انقطعت الصلة بيننا وبين الأرض ؟

ـ ومن الذى يقطعها ؟

ـ نحن .

وتساءل عبد الخبير فى دهشة :

ـ ولماذا ؟

ورد عبد القادر :

ـ ربما نجد فى الأرض الجديدة .. مايغرينا بالبقاء .

ـ وحدنا ؟

ـ ربما لم نجد أنفسنا وحدنا .

ـ ماذا تعنى ؟

وأجاب عبد المهيمن :

ـ إن هناك بغيرشك مظاهرللحياة .. وربما نجد هناك بشرا .

ـ وهب أننا وجدنا ..

ـ سيكون لدينا مايغرى بالبقاء .

ـ أمجرد وجود بشر يغرينا بالبقاء ؟

ـ قد نجدهم فى حاجة إلينا.

ـ إلينا نحن ؟

ـ أجل .. بكل ما معنا من معدات . واختراعات وبكل قدرتك على استنباط وسائل جديدة للحياة ..

ـ قد لا يكونوا فى حاجة إليها.

ـ نعلمهم كيف يحتاجون إليها .

ـ ولماذا ؟

ـ نمنحهم الحضارة ..والتقدم .

ـ وإذا رفضوها ؟

ورد عبد القادر فى ضيق :

ـ أمعقول هذا ؟

وقال عبد المهيمن ببساطة :

ـ نفرضها عليهم .

ـ وإذا ثاروا ؟

ـ دع أمرهم لنا.. إننا نعرف كيف نتعامل معهم .

ـ ولكن ماذا يجبرنا على ذلك ؟

وقال عبد القادر :

ـ يجبرنا.. إننا سننظم أموره .. ونرعاهم .

ـ ماذا ماذا ؟ .

ـ ونحكمهم .. نصبح نحن .. أسياد الأرض الجديدة بكل ماعليها..

وهز عبد الخبير رأسه في دهشة وعاد يتساءل :

ـ ويعذين ؟

ورد عبد القادر :

ـ ولاقبلين .. دعنا نمارس التجربة.. وابق أنت في ميدان عملك .

ونهض عبدالخبير وهويهز رأسه :

ـ لم أكن أظن أن التجربة ستصل إلى هذا المدى .

وقال عبد المهيمن في هدوء :

ـ دعنا نر ..

وقال عبد الخبير :

ـ أجل .. على رأيك .. دعنا نر.. فربما لانجد أي مظهرللحياة .. وربما لانجد سوى النباتات .. تمارسون عليها سلطانكم ..

وغادر عبد الخبير الغرفة عائدا إلى قمرته .

وعندما خلا عبد المهيمن بعبد القادر سأله في صوت خفيض :

ـ لقد سأل الرجل السؤال الذي تشغلني إجابته ..

ـ ماهو ؟

ـ وإذا ثاروا ، ماذا سنفعل ؟

ـ إن لدينا من أدوات الردع مايكفي ..

ـ أمتأكد من سلامتها .. وصلاحيتها ؟..

ـ جهاز إطلاق الغازالسام موجود .. كذلك جهاز الجراثيم .. ومولد الشعاع الصاعق الذي ولقه هونفسه .. معد للاستعمال ..

وغيرها من الأجهزة التي يعرفها هو جيدا .. يمكن أن تتحول ببساطة إلى أجهزة الموت ..

وصمت عبد القادر ثم أردف في نفسه :

ـ إن لدينا كل أدوات الحضارة .. إذا قبلوها .. ولدينا كل أجهزة التأديب .. إذا قاوموها .

ـ حسن .. لتبدأ الاستعداد للهبوط .

١٢ ـــ ظهر القمر

خرجت السنينة من مدارها حول الأرض لتندفع فى الفضاء مرة أخرى متجهة نحوالكوكب المنشود واستلقى عبد الراضى مشدودا على فراشه بالأحزمة كأحد الطرود .

لم تفلح معه الكأس التى جرعها من زجاجة الأستاذ .. كانت البلبوعة أفضل كثيرا .. فقد ظل مفتوح العينين مشدود الأعصاب وأحس بجسده يضغط فى الفراش حتى كادت عظامه تسحق ..

مالك ولكل هذا العذاب يا عبد الراضى ؟ ..

كانت الأرض لك سترة .. تجدها تحت قدميك ثابتة فى أى وقت تطؤها .. وكان أقصى ماتركبه فيها هو السكة الحديد .. ترجرجك وتهزك .. ولكنها توصلك فى آخر الأمر.. سليما ٢٤ قيراطا .

أنت تصعد إلى السماء ؟ .. وبالحياة ؟..

لو أنك صعدت ميتا .. لكان الأمر أهون كثيرا..

هذه حكمة الله فى أن يأخذنا إليه أمواتا . حتى يسهل علينا الصعود ..

لو أنك ميت لما أحسست بكل هذا .

أو لو كان معك بلبوعة أخرى ..

أو لو كانت هذه الجرعة التى أعطاها لك الأستاذ .. ذات مفعول .. لدوختك .. وألقتك على الفراش بلا حراك .

ولكن الحق عليك .. كان يجب ألاتسمع كلام الأستاذ من أول الأمر.. يريد هو أن يصعد إلى السماء .. فليصعد وحده .. أنت لست مكلفا بخدمته

في السماء ..

ثم وأنت بهذا الشكل الذي ترقد فيه بلاحراك .. غير قادر على خدمة أحد .

وفوق ذلك كله .. إن أحدا هنا .. لايحتاج إليك وإلى خدماتك .. التي تعجز عن تأديتها .

لاأنت قادر على أن تفيد أحدا .. ولاأحد قادر على أن يفيدك .

وكان عبد اللطيف ملقى على فراشه .. متلاحق الأنفاس مغمض العينين .

إلى أين تنتهي هذه التجربة العجيبة ؟

ـ إلى أين يمكن أن يذهبوا ؟ أسيهبطون حقا على الكوكب ؟

وكيف يمكن أن يجدوا الحياة فيه .. هل يمكن أن يمارسوها .. بطريقة طبيعية؟ . يسيرون على أرضه ويتنفسون هواءه ؟ .

وما شكل مخلوقاته .. آدمية .. بأذرع وسيقان ورءوس تفكر أو وحوش ضارية .. تشابه مخلوقات ماقبل التاريخ .

ما الذي دفعه إلى هذه المغامرة العجيبة ؟..

ملاحقته لشهيرة ؟.. وعجزه عن فرقتها.

ولكن ألايمكن أن تضع هذه المغامرة .. حدا .. ليس لقربه منها .. بل لوجوده في هذه الحياة ؟.

أيمكن أن يعود وإياها سالمين إلى الأرض ؟

ألايحتمل أن تجد ما يجذبها في الكوكب الجديد .. لتبقى به ؟

أتراه سيبقى معها ؟ .. ولم لا ؟.

أمعقول أن يتركها وحدها ؟

ولكن ألا يمكن أن يجد من ينافسه في حبها في الكوكب الجديد ؟

مشاكل جديدة تزحم رأسه .

ولكن ماله يشغل نفسه بها .. المهم أن يصلوا سالمين إلى الكوكب ..

وعليه أن يفكر بعدها فيما يمكن أن يحدث ..

وكانت شهيرة .. مصلوبة على فراشها .. مفتوحة العينين .. مزمومة الشفتين .. وقد ضغطت ضروسها .. فى جزع ..

متى ينتهى هذا الاندفاع المزعج .. الذى يكاد يحطم جسدها على الفراش ؟

متى سيصلون إلى حالة العوم التى كانوا فيها ؟ .

إنها على غرابتها أكثر أمنا .. وأبعث على الطمأنينة والارتياح .. لقد ضاقت برقدتها .. المشدودة .. ولكن عليها أن تحتمل .. بعد برهة .. سيبدأ الهبوط على الكوكب ..

ستبدأ المغامرة الحقيقية ..

ستكون أول امرأة على الأرض الجديدة ..

ولكن من يدريها أنها ستكون الوحيدة هناك .

ألم يقولوا إن هناك مظاهر للحياة .. أيمكن أن تكون هناك مظاهر حياة بغير امرأة .

ولكن أى نوع من النساء ستلتقى هناك .. وأى نوع من الرجال ..

لعلها لا تجد هناك شبيها ببعض رؤسائها وزميلاتها .. حتى لا تدخل من جديد فى صراع .. تلهبه الغيرة والأحقاد .

وكيف ستكون الحياة هناك .. أتراها سهلة ميسورة .. كيف ستأكل .. وماذا ستلبس .. ؟ وأى الموضات تنتشر هناك .

ولكن هل سيكون هناك وقت .. لكل هذا .

بل هل ستهيأ لهاالفرصة للخروج من هذه البذلة الشبيهة بالقفص .. لتمارس أنوثتها على الأرض الجديدة ..

تجربة مثيرة .. هذه التى توشك أن تخوضها وعليها أن تنتظر ما يمكن أن تأتى به الساعات القادمة ..

وفى غرفة العمليات كان عبد القادر يجلس مشدودا إلى مقعده وعينه

معلقة بالأزرار والأضواء .

كل شيء .. يسير على ما يرام .. ياعبده .

السفينة تسير في طريقها المرسوم .. وبعد فترة ستصل إلى نهاية منطقة الجاذبية .. وسيبدأ الدوران بعد ذلك حول القمر المقصود من أحد أقمار المريخ .. وبعد بضع دورات .. تبدأ عملية الدخول في منطقة جاذبية القمر.. لن يكون الهبوط شاقا .. ولن يصعب توجيه السفينة إلى منطقة الهبوط الملائمة .. والتى يمكن رصدها من غرفة المراقبة ..

وبعد ذلك .. يتحقق الحلم .

ستهبط السفينة إلى الأرض الجديدة .

أرض بأكملها ستكون تحت سلطانهم ..

سلطان هائل .. هذا الذى يوشك أن يتحقق لك .. سلطان .. ليس على مجرد محافظة .. أوجمهورية .. أو اتحاد ولايات .. أوحتى على قارة .. بل على أرض بأكملها بكل مافيها من قارات وبحور .. وأجواء ومخلوقات ..

كنت تحاول أن تكون محافظا .. وكدت تصل .. ولكن المؤامرات المضادة أبعدتك .. نجحت في التغلب على مؤامراتك .. وخططك .

.. وكنت تحلم فى أعماق نفسك بالوصول إلى الوزارة .. فرئاستها .

.. وتتطمع فى أكثرمن ذلك .

لم يكن هناك حد لطموحك ..

والآن .. يوشك .. أن ينطلق الطموح .. فى فسحة لا حدود لها .. فى أرض كاملة ..

سيتقدمك صاحب السلطان الشرعى .. الكابتن عبد المهيمن .. وستكون أنت عونه .. ووريثه .. فأنت فى حاجة إليه .. فى مرحلة السيطرة على الحكم .. فهو أكثر خبرة بالتعامل مع الناس .. وأشد تأثيرا عليهم ..

ولكن أي ناس هؤلاء الذين ستتعاملون معهم .. أبشر يقطنون الأرض

الجديدة ؟..

لابد أنهم نـاس ..ككل الناس .. لن تتعذر قيادتهم .. باللين أو بالقوة ..

وليس عليك إلاأن تتقدم خطاهم .. وتفهم أفكارهم .. وتعبر عن مشاعرهم .. وتقضى حاجتهم وتسعى لتحقيق أمانيهم .. فيتبعوك ..

ولكن ماهى أفكارهم ومشاعرهم .. وما هى احتياجاتهم وأمانيهم ؟..

لابد أنهم يفكرون . كما يفكر الناس الذين نعرفهم .. ويحسون بمشاعر من عرفت من أهل الأرض . ولن تختلف احتياجاتهم .. عن احتياجاتكم .. وأمانيهم عن أمانيكم ..

من يدرى ؟..

ــ ألايمكن أن يكونوا مختلفين ؟

ــ ولكن ألايمكن ألايكون هناك ناس أصلا ؟

مشكلة ..

سيصبح عليك .. أنت نفسك .. أن تصنع ناسا ..

ولقد كنت من الذكاء .. وبعد النظر أن أحضرت معك أنثى .. وهى أنثى صالحة للتكاثر .. لقد أنجبت من قبل .. ويمكن أن تفرخ لك .. مواليد .. تصنع بها عالمك فى أرضك الجديدة .

ولكن من الذى سينجب منها ؟ ..

أنت طبعا ..

فأحدهم أبوها .. لايصلح .. والكابتن رجل عف ومتزوج .. وهو يجب أن يظل متصوفا .. والأستاذ عبد اللطيف من أصحاب الهوى العذرى .. وعبد الراضى .. سيقوم بالخدمة ..

إنه هو الذى سيكون صاحب النسل الجديد .. سيكون آدم الدنيا الجديدة..

ولكن أى دنيا هذه التى ستقتصر على هذا العدد المحدود من

المخلوقات ؟..

لماذا لا يطلب من عبد الخبير أن يبحث عن وسيلة جديدة للتكاثر .. لبذر المخلوقات .. كما تبذر الغلة .. فتثمر الأرض .. بسنابل الآدميين ؟

أترى ستصبح مشكلته في الأرض الجديدة .. هي مشكلة التكاثر ؟

وأطلق تنهيدة من صدره .

لماذا يتعجل المشاكل ؟ ..

ــ لماذا لا ينتظر حتى يصل إلى الأرض الجديدة .. ويرى مشاكلها الحقيقية ؟.

***

وعلى مقربة منه كان يتمدد الدكتور عبد الخبير يفكر في قلق .

ماذا ينتوى أصحابه .. وأى خطة يرسمونها . وأى هدف يريدون تحقيقه ؟..

أيريدون حقا البقاء في الكوكب ؟

هل يريدون أن يستولوا عليه ؟ أتراهم قد جنوا ؟

ــ ولم لا ؟ ..

ألايحتمل أن يكون جنون الطموح قد دفعهم إلى هذه الخطة ؟..

في الأرض كان يدفع جنون الطموح بالقادة إلى غزو قارات شاسعة ووضع شعوبها تحت سيطرتها .

فأي غرابة في أن يحاول هذان المجنونان غزو كوكب بأكمله .. والسيطرة عليه ..

ولكن كيف يحكمونه ؟..

بل ومن يحكمون .. أى نوع من البشر يمكن أن يعيش في هذا الكوكب الذى يريدون إخضاعه لسيطرتهم .

وأى مخاطر يمكن أن يلقوا بأنفسهم إليها .. وسط نوع مجهول من الكائنات .. وماذا يدفع به هو إلى مشاركتهم في هذه الخاطرة المروعة ؟..

لقد قبل المخاطرة على أنها نوع من الاستكشاف .. لأرض جديدة .. ومعرفة جزء من الكون الهائل الذى نعيش فيه .. ولكنه لم يخطر بباله قط أنها مغامرة غزو .. وسيطرة ..

إن كل مايبغيه هو المعرفة ..

كل مايبذله من جهد يعتصريه نفسه وذهنه إنما هو خطوات نحو حقائق جديدة .. وانتزاع لها من باطن ظلمات الجهل إلى أضواء المعرفة .

ولكن الحقائق لايمكن أن تكون لها قيمة فى حد ذاتها إن لم تضف جديدا إلى حياة الإنسان .

الحقائق ليست تحفا .. ولا أدوات زينة .. يستخدمها الإنسان .. لوضعها فى فاترينات التاريخ .. وإنما يستفيد منها فى تحقيق مزيد من الرخاء والسعادة ..

ولكن أحقا .. يفيد الإنسان دائما .. بما يكتشف من حقائق ؟ أيستعملها دائما لخيره وسعادته ؟ ..

أم يختلط عليه الأمر.. وتتحول الحقائق فى يده إلى أدوات تخريب وتدمير ..

ولكن ماذا يستطيع كاشف الحقيقة أن يفعل .. أيحجبها .. حتى لا تتحول إلى أداة تدمير؟.

إذا كان لايملك ضمانا لأسلوب استعمالها أيحتفظ بها لنفسه .. أم يطلقها .. يفعل بها الإنسان مايشاء ؟..

وهل يملك شيرذلك ؟..

إذا كانت إساءة استعمال الحقيقة .. جريمة .. فحجبها جريمة أكبر.. وليس على كاشف الحقيقة سوى أن يطلقها .. ولتتصارع فى استعمالها قوى الشر والخير .. ويبقى مصير الإنسان معلقا فى أيهما تنتصر فى استعمالها .. وإلى أي مصير تنتهى .. أتكون عنصرا من عناصر سعادة الإنسان .. أو أداة من أدوات إشقائه ؟..

وهو هنا .. لايستطيع إلا أن يعمل .. وأن يكشف ماستطاع من الحقائق .. وأن يكون بعد ذلك إحدى القوى المتصارعة من أجل وضعها فى سبيل الخير والسلام .

وفى حجرة المراقبة .. كان عبد المهيمن مشدودا على مقعده .. وعيناه تحملقان فى الفضاء الذى تندفع إليه السفينة .

هذا هو الكون مفتوح أمامك ياعبد المهيمن .. بلا حدود ولاسدود ولاقيود ..

آمالك فى أن تكون كبيرا .. عظيما .. لايحول بينك وبينها حائل ..

عظيم .. ليس فى فصل دراسى .. ولا على رأس مظاهرة .. ولا فى قيادة حزب .. أو رئاسة بلد ..

فكل هذا .. مهما بدا من كبره قبل أن تبلغه .. يضيق بطموحك .. عندما تصل إليه .. وتحقق آمالك فيه ..

طموح المجد لاحدود له ..

وعندما لايملك الإنسان القدرة على الوصول لا تكون هناك مشكلة .. أكثرمن محاولات متكررة للوصول .. وجهود لتحقيق آمال .. تبقى دائما مجرد آمال ..

ولكن المشكلة الكبرى عندما يملك المرء مواهب الوصول ... عندما يكون لديه القدرة على التميز .. وعلى تقدم الغير.. وعلى أن تتفق آماله مع ـات المجموع .. وعلى أن يستمد أسباب مجده من تحقيق آمالهم .. هنا السباق بين طموحه .. وتحقيق آمال الغير..

هنا تضيق الرقعة المحدودة .. الطموح غيرالمحدود ..

هنا تتجاوز آمال العظمة غير المحدودة مجالها المحدود .. وتتخطاها ـ مجال أكبر يسمح بتحقيق مدى أكبرمن الآمال ..

هنا تصبح المشكلة بين الآمال المطلقة .. والمجال المحدود .. لتحقيقها..

مشكلة سباق دائم .. بين طموح غيرمحدود .. فى نطاق .. لايملك إلاأن يكون له حدود ..

ولكن هنا ياعبد المهيمن .. يبدو المجال غيرمحدود ..

بانطلاقك فى فضاء .. فسيح .. فسيح .. وإقبالك على مجال .. للآمال .. بغيرحدود .. ليس قرية .. ولامدينة .. ولابلدا.. ولا قارة .. ولكنه .. أرض كاملة .. دنيا واسعة .. واسعة .. ببحورها وجبالها .. وسهولها .. وهضابها ..

ومخلوقات ..خام ..

قابلة للصياغة .. والتحوير .. والتطوير .

دنيا واسعة ياعبد المهيمن .. بعبلها .. وبدائيتها .. تشكلها كما تريد .. وتصنع منها شيئا نموذجيا .. تنافس به .. أى عالم آخر .. وتحقق به كل ماتختزنه من آمال وطموح .. فرصة لم تتح لبشر غيرك ..

أقبل عليها بكل ماتملك من ذكاء .. وقدرة .. وجهد ..

ولكن ماذا .. إذا لم تكن .. كما تتصور .. شيئا خاما ؟.. ماذا إذا كانت تحمل كل مايعالمك من تعقيدات .. ومشاكل ؟ ..

ستصبح المهمة أشق ..

ولكنك ستقدر عليها ..

قد تحتاج إلى القوة .. ولكنها لاتنقصك ..

إنك تملك كل أساليب الحكم والسيطرة ..

فأقبل على التجربة الكبرى .. وأطلق طموحك .. الذى لا حدود له .. فى مجال .. يبدو بغيرحدود ..

وفجأة بدأت السفينة تخف سرعتها .. وخف الضغط الذى يطبق على الأجساد .

وتنفس عبد اللطيف الصعداء .. وهو يهمس :

ـ الحمد لله .. يبدو أننا وصلنا أخيرا ..

وأحس بجسده يعاود الطفو فوق الفراش .. ولم تعد للأحزمة التى تشده إلى الفراش قيمة .. فمد يده وفكها .. وأخذ يحرك أعضاءه بخفة .. متجها إلى خارج القمرة ..

ووقف بباب قمرة عبد الراضى الذى بدا مغمض العينين ترتسم على وجهه علامات الجزع .

وهتف به عبد اللطيف :

ـ عبد الراضى .. اصح يا عبد الراضى .

ورد عبد الراضى وهومغمض العينين :

ـ أنا صاح ياأستاذ ..هل تظن إنسانا يستطيع النوم فى هذا المشوارالمهيب ؟

ـ إذن انهض .

ـ كيف ؟

ـ فك الأحزمة وحرك نفسك ..

ـ هل وصلنا ؟.

ـ أجل ..

وفك عبد الراضى الأحزمة فوجد جسده يطفو على الفراش . فتملكه الفزع وصاح :

ـ كيف وصلنا .. إذا كنا مازلنا نعوم فى الهواء .

ـ قد وصلنا إلى آخر منطقة اللاجاذبية . ونوشك على النزول إلى القمر.

وهز عبد الراضى رأسه فى يأس قائلا وهويتنهد :

ـ القمر ؟!! القمرالذى أنار ليالينا السود .. سننزل إليه ؟

ـ ليس إلى القمر إياه .. ولكنه قمرآخر .

ـ يبقى ضحك على العقول ..

ـ لماذا ؟

ـ عندما كنت تسهر الليالى .. هل كان هناك قمر غير قمرنا ؟

ـ لم نكن نراه بالطبع .

ـ ولماذا كنا نرى قمرنا ؟

ـ لأنه كان قريبا .

وضحك عبد الراضي :

ـ قمرنا كان قريبا .

ـ أجل .

ـ حلو !! ولماذا لم تصعد إليه ؟

ـ غيرنا فعل .

ـ ولماذا لا نفعل نحن ؟

ـ نريد قمرا جديدا ..

ـ بخيره ؟!!

ـ بالضبط .. قمرا .. لم يسبقنا إليه أحد .

وهز عبد الراضي رأسه وهو يتأرجح فى الهواء .

ـ والله ما احنا جايبينها البر. ربنا يستر .

وقبل أن يرد عبد اللطيف سمع صوت حفيف خفيف .. ثم أبصر شهيرة تسير فى ممر السفينة مقبلة عليهما وكانت علامات الدهشة تبدو على وجهها وهى تتساءل :

ـ أرأيتما ؟

ورد عبد اللطيف :

ـ ماذا ؟

ـ ألم تطلا بعد من النافذة ؟

وهز عبد اللطيف رأسه فاستطردت تقول :

ـ يخيل إلينا أننا اقتربنا كثيرا .. لقد أبصرت من النافذة منظرا يكاد يشبه مانراه من الطائرة فوق الأرض .

ـ ماذا تعنين ؟

ـ أعني أنني أرى سطحا مجعدا .. به نتوءات وظلال تكسوها طبقة من الضباب .

ـ أمعقول أننا اقتربنا إلى هذا الحد

ـ تعال انظر .

وجذبته تجاه النافذة . ونظر عبد اللطيف عبر الزجاج قائلا :

ـ لا أرى سوى زرقة السماء الداكنة تبرق فيها النجوم .

ـ انظر إلى أسفل .

ومد عبد اللطيف عنقه وألصق وجهه بالنافذة ونظر إلى أسفل فأبصر سطحا رماديا منبسطا تبدو به أشياء كالحفر الصغيرة .

وتساءل في دهشة :

ـ أهذا هو القمر الذي سنهبط إليه ؟

وأجاب صوت من ورائه قائلا :

ـ أجل . هو بعينه .

وبدا عبد القادر وقد علت شفتيه ابتسامة غبطة واستطرد يقول :

ـ إننا نستطيع أن نرى سطحه بالعين المجردة .

وتساءل عبد اللطيف في دهشة وهو يحرك يديه وساقيه بخفة قائلا :

ـ ولكننا .. كما ترى .

ـ أجل .

وعاد عبد اللطيف يؤكد :

ـ إننا بلا وزن .

ـ هذا أمر واضح .

ـ يعني في منطقة اللاجاذبية .

ـ طبعا .

ـ ولكننا قريبون من الأرض .. إنها واضحة لأعيننا . كيف نكون مع هذا القرب في منطقة اللاجاذبية ؟

وضحك عبد القادر قائلا :

ـ إننا لسنا قريبين كما تتصور.. ونحن نرى الآن السطح الذى يواجه الشمس .. وهذه النقر الصغيرة التي تراها قد تكون بحيرات كاملة .. ومازالت أمامنا فرصة للاقتراب أكثر.. لأن جاذبية هذا القمر.. أخف كثيرا من جاذبية الأرض ..

وصمت عبد القادر برهة ثم قال :

ـ إن الرحلة تسير بنجاح كامل حتى الآن ..

وغمتم عبد الراضى قائلا :

ـ ربنا يتم بخير .

وعاد عد القادر يتساءل :

ـ أأنتم على استعداد للنزول ؟

وهمت شهيرة بالاندفاع إلى قمرتها قائلة :

ـ إننا لم نرتد بعد ملابس النزول . وتساءل عبد اللطيف :

ـ أمفروض أن نرتديها الآن ؟

ـ لا .. لا .. ليس بعد .. إن إجراءات الهبوط ستأخذ بعض الوقت .. ونحن نحاول الاقتراب ببطء إلى أكبر مدى في منطقة اللاجاذبية .. قبل أن يبدأ الدوران حول القمر استعدادا للهبوط .

وتساءلت شهيرة :

ـ وما المفروض أن نفعل الآن ؟

ـ تستطيعون أن تستريحوا .. وتتناولوا الطعام .

وهز عبد الراضى رأسه وغمتم متسائلا :

ـ نستريح كيف .. ونحن معلقون في الهواء ..

ألانستطيع أن نريح جسدنا على قطعة أرض ؟..

وقال عبد اللطيف وكأنه يتمم شكواه :

ـ ونأكل ماذا .. سوى ابتلاع هذه الأنابيب ؟

ورد عبد القادر :

ـ تحملوا .. هانت .. كلها ساعة ونبدأ الهبوط .

وضحك عبد اللطيف :

ـ وننحشر في القزانات .. ونهبط إلى الجليد لنجمد أو إلى النار لنحترق .

ـ ستحميكم حلة الفضاء .

ـ حماية السجن لسجينه .

ـ نأمل ألا يطول .. وأن ننطلق بعده إلى دنيا جديدة رائعة ..

وأمنت شهيرة على قوله :

ـ أجل .. إنى أتصورها .. جنة ..

وعلق عبد اللطيف باختصار:

ـ أو جحيما .

وتركهم عبد القادر عائدا إلى غرفة العمليات .. حيث وجد عبد المهيمن يقف بجوارعبد الخبير وهم يطلون من النافذة .

وقال عبد القادر منتشيا :

ـ كل شيء يسير على ما يرام .. هذه أرضنا الجديدة .. تبدو تحت أقدامنا .. أشعر كأنى أستطيع لو مددت يدى أن أمس أطراف جبالها .

وقال عبد المهيمن :

ـ ما زالت أمامنا فرصة للاقتراب أكثر .

وقال عبد الخبير :

ـ لانريد أن نقترب كثيرا.. حتى لانتجاوز منطقة اللاجاذبية فننجذب إليه فجأة قبل أن نستعد للنزول ..

وضحك عبد القادر قائلا :

ـ لاتحمل هما .. فهذا القمر يبدو بلاجاذبية .. حتى ليخيل إلى أننا نستطيع لو شئنا أن نلقى بأنفسنا عليه فنهبط كما تهبط أوراق الشجر .. أو

ريش الطير .. تتهاوى فى الهواء فى خفة حتى تلمس سطح الأرض .

وأجاب عبد المهيمن قائلا :

ــ على أية حال إن علينا أن نعد معدات الهبوط .

وقال عبد القادر :

ــ جاهزة .

والتفت عبد الخبير إلى لوحة الأزرار التى تملأ الحائط المقابل .. وبدت الدهشة على وجهه وتساءل :

ــ يبدو كأننا وقفنا عن الحركة .

وانتقلت الدهشة إلى وجه عبد الخبير وعبد المهيمن وهتفا فى نفس واحد :

ــ عجيبة !

ثم استطرد عبد القادر قائلا :

ــ قد يكون بالأزرار عطل .

وقال عبد الخبير :

ــ غيرمعقول .

واقترب من لوحة فى أحد الأجناب واستطرد يقول فى مزيد من الدهشة :

ــ إننا ندور حول القمر .

وقال عبد المهيمن :

ــ لابد أن مجموعة الصواريخ الأخيرة قد عطلت .. وكفت عن دفع السفينة .. فبدأت دورانها حول القمر .

ورد عبد الخبير :

ــ إنها تدور ببطء شديد .. وتكاد تبدو واقفة .

وبدأ عبد القادر فحص الأجهزة .. ثم دخل فى باب جانبى . وعاد يقول وقد بدت على وجه علامات الجزع وهو يقول :

ـ لقد عطلت كل الصواريخ .

وهتف عبد المهيمن وهو يحاول أن يتمالك :

ـ كيف ؟

ـ لست أدرى .

ـ أتوقفت تماما ؟

ـ تماما .. حتى المجموعة التى سنهبط بها إلى القمر .. تبدو عاطلة ..

واتجه عبد القادر إلى باب آخر في عجلة وهو يقول :

ـ سأرى المجموعة التى ستعيدنا إلى الأرض .

وبعد لحظة عاد وقد علا وجهه شحوب شديد وهو يهتف قائلا :

ـ حتى هذه قد عطلت .

وهز عبد المهيمن رأسه فى يأس قائلا :

ـ معنى هذا أننا سنبقى معلقين هنا .. إلى الأبد .

وتساءل عبد الخبير في دهشة :

ـ ولماذا لا نطلب النجدة من الأرض ؟

وتبادل عبد القادر نظرة يأس مع عبد المهيمن وسادت فترة صمت ثقيلة ثم قال عبد المهيمن :

ـ لافائدة .. لقد قطعت المواصلات بيننا وبين الأرض .

١٣ ــ مجرد فكرة

عطلت الصواريخ المحركة ولم يعد هناك قدرة على دفعها أو توجيهها .. بعد أن أشرفت على الأرض الجديدة التى كانت وشك أن تهبط إليها .

ووقف عبد المهيمن يلقى نظرة شاردة من نافذة غرفة المراقبة عبر الفضاء إلى الأرض الفسيحة الممتدة فى الفراغ الأزرق الداكن .. لا يكاد يبدو منها إلا وجه رمادي مغبر لاتبين معالمه .

وأطلق من أنفه زفرة قصيرة ساخرة وتمتم فى صوت خفيض :

ــ بعد أن وصلنا إلى مشارف الأمنية .. وباتت منا على مرمى البصر .. ومطال اليد .. ينهار كل شيء .. يتبدد الأمل .. وينقشع الحلم ..

ورد عبد القادر فى نبرة يائسة وهو يقف بجوار قائد السفينة .. وقد علت وجه علامات الأسى :

ـ أمر غير معقول .. بعد كل هذا الجهد والتدبير المحكم .. وبيننا وبين الدخول إلى منطقة الجذب .. دقائق معدودات .. ينهار كل شيء .

وصمت لحظة ثم استطرد يقول :

ـ لو أننا فقط نستطيع دفع السفينة إلى منطقة الجذب .

وتساءل عبد المهيمن :

ـ وماذا نفعل بعد ذلك ؟

ــ نتركها تهبط بالجاذبية .

ــ وكيف نسيطر عليها .. عند الهبوط ؟

ــ نتركها للقدر ..

ــ حتى تتهشم على سطح القمر .

ـ المفروض أن الجاذبية أضعف كثيرا من جاذبية الأرض .. إنها لاتكاد تبلغ جزءا يسيطا منها .

ـ بسيط .. أو غير بسيط .. لابد لها في النهاية أن ترتطم بالسطح .

ـ ربما سقطنا .. على الماء .

ـ ومن يضمن وجوده ؟

ـ إن علينا أن نغامر.

ـ على أية حال .. إن المغامرة قد باتت مستحيلة .. بعد أن عطلت كل الصواريخ .. وبعد أن بتنا عاجزين عن الخروج من منطقة اللاجاذبية . .

ـ مصيبة .

وهز عبد المهيمن رأسه وقال في سخرية :

ـ كل شيء كان يخطر ببالي .. إلا أن أنتهي .. ضالا في الفضاء .

وأردف عبد القادر بنبرة يائسة :

ـ وراء قضبان سجن .. معلق بين السماء والأرض ..

وصمت عبد المهيمن برهة ثم عاد يتساءل :

ـ ولكن لماذا وراء قضبان السجن ؟..

ـ ماذا تعني ؟

ـ لماذا لانخرج ؟

ـ إلى أين ؟

ـ إلى الفضاء .. إلى الدنيا الواسعة ..

إذا كنا قد حكم علينا أن نقضي هنا .. فلماذا في هذا الجحر .. لماذا نجلس لننتظر مصيرنا في عجز واستسلام ؟

ـ تريدنا أن نغادر السفينة ؟

ـ لم لا ؟

ـ لنهيم على وجوهنا في الفضاء ؟

ـ أي شيء أفضل من الانتظار ..

ـ ونرتدي حلل الفضاء ؟

ـ طبعا ..

وهز عبد القادر رأسه وأخذ يجيل الفكرة في ذهنه وقال بعد لحظة :

ـ معقول .. ننطلق سائرين في الفضاء .. بدل أن نجلس هنا في عجز.. ومن يدري ربما استطاع كل منا أن يبلغ منطقة الجذب .. فيندفع إلى الأرض .

والتفت إليه عبد المهيمن متسائلا :

ـ أتظن هذا ؟

ـ ولم لا ؟

ـ ماذا تظن المسافة إلى منطقة الجذب ؟

ـ أستطيع أن أحدد بالضبط .

ـ ولكنها قد تصل إلى مئات الأميال .

ـ وهبها كذلك .. ألا يحتمل أن نقطعها سائرين .

وأقبل عبد اللطيف ووراءه عبد الراضي وقد بدا عليهما القلق .. وتساءل عبد اللطيف وهويطل من باب القمرة :

ـ سائرين ؟ . إلى أين ؟

ورد عبد القادر وهويطلق تنهيدة :

ـ إنها مجرد فكرة ..

وحاول عبد اللطيف أن يحصل على مزيد من الشرح فتساءل :

ـ فكرة عن ماذا ؟

ورد عبد المهيمن وهويحاول أن يجلس على أحد المقاعد :

ـ إن المسألة تحتاج إلى شرح .. لقد حدثت أشياء خطيرة .

وتساءل عبد اللطيف في جزع :

ـ خطيرة .. من أي نوع ؟

وأجاب عبد القادر :

ـ لقد تعطلت السفينة .

ـ كيف ؟

ـ إنها لاتستطيع أن تغادر منطقة اللاجاذبية .

وببساطة تساءل عبد اللطيف :

ـ وماذا في ذلك ؟

ـ لن نستطيع أن تهبط إلى القمر.

قال عبد الراضي في تشف :

ـ أحسن .. نعود إذن إلى الأرض .

ورد عبد القادرفي عصبية :

ـ لانستطيع .

وقال عبد الراضي في استسلام :

ـ إذن نبقى .

ـ إلى متى ؟

ـ إلى أن يحلها الحلال .

ـ كيف ؟

وهز عبد الراضي رأسه وتلفت إلى عبد اللطيف قائلا :

ـ قل لهم يا أستاذ .. فأنا لاأفهم في هذه الأشياء .

وقال عبد اللطيف :

ـ ننتظر حتى يرسلوا إلينا سفينة نجدة تجرنا .. أوتحملنا فيها .

وقال عبد المهيمن في لهجة مقتضبة :

ـ لاأحد يعرف مكاننا .

وقال عبد الراضي في دهشة وهو يضرب كفا بكف :

ـ يعني تهنا بالعربي .. وقعنا ولم يسم علينا أحد .. ولكن لماذا لايرسلون وراءنا مناديا .. ينادي ياأولاد الحلال .. مين شاف سفينة تايهة في الفضاء ؟

ونظر عبد القادر إلى عبد الراضى فى غيظ وقال له ناهرا :

ـ أتمزح ؟

ـ أبدا والله .. أتكلم جادا .. إما هذا .. أو يبلغوا عنا البوليس ..

ونظر عبد اللطيف إلى عبد الراضى نظرة زاجرة وقال له :

ـ عبد الراضى .. اسكت أنت بلا هبل ..

ووضع عبد الراضى كفه على فمه قائلا :

ـ هب .. سكتنا .. حلوها انتم .

وعاد عبد اللطيف يتساءل :

ـ كنتم تقولون .. نذهب سائرين .

وقال عبد المهيمن :

ـ كان هذا مجرد اقتراح .

وعاد عبد اللطيف يتساءل :

ـ سائرين إلى أين ؟

ورد عبد القادر :

ـ إلى القمر .

لم يملك عبد الراضى نفسه من الانفجار ضاحكا :

ـ تسير إلى القمر ؟

والتفت إلى عبد اللطيف هامسا :

ـ لو قلت هذا .. فى جلستنا إياها .. مع الشلة .. لقالوا عنا مسطولين .. ولكن هنا ..

وكانت شهيرة .. قد أقبلت بعد أن أصابها القلق من طول الانتظار وفوجئت بصيحة عبد الراضى وتساؤله عن السير إلى القمر ..

فهتفت متسائلة :

ـ ما هذا التخريف ياعبد الراضى ؟

والتفت عبد الراضى إلى عبد اللطيف قائلا :

ـ ألم أقل لك ياأستاذ ..

وجه الحديث إلى شهيرة قائلا وهويشير إلى عبد القادر :

ـ أنا لم أقل هذا .. الباشمهندس هو اللى قال .

وقال عبد القادرمتمتما :

ـ إنها مجرد فكرة .

وتساءلت شهيرة مذهولة :

ـ فكرة ؟!! أن نسير إلى القمر..

وقال عبد المهين فى حزم :

ـ أن نموت هنا ..

وقال عبد اللطيف متسائلا ببساطة :

ـ وإذا سرنا إلى القمر.. لن نموت ؟

ورد عبد القادر :

ـ جائز .

وعاد عبد الراضى يضرب كفا بكف وهو يقول :

ـ أنا أسير إلى القمر ؟ .. كانت أمى بهانة تخشى على أن أسير إلى البندر .. حتى لاتصدمنى المستعجلة .. ماذا تقول عندما تسمع أن ابنهاعبد الراضى .. طالع يتمشى للقمر..

ونظرت شهيرة إلى عبد اللطيف مستفسرة وتساءلت :

ـ ولكن كيف نسير إلى القمر .. ولماذا ؟،

ـ لأن السفينة عطلت ..

ـ ولكن كيف تعطل السفينة ؟

ورد عبد الراضى :

ـ حرنت .. كما تحرن الحمارة على الطريق .. قسمتنا .

ـ إذن نعود .

ـ السفينة حرنانة ياست شهيرة .. لاتريد أن تنزل إلى الأرض .. أو

تطلع إلى القمر..

ـ أمعقول هذا ؟

ـ هكذا قالوا .

ـ ولكن كيف سنسير ؟

ورد عبد المهيمن :

ـ إذا استقر أمرنا على السير.. سنرتدى بذل الفضاء ونساب عن السفينة الواحد بعد الآخر .

ـ إلى أين ؟

وهز عبد المهيمن رأسه قائلا :

ـ إلى أى مكان ..

وفى تلك اللحظة أقبل الدكتور عبد الخبير من حجرة العمليات وقد بدا عليه الشرود .. واندفعت إليه شهيرة متسائلة فى جزع :

ـ أعرفت ؟!

وأطرق عبد الخبير وقال فى هدوء :

ـ أجل .

ـ أمعقول .. أن نذهب إلى القمرساترين ؟

ورفع الرجل رأسه مأخوذا وقال :

ـ ساترين ؟ .. إلى القمر؟. من قال هذا ؟

وقال عبد المهيمن :

ـ إنه مجرد اقتراح ندرسه .

ـ اقتراح بأن نسير إلى القمر.. أهذا معقول ؟

ـ ليس هذا بالتحديد .. ولكننا فكرنا .. إنه خيرلنا .. من البقاء مسجونين فى السفينة .. منتظرين نهايتنا المحتومة .. أن نخرج لنواجه مصيرنا ..

ـ نواجهه أين ؟

ـ في الفضاء .. نسير .. نتحرك .. ننطلق .. نفعل أى شىء .. غيرالبقاء حتى نموت جوعا ..

وأردف عبد القادر متمتما :

ـ وقد يساعدنا الحظ فنبلغ فى سيرنا منطقة الجذب ..

وأكمل عبد الخبير :

ـ فنهوى حطاما .

ـ من يدرى .. ربما نهبط عى أرض لينة .. أو فى الماء .

واستطرد عبد المهيمن يكمل حديثه :

ـ أونعلق على فرع شجرة .

وهز عبد اللطيف رأسه وتمتم قائلا :

ـ مصير لا بأس به .. يهوى الإنسان من الأرض على القمر .. ليعلق كالغراب على فرع شجرة .. هذا هو آخر المطاف ؟

وهز عبد الخبير رأسه مستنكرا :

ـ لا .. لا .. أنا شخصيا .. لن أغادر السفينة .

وقال عبد الراضى مؤكدا :

ـ ولا أنا .. لقد تهت مرة .. فى ميدان العتبة .. أمعقول أن أخرج لأخوض وحدى .. فى .. فى .. فى ماذا ؟.. لاأعرف حتى ماذا أسميه .. فى الأرض .. فى القمر.. فى الكون الواسع ..

وعاد يهز رأسه قائلا فى حزم :

ـ لا ..لا.. يفتح الله .. سأذهب وأتمدد على فراشى .. وأظل أبلع فى الأنابيب حتى يحدث أمر الله .

ووجه عبد المهيمن القول إلى عبد الخبير متسائلا :

ـ ولكن .. أية فائدة تراها فى البقاء فى السفينة ؟

ـ احتمالات العثور علينا أسهل .. لو أنهم فكروا فى إرسال شىء لنجدتنا.. ثم احتمالات إصلاح الصواريخ .. والهبوط أو النزول .. أو عمل

أى شىء .. ثم إننا فى السفينة .. أكثر أمانا وراحة .

وسأله عد القادر :

ـ إلى متى ؟.. إلى أن ينتهى طعامنا ؟

ـ إن لدينا منه مايكفى شهرا .

ـ وبعد الشهر ؟

ـ يحدث ماحدث .

ـ نقضى كالجرذان .. داخل السفينة .

ـ وإذا انطلقنا سنتساقط كالعصافير .. أو السمان .

ـ ولكننا قد نبلغ الهدف .

ـ أى هدف ؟

ـ نصل إلى القمر .. ونحقق خطتنا .

ـ أما زلتم تفكرون .. فى الخطة .. أهذا معقول .. بعد كل الذى نحن فيه ؟

وقال عبد المهيمن :

ـ إذا كان الموت أمرا لابد منه .. فلماذا نضيع سدى .. لماذا لانموت فى سبيل تحقيق هدفنا ؟

وبدأت شهيرة فى البكاء قائلة :

ـ أحقا سنموت .. أهذه هى نهايتنا ؟

ومد عبد اللطيف يده يربت ظهرها فى رفق وقال مهدئا :

ـ اهدئى يا شهيرة .. مازال أمامنا شهر .. ولابد أن يحدث شىء فى خلال هذا الشهر .. إن أباك يقول إنهم قد يعثرون علينا .. وقد تصلح السفينة .

وقال عبد القادر :

ـ وقد نصل إلى القمر .. إذا دأبنا على السير .

ونظر عبد الراضى إلى عبد القادر نظرته إلى مخلوق غريب وهمس

لعبد اللطيف :

ـ الباشمهندس .. بلع شيئا .. إنه مصر على المشى إلى القمر؟

وقال عبد المهيمن :

ـ على أية حال .. إن الفرصة مازالت واسعة أمامنا .. لكى نحاول إصلاح الصواريخ .

وهز عد القادر رأسه قائلا :

ـ لافائدة ..

واستطرد عبد المهيمن يقول :

ـ أو ننتظر نجدة من الأرض ؟

ـ فإذا لم تصل ؟!

ـ عندما نيأس من كل المحاولات .. ولايعود أمامنا سوى الموت فى السفينة جوعا .. أظن البقاء يصبح نوعا من الانتحار ؟.

وتساءل عبد الخبير :

ـ وماذا يفيد الخروج ؟

ـ مجرد محاولة للنجاة ..

ـ محاولة يائسة مقضى عليها بالفشل .

ـ لو أن بها احتمالا للنجاة واحدا فى الألف .. فإن من الحماقة ألانحاولها .

وقال عبد القادر :

ـ من رأيى أن نمكث حتى لايبقى أمامنا سوى فرصة أسبوع .. وبعد هذا .. ننطلق .

وأيد عبد المهيمن رأيه قائلا :

ـ أجل .. نأخذ ماتبقى من الطعام .. ونرتدى حلل الفضاء ونترك السفينة ، ونتصاب فى الفضاء .

وتساءلت شهيرة فى حيرة :

ـ ولكن أين نتجه ؟

ـ إلى القمر.

ـ أيمكن أن نصل ؟

ـ لوتجاوزنا منطقة اللاجاذبية .. فحتما سنصل .

وتمتم عبد الخبير :

ـ أجل .. حتما سنصل .. ولكن على أية حال ؟

ـ أيا كان الحال الذى سنصل عليه .. فلا جدال أنه خير من الحال الذى سنكون عليه إذا بقينا هنا ؟

وعادت شهيرة تتساءل مأخوذة مرتاعة :

ـ ولكن .. ولكن .. هل سنجد هناك شيئا .. أعنى شيئا يبقينا على قيد الحياة .. لو أننا وصلنا ؟

ورد عبد المهيمن :

ـ نحن وقدرنا.. إنها مغامرة .. ولكن .. مهما كانت نتائجها .. فلن يكون مصيرنا فيها .. أسوأ .. من مصيرنا هنا .

وقال عبد القادرمحاولا أن يخفى مابه من قلق :

ـ المفروض أن هناك مظاهر للحياة .. وإن كان لايبدو بها من هنا أية علامات ..

وتنهد عبد الخبير قائلا وقد بدا عليه الشرود :

ـ قد لاتظهر بالعين المجردة .

وقال عبد المهيمن :

ـ ولا بالتلسكوب .

ورد عبد الخبير فى ثقة :

ـ ولكن تبدو بشىء آخر؟

ـ ماذا تعنى ؟.

ـ بجهاز الرؤية الفضائى ..

ـ لم أستطع أن أرى به شيئا .. يحتاج إلى تعديل فى العدسات .
واستعمال لشعاع خاص .. والاستعانة بالأجهزة الإلكترونية .

وهز عبد القادر رأسه متسائلا :

ـ هل استطعت أن تستعمله ؟

ـ أجل ..

وتساءل عبد المهيمن فى دهشة :

ـ ورأيت شيئا ؟

ـ بالطبع ..

ـ ماذا رأيت ؟

وقال عبد القادر :

ـ هل رأيت بشرا ؟

وهز عبد الخبير رأسه :

ـ لا .. لا .. ولكن رأيت مساحات خضراء هائلة .. مليئة بالنباتات .

وقال عبد اللطيف :

ـ ما دام هناك نباتات .. فلابد أن هناك بشرا ؟.

ـ لا أستطيع أن أميز شيئا .

وتساءل عبد الراضى :

ـ ولاحيوانا ؟!.

ـ لم أر أى كائن حى .

وقالت شهيرة :

ـ ربما كانوا فى البيوت ..

ـ لم يكن هناك بيوت ..

وتساءل عبد القادر :

ـ إذن من زرع النباتات ؟

ـ إنها مساحات هائلة من الأشجار .. لاأظن أحدا زرعها .

ـــ لابد أن يكون هناك حيوانات تعيش فى الأدغال .. ولكنك لاتستطيع أن تميزها ؟.

ـــ ربما.. المهم أنه لم يكن هناك أى أثر لكائن يتحرك .

وقال عبد المهيمن :

ـ على أية حال .. مادامت هناك نباتات .. فلا بد أن تكون هناك مياه .. وإذا كانت هناك مياه .. فلابد أن تكون حياة .. هذا شيء يبعث على الأمل .

وأكمل عبد القادر حديثه قائلا :

ـ ويجعلنا نقدم على المغامرة ..

ثم وجه الحديث إلى عبد الخبير متسائلا :

ـــ ألم يشجعك وجود الحياة ، على الإقدام على عملية النزول ؟

وتساءل عبد الخبير فى استنكار:

ـ كيف .. مشيا فى الهواء .. أهذا معقول .. إن المسافة بيننا وبين منطقة الجذب .. لايمكن قطعها فى أقل من بضعة شهور . لو أننا نتحرك ليل نهار.. ثم إننا لانستطيع السيطرة .. على توجيه أجسادنا فى الفراغ .. إنها مغامرة غيرمعقولة .

واندفعت شهيرة فى البكاء قائلة :

ـــ إذن لافائدة .. لا فـائدة .. لاأمل فى النجاة .. لقد حكم علينا بالموت .. ماذا سيفعل الأولاد بدونى .. آه ياأولادي .. آه يامحمود .. آه ياراوية ..

وحاول أبوها طمأنتها قائلا :

ـ لاداعى لكل هذا يا شهيرة .. إننا لم نفقد الأمل بعد .. إنى سأبذل جهدى لأجد وسيلة للاتصال بالأرض .. أجل .. لابد أن أفعل شيئا .. إن لدينا فى السفينة طاقات هائلة .. وإمكانيات لاحد لها ..

ونظر عبد اللطيف إلى الدكتورعبد الخبير وقال له متوسلا :

ـ أرجوك يادكتور.. افعل شيئا .. لاتتركنا هكذا .

وقال عبد الراضى :

ـ الله يعمر بيتك يادكتور .. الله لا يرقد لك جثة فى فضاء .

وقال عبد المهيمن فى لهجة ضيق :

ـ على أية حال .. أرجو أن تعودوا إلى حجراتكم .. وأن تهدءوا .. إن الوقت مازال أمامنا طويلا .. ولا معنى لهذا الفزع .. إن لدينا من الطعام ما يكفينا شهرا.. وإذا اقتصدنا فيه فقد يكفينا أسبوعا أكثر .. فأرجو أن تعودوا إلى أماكنكم وتمنحونا فرصة العمل ..

وتساءل عبد اللطيف :

ـ ولكن ألا يمكننا أن نرى منظر الأرض الجديدة التى كنا نوشك أن نهبط إليها ؟

ـ طبعا سترونها .. ولكن أرجوكم الآن أن تتركونا قليلا .. تفضلوا .

واستدار عبد اللطيف تتبعه شهيرة ثم عبد الراضى وهويتمتم قائلا :

ـ هذا مانابنا منك يا أستاذ .. نموت معلقين فى الفضاء .

والتفت إليه عبد اللطيف وقال ساخرا :

ـ وفرت على روحك المشوار.. وعلى أهلك الدفنة .. لقد طلعت بنفسك إلى الله ببساطة ودون أية إجراءات أرضية مزعجة .. ماذا تريد أكثر من هذا ؟.

ـ أريد أن أريح جثتى .. فى الآخرة .. بعد طول رمح فى الدنيا ..بين المكاتب والمطبعة . كنت أظن أن الموت سيرحمنى من الشحططة والمرمطة .. ولكن يبدو أن الشقاء كتب علىّ فى الدنيا والآخرة ..

وقالت شهيرة فى جزع :

ـ لاتذكروا سيرة الموت .. إننا لن نموت .. سنعود إلى الأرض .. وسنقص مغامرتنا على الناس .. سنكون أول من تاه فى الفضاء .. سيكتبون عنا مانشيتات فى صحف العالم كله .. أول امرأة .. تتوه فى الفضاء .. ما

رأيك ياأستاذ عبد اللطيف ؟

ـ سبق عجيب .. والأعجب منه .. لوقمنا بالمغامرة إياها .. وخرجنا نتمشى حتى القمر .. تصورى ماتشيت « أول امرأة تذهب إلى القمر .. سيرا على الأقدام » .. و ..

وقاطعه عبد الراضى قائلا :

ـ أى أقدام ياأستاذ .. إننا سنذهب على الأقدام والأرجل .. والرؤوس .. سنعوم فى الهواء كما نفعل الآن .. لوأننا نسير .. لهان الأمر .. إن قدما أمام قدم .. تعنى .. خطوة للأمام .. حركة فيها بركة .. ولكن بالطريقة التى نفعلها الآن .. ونحن نترنح .. ونتطوح .. نخطو خطوة لأمام واثنين للخلف .. لن نعرف .. متى نصل .. وإلى أين نصل ؟.

ـ على أية حال .. سيصبح السبق أكبر .. سيقولون عنا .. أول من يصعدون إلى القمر .. متطوحين .

ونظرت شهيرة إليهما وقالت :

ـ يبدو أنكما فائقين .. أهذا وقت مزاح !!

ورد عليها عبد الراضى قائلا :

ـ خليها على الله ياست شهيرة .. هو الذى أحضرنا .. وهو القادر على إنزالنا .. سالمين .. مامن خطوة نخطوها إلا بإذنه .. يعلم مابين أيدينا .. وماخلفنا .

واتجهت شهيرة إلى قمرتها قائلة :

ـ عن إذنكم ..

وقبل أن تعبر الباب همس عبد اللطيف لها قائلا :

ـ لاتحملى هما .. إنى معك دائما .. بقيت فى السفينة .. أو سرت إلى القمر .. وسأحتفظ لك من طعامى .. مايمنحك فرصة أطول للبقاء ..

والتفتت إليه شهيرة وعلت شفتيها ابتسامة رقيقة وأجابته :

ـ إن وجودك معى .. يمنحنى الراحة والثقة .. أعادنا الله سالمين ..

ودخل عبد اللطيف إلى قمرته .. واستلقى على فراشه .. وأغمض عينيه .. وأطلق زفرة طويلة .

ـ هنا مآلك ياعبد اللطيف .

نهاية لا بأس بها .

معلق في الهواء ..

تائه في الفضاء ..

مع حبيبة القلب .. ومنية الروح .

لاتعرف .. إذا كنت ستثوي معها في السفينة .. أم ستهيم معها في الفضاء ؟

ستطرق وإياها دنيا جديدة .. أم ستخرج وإياها من الحياة كلها .

عبد الراضي يؤمن .. أن خطواتك .. وخطواتها .. وخطوات الناس كلهم .. محسوبة بإذن الله .

وهونفسه يؤمن بالله .. وبأنه مدبر لكل مافي الكون من حركات وسكنات ..

بما فيها.. حركاته .. وسكناته .. هوشخصيا ؟.

ولكن لماذا ؟..

وأوشك ذهنه أن يخوض في جدل القدرية والإرادة .. وماهو مفروض على الإنسان بالقدرية الحتمية وما هو حر في فعله .. ومدى حريته في تشكيل حياته وتقرير مصيره .. وحرية الإنسان في الاختيار ومسئوليته عن كل مافي حياته عدا مجرد وجوده .. الشيء الوحيد الذي لم يترك له حرية الاختيارفيه .. إنه خلق .. أما بعد هذا .. فللإرادة حق الاختيارالمطلق ..

وهونفسه قد اختار أشياء كثيرة في حياته .. وهو يعتبر نفس مسئولا عن نتيجة هذا الاختيار .. ولكن أشياء كثيرة فرضت عليه .. وغير وجودها نتيجة ما اختاره بمحض إرادته .. وكان عليه أن يتحمل مسئولية النتيجة دون أن يكون له مسئولية الاختيار .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

لقد اختار هو الصعود إلى السفينة .. لأنه يريد أن يكون مع شهيرة .. وهو يقبل نتيجة هذا الاختيار.. ولكنه لم يختر عطل السفينة .. ومع ذلك أضحى عليه أن يقبل نتيجة العطل .. الذى لم يكن هومسئولا عنه .. وأن يرضخ لهذه النتيجة التى بغيرجدال ستتلف كل مااختاره وهوصحبة شهيرة بحيث تنهيها إلى فرقة مؤبدة ..

المهم .. أن عليه أن يقبل مالم يختر.. ليقضى على ما اختار..

وأن يستسلم ..

حتى التفكير .. لم يعد منه فائدة ..

فليستسلم بلا تفكير ..

ليقبل فى رضاء .. فهذا أبعث على الراحة .

ولكنه لايستطيع .. لإنه لايملك إلا التفكير .

وفى القمرة الأخرى ..

كان عبد الراضى مستلقيا فى فراشه ..

خضع لما فرض عليه مستسلما .. بلا تفكير.

وغلبه النوم فى دقائق .. فعلا شخيره .

***

وفى غرفة العمليات كان يجلس الثلاثة الكبار بعد أن ألقى كل منهم نظرة فى جهاز الرؤية الفضائى ..

وهز عبد المهيمن رأسه فى أسف قائلا :

ـ خسارة .. أرض جميلة ..

ورد عبد القادر :

ـ ولكن لايبدو بها كائن حى .. من يمكن أن نحكم .. وعلى من نفرض السلطان ؟.

وبدا عبد الخبير شاردا ...

وقال عبد المهيمن :

ـ على أية حال .. لا داعى للأسف .. بعد أن أصبح هبوطنا مستحيلا .. فلا أظننا نستطيع أن نمارس سلطاننا على الأرض من هنا ..

وقال عبد القادر متمما :

ـ كالآلهة !!

ورد عبد الخبير وهو مازال فى شروده :

ـ من يدرى ؟؟ !! .

١٤ ــ رعية من الشجر

بدت الدهشة على عبد المهيمن وهويستمع إلى سؤال عبد الخبير ورد عليه متسائلا فى استنكار :

ــ من يدرى ماذا ؟

وأجاب عبد الخبير :

ــ من يدرى إذا كنا نستطيع أن نمارس السلطان على الأرض من هنا ؟

ــ لست أفهم ماتقصد .

ــ أقصد أنه قد يكون لدينا من الممكنات ما نستطيع أن نمارس به بعض أنواع التوجيه والسيطرة . على مايوجد من كائنات حية فى هذه الأرض القريبة التى نعجز عن الوصول إليها .

والتفت الجميع إلى عبد الخبير مأخوذين ورد عبد المهيمن غير مصدق :

ــ من هنا نمارس السيطرة والتوجيه ؟

وهتف عبد القادر :

ــ أمعقول هذا ؟

وتساءلت شهيرة :

ــ ولكن لماذا ؟

وهز عبد اللطيف رأسه وقال ساخرا :

ــ لكى نمارس الألوهية .. ما دمنا قد عجزنا عن أن نكون بشرا فى القمر .. فلنجرب أن نكون آلهة عليه .. ورفع عبد الراضى كفيه إلى أعلى وقال فى يأس :

ــ والله ما أنا فاهم حاجة ..

وعاد عبد المهيمن يسأل فى إلحاح :

ـ أتقول إننا نستطيع من هنا أن نحكم القمر؟

ورد عبد الخبير:

ـ لم أقصد هذا بالضبط .. لم أعن أن نحكمه ..

وقاطعه عبد القادر فى حماس :

ـ سيكون حكما ديموقراطيا نابعا من إرادة الشعب .

ـ لم أقصد أن نحكمه بمفهوم الحكم فى الأرض .. وإنما قصدت أننا نستطيع أن نوجه الحياة فيه ..

وقال عبد المهيمن فى حيرة :

ـ لاأفهم .

ورد عبد اللطيف فى نفس لهجته الساخرة :

ـ يعنى شغل آلهة ..

وأجاب عبد الخبير فى تردد :

ـ ليس بالضبط .. فنحن لانملك خلق الحياة فيه .. وإنمانستطيع أن نوجهها .. ونطورها .

وقال عبد اللطيف :

ـ يعنى أنصاف آلهة .. شىء بين الحكام والآلهة ..

ورد عبد الخبير :

ـ لاأدرى بالضبط ماذا ستكون .. ولكنها تجربة ..

وصمت عبد الخبير لحظة ثم استطرد يقول :

ـ على أية حال .. شىء نفعله .. فى وقفتنا المعلقة فى الفضاء.. خير من أن نرقد عاجزين .. حتى تأتى آخرتنا .

وقال عبد الراضى متسائلا فى غير اقتناع بشىء مما قيل :

ـ نفعل ماذا ؟

وهزت شهيرة رأسها فى حيرة وهى لا تستطيع أن تتصور شيئا مما

يتحدثون عنه .

وقال عبد المهيمن وقد بدا عليه الشرود وكأنه يحاول أن يتخيل شيئا مما يمكن أن يحدث .

ـ تجربة عجيبة لوصح ماتقول !

وعقب عبد القادر على قوله وهو ما زال مأخوذا :

ـ إنها أخطر من أى شيء كنا نحلم به .

وهتفت شهيرة :

ـ ما هو هذا الشيء الذى يتحدثون عنه ؟

ونظرت إلى عبد اللطيف متسائلة :

ـ لاأستطيع أن أفهم شيئا .. هل تفهم أنت ؟

وأجاب عبد اللطيف وقد علت شفتيه ابتسامة استخفاف :

ـ يعنى !! أظننى أستطيع أن أخمن !!

وعادت شهيرة تحملق فيه .. منتظرة أن يكمل قوله .

وبعد لحظة صمت استطرد عبد اللطيف يقول شارحا :

ـ أظنهم يتحدثون عن محاولة السيطرة على أهل القمر .. من هنا .

وصاحت شهيرة :

ـ كيف ؟

ـ ياستى .. لاتدقتى .. ليفعلوا أى شيء .. فلا أظن أن هناك ما يضيرنا .. بعدما صرنا إليه .

وغمتم عبد الراضى قائلا :

ـ على رأى المثل .. ضربوا الأعور على عينه . قال خسرانة خسرانة .

وهتفت شهيرة غير مقتنعة :

ـ ولكن أمعقول هذا ؟

ورد عبد اللطيف :

ـ وأى شيء حولنا معقول .. حتى يكون هذا معقولا ؟..

ـ أقصد هل يمكن أن يحدث ؟

ـ ولم لا .. إن شيئا مما لايمكن أن يحدث .. قد حدث هنا بالفعل .. هل كنت تتصورين .. أن نتوه فى السماء ؟..

وضرب عبد الراضى كفا بكف :

ـ ياناس .. نتوه فى السماء .. أهذا معقول ؟

وجر عبد المهيمن عبد الخبير من يده واتجه به إلى غرفةالعمليات وهو يتساءل :

ـ قل لى . ماذا دفعك إلى هذا الظن الذى تقوله ؟

ـ ليس ظنا .. إنه حقيقة .

ـ أحقيقة أننا نستطيع أن نسيطر من هنا على الحياة فى القمر ؟

ـ إلى حد ما .

ـ كيف ؟

ـ نستطيع أن نوجه إرادتها .. وأن نفعل بها أشياء كثيرة .

ـ أنستطيع أن ننهيها مثلا ؟

ـ هذا أسهل شىء .. إنها عملية تدمير .. مما نمارسه على الأرض ببساطة .

ـ وهل نستطيع أن نعيدها ؟

وهز عبد الخبير رأسه وقال ببساطة :

ـ لا ..

ـ نبدأها من جديد ؟

ـ أيضا لا .

ـ إذن ماذا نستطيع أن نفعل ؟

ـ قلت لك نوجهها .. نسيطر على إرادتها وحركتها .

وقال عبد القادر وهوينصت إلى المناقشة :

ـ هذا يكفى .. يكفى جدا .

وتسا ءل عبد الخبير :

ـ يكفى لماذا ؟

ـ لكى نمارس تجربة الحكم والسيطرة ..

وقال عبد الخبير :

ـ إنها ستكون مهمة أعقد من ذلك .. ليست مجرد حكم وسيطرة .

ورد عبد المهيمن :

ـ ستكون شيئا خطيرا .

وقال عبد القادر :

ـ ومثيرا .

واقترب عبد اللطيف وهويتسا ءل في دهشة :

ـ ولكن ما الذي يدفعنا إلى هنا . لماذا نحشر أنفسنا فى مصير كوكب بأكمله ؟

وقال عبد المهيمن :

ـ ولماذا لانفعل .. إذا كنا نستطيع .. إنها تجربة رائعة .

ـ إنها مسئولية خطيرة .

ـ ولم لانجربها ؟

وقال عبد اللطيف :

ـ لاأستطيع أن أتصور كيف يمكن أن تكون .. خيالى يعجز عن تصورها ؟

ثم التفت إلى عبد الخبير متسائلا :

ـ وكيف يمكن أن تكون الحياة هناك .. من يعيش بها.. وكيف ؟ أي أنواع الأحياء .. بشرأم حيوانات ؟

وقبل أن يجيب عبد الخبير قال عبد المهيمن :

ـ دعنا نلقى نظرة ..

وأكد عبد القادر قوله وهو يتجه إلى غرفة العمليات :

ـ أجل .. يجب أن نرى أولا .. ميدان التجربة .

وقال عبد اللطيف وهويهز رأسه في سخرية :

ـ لنرى الرعايا .. أي نوع من العبيد هم ؟

ورد عبد الخبيرباسما :

ـ لاأعتقد أنهم عبيد .

ـ حتى الآن .

ووقف الجميع أمام جهاز معقد .. أبرز مافيه لوحة بلورية مستديرة معتمة . تكاد تشبه شاشة التليفزيون ..

وقال عبد القادر :

ـ إني لم أبصر بها سوى مسطح يلفه الضباب .. ثم خطوط متقاطعة .. مهتزة .

ورد عبد الخبير وهو يحرك مسمارا صغيرا .. ثم ينزع شيئا صغيرا في حجم رأس الدبوس :

ـ هذا الحجر يجعل حساسيته عجيبة ..

وضغط عبد الخبير أحد الأزرار ثم وضع الحجر الصغير في إحدى الفتحات ..

وبدت في اللوحة بعض نقط لامعة .. أخذت تكبر شيئا فشيئا ثم ظهرت خطوط معوجة متشابكة .

ومضت فترة كاد الملل يصيبهم .

ومد عبد الراضي عنقه وهويحركه فلم ير شيئا ثم هز رأسه قائلا في دهشة .

ـ لا أرى شيئا في هذا التليفزيون البايظ .. إن التليفزيون في قهوة عتريس ...

وزغده عبد اللطيف :

ـ عتريس إيه يا عبد الراضي .. هذا ليس تليفزيون .

ورد عبد الراضي في أسف :

ـ ياليته كان تلفزيون .. كنا تسلينا من الهم .

وفجأ بدأت الخطوط تختفي ثم ظهرت ظلال .. أخذت تتجسد رويدا رويدا .

وبعد لحظة بدا .. منظر عجيب ..

بدا في دقة وعمق .. وتجسد كأنه الحقيقة .

لم يكن مجرد صورة .. وإنما منظرا .. حيا .. مجسدا .. رائعا .. يبدو كل ما به في دقة ووضوح .. يكاد المرء ..أن يعيش داخله .. ويلمس كل مافيه ..

ولقد بدا عالم عجيب من الأشجار .. بعضها فارع الطول .. والآخر قصيرغليظ الجذع .. بعضها.. تبدو أوراقه رقيقة والأخرى شائكة .. بعضها زاحف .. والآخر متسلق .. وبدت الزهور بكل ألوانها تكسو قمم البعض .. والبعض الآخر تتهدل ثماره ..

وسمع صوت حفيف الأوراق .. في مهب النسيم ..

وأخذ الجميع يحملقون في المنظرالأخاذ .

وهتف عبد اللطيف في إعجاب :

ـ شيء .. كأنه الجنة .

وأخذ عبد المهيمن يحملق في المنظر ثم ردد في شرود :

ـ لست أرى شيئا يتحرك .

فقال عبد القادر :

ـ ولاأسمع صوتا.. سوى حفيف الأوراق .

ورد عبد الخبير :

ـ حتى العصافير.. لايسمع لها صوت .

وكانت شهيرة .. مازال بصرها مشدودا إلى المنظر وقالت تتمتم في ذهول :

ـ هذا ليس شجراً .

وتساءل عبد المهيمن :

ـ ماذا تعنين ؟

ـ إنه شيء أكثر من الشجر.

وقال عبد اللطيف :

ـ أنا أيضا أحس بهذا .

قال عبد المهيمن :

ـ عجيبة !

وعادت شهيرة تقول :

ـ أحس كأن في كل شجرة .. إنسانا .. مخلوقا يتنفس .. ويكاد يكون له عينان وأذنان .. وقلب يخفق .

وهز عبد الخبير رأسه :

ـ أنت على حق ..

وتساءل عبد المهيمن :

ـ ماذا تعني ؟

ـ أعني أني أحس بها شيئا أكثر من الأشجار.

وردد عبد اللطيف :

ـ بشر .. نباتي .. كأنه عالم مسحور.. تحول كل ما فيه من كائنات إلى أشجار .

وتساءل عبد القادر :

ـ أمعقول هذا ؟

وقال عبد الخبير:

ـ ألم تتحول الأشجار في الأرض إلى حجر .. ألاتسمع عن النباتات المتحجرة ؟

ـ أجل .

ـ قد يكون حدث هنا شيء مماثل .

وهتف عبد اللطيف صائحا :

ـ أجل .. كائنات متشجرة .

وهز عبد الراضي رأسه وغتم قائلا :

ـ عليه العوض .. جن الأستاذ مثلهم . إنى لا أرى شيئا أكثرمما أرى فى أم الشعور على النيل .. أو فى جناين القناطر..

وقال عبد الخبير مؤكدا :

ـ لايمكن أن تكون هذه مجرد .. أشجار .. إنها كائنات حية لها كل سمات البشر..

وقالت شهيرة وهى تحدق فى المنظر :

ـ هذه الشجرة الرقيقة التى تتمايل .. إنها أشبه بالمانيكان الجميلة .. إنها تكاد تبتسم .

وقال عبد اللطيف :

ـ وهذه الشجرة الغليظة الجذع الجرداء .. إنها أشبه ببلطجية السينما .

وقال عبد القادر :

ـ وهذه الصبارة تبدو أوراقها كحد السيف .. إنها تبدو كالمقاتل .

وحملق عبد الراضى فى الأشجار المتواصلة أمامه ثم هتف :

ـ وهذه الشجرة التى تزحف .. إنها كالحنش .

وقال عبد المهيمن وهويسمع تعليقاتهم :

ـ وبعدين .. ماذا يمكن أن يعنى كل هذا ؟

وقال عبد الخبير :

ـ إنه عالم من النبات .

ورد عبد اللطيف ضاحكا :

ـ رعبتنا .. أصبحت من الشجر .. جاء نقبنا على شونة .

وردد عبد القادر قوله فى ضيق :

ـ أجل .. ماذا يمكن أن نصنع بشعب من الأشجار ؟

وقال عبد الخبير :

ـ ولكنه ليس مجرد أشجار.. إنه كائنات حية .

ورد عبد المهيمن في حدة :

ـ وماذا نفعل به .. إنه شعب بلا مشاكل .. يضرب جذوره في الأرض .. ليتناول طعامه بغير عناء ويمد فروعه في الهواء ليلتقطَ شهيقه .. بلا مشقة . غذاؤه في الأرض المنبسطة يتوافر لكل طالب . وأنفاسه من الهواء الفسيح لا تحدها حوائل .. شعب بغيرأطماع .. في عالم ليس به مايثير الخلافات والأحقاد .

وقال عبد القادر متمتما :

ـ ماذا تفعل فيه الحكام أو الآلهة ؟

وقال عبد اللطيف ضاحكا :

ـ أجل شعب بلا مطالب ولامطامع .. ولاذنوب .. حتى الجنس عنده ـ مشكلة المشاكل ـ وأس الذنوب .. لاتسبب أية مشكلة .. إنه شيء لاوجود له ولا حاجة إليه .. يحمل النسيم حبوب اللقاح من الذكر إلى الأنثى .. فتتلقاها .. بلاحياء .. ولا عيب لتخصب .. وتنجب .. وتلقي بذورها في الأرض .. لتمتلىء ذرية .

وقال عبد الراضي مشاركا في الحديث :

ـ ذرية بلا متاعب .. ولا كسوة .. ولاطعام .. ولامدارس .. ولا أية مشاكل ..

وقال عبد القادر في جزع :

ـ مصيبة ! ..

وردد عبد المهيمن في يأس :

ـ ليس هناك مجال .. لسلطان عليه .. لن تكون هناك قيمة .. لقدرتنا على توجيه الإرادة فيه .. لأنه عالم بلا إرادة .. عالم تلقائي . كل مافيه

يسير بحتمية تلقائية .. لامجال للتدخل فيها .

وأطلق عبد الخبير تنهيدة وقال :

ـ على أية حال .. إذا لم يعجبكم ...

ورد عبد اللطيف متسائلا في سخرية :

ـ إذا لم يعجبنا .. ماذا سنفعل .. نبحث عن رعية أخرى في كوكب آخر ..

وقال عبد الخبير :

ـ لاأظن هذا بمستطاع .. بعد أن حلقنا في موقفنا هذا .

وتساءل عبد المهيمن في ضيق :

ـ إذن ماذا سنفعل إذا لم يعجبنا ؟

ـ نحاول تغييره

وهتف عبد القادر:

ـ نغيره .. من أين ؟

وقهقه عبد اللطيف قائلا :

ـ اختراع جديد في دنيا الحكم والسلطان .. في الأرض .. كان الشعب يغيرالحاكم عندما لايعجبه .. ونحن هنا .. سنغيرالشعب لأنه لم يعجبنا ..

وعاد عبد القادر يتساءل في إلحاح :

ـ نغيره .. من أين ؟

وقال عبد الراضي ببساطة :

ـ من بياع الشعوب ..

ونظرت شهيرة إلي عبد اللطيف وتمتمت في شيء من الجزع :

ـ ما هذا التخريف .. إننا نتحدث كالمجانين .. هل تظن الصدمة قد فعلت بعقلنا شيئا ؟

وأجاب عبد اللطيف مؤكدا :

ـ لو أنها فعلت بعقلنا شيئا .. لغيرته إلى أفضل .. لأننا منذ أن انطلقنا إلى الفضاء .. ونحن لم نفعل شيئا يدل على العقل .. وكل مانفعله الآن إنما هواستطراد طبيعي لمابدأنا .

ثم نظر إلى عبد الخبير وقال مؤمنا على حديثه باقتناع كامل :

ـ إذن فقد قررنا أن نغير رعيتنا النباتية السخيفة .. وعزمنا على أن نبدل شعب الشجر الأحمق الغبي .. الذي يعيش بلا احتياجات ولاخلافات ولامشاكل .. ولاأحقاد .. تمنحنا فرصة السيادة عليه .. والتحكم في شئونه .. وفض مشاكله .. وسد حاجاته .

وقال عبد الخبير وهو يشير إلى عبد المهيمن وعبد القادر وكأنه يدرأ التهمة عن نفسه :

ـ هم الذين يريدون ذلك .

ـ وأنت قادر عليه ؟

ـ سأحاول .

ـ تحاول تغيير شعب بأكمله ..

وضرب عبد الراضي كفا بكف قائلا في دهشة :

ـ والله ولا الحواة ..

وعاد عبد المهيمن يتساءل في إلحاح :

ـ من أين ستغيره ؟

وهز عبد الخبير رأسه مستنكرا :

ـ من أين أغيره .. هل تظنون هناك مصرف لتغيير الشعوب ..

وقالت شهيرة في دهشة :

ـ ألم تقل أنت نفسك أنك ستغيره .

ـ أجل .. قلت .. ولكنني عنيت بتغييره .. أنني سأحاول أن أغير طبيعته .. ولم أقصد أن أستبدل به شعبا آخر .

وتساءل عبد اللطيف :

ـ ستغير طبيعته ..

ـ سأحاول ..

ـ كيف ؟ !!

ـ إلى عالم بشرى .

ـ هل تستطيع أن تمنحه الحياة ؟

ـ الحياة كامنة فيه .. إنه عالم حى .. ولايحتاج لكى يصبح عاملا بشريا إلا أن يمنح صفات البشر.

وهزت شهيرة رأسها فى دهشة :

ـ كل صفات البشر .. تمنحها لهذه الأشجار؟

وتمتم عبد المهيمن فى حيرة :

ـ كل هذا الشجر .. يمنح صفات البشر ؟.

ـ يبدو لى أن خلق عالم من البشر. أسهل كثيرا .

وهمس عبد الراضى :

ـ أجل .. مجرد نومة .. يعقبها ..حمل .. وولادة .. وتملأ الذرية الأرض .. ويخلق عالم من البشر.

وقال عبد اللطيف موجها القول إلى عبد الخبير محاولا الاستفسار :

ـ أتنوى أن تضع كل صفات البشر فى كل شجرة ؟

ورد عبد الخبير فى تؤدة :

ـ صفات البشر الأساسية .. سنبعثها فى عالم الشجر .

وتساءل عبد المهيمن :

ـ صفات البشر الأساسية ؟!

ـ أجل ..

ـ مثل ؟

ـ شهوة الطعام .. من أجل البقاء ..

ـ ثم ماذا ؟

ـ شهوة الجنس .. من أجل التكاثر .

ورد عبد الراضى فى اقتناع :

ـ معقول ..

وارتفعت الأصوات من حول عبد الخبير متسائلة :

ـ ثم ماذا ؟.

ـ شهوة الطموح والتميز .. من أجل التطور والتقدم .

ـ ثم ماذا ؟.

ـ فقط .. هذه هى المميزات الأساسية الثلاث للبشر.. لوأننا أشعناها فى هذا العالم الشجرى .. لدبت فيه الحركة وقام الصراع .. وبدأت المشاكل والخلافات .. ولأصبح لكم مكان بينهم .. أو على رأسهم .. تتسلون بغباوتهم وتمارسون توجيههم .

وبدا الانشراح على وجه عبد المهيمن وهتف به :

ـ أيمكن أن يحدث هذا ؟

وقال عبد اللطيف وهو يهز رأسه مستسلما :

ـ ويتحول هذا الشجر الضارب بجذوره فى الأرض يأكل ويتنفس فى غير مبالاة .. إلى بشر يتطاحنون ويتصارعون من أجل لهفة القمة.. ورغبة الجنس .. ومتعة البروز من القطيع .. وتبدأ المشاكل والمتاعب والمصائب .

وبدت النشوة فى وجه عبد القادر وتمتم :

ـ ويصبح للحكم معنى وللسلطان طعم .

وبدت المسألة تتعقد فى ذهن عبد الراضى :

هذا الحديث عن تغيير الشعب .. كأنه جلباب ثم منح الشجر مزايا البشر ..

استطعام الأكل .. واستمتاع الجنس .. وشىء آخر لايهمه كثيرا ولايجد فيه أية مزية .

وبعد ذلك يتصارعون .. ويتطاحنون .

ويصبح للحكم معنى وللسلطان طعم .

أيتحدثون حقا ؟

أقد آن الأوان .. لكى تصبح ياعبد الراضى من هيئة الحكام .. وأبوك لم يحلم مرة بأن يكون عمدة .. أو حتى شيخ خفر.

حقيقة أنك أضحيت عضو مجلس إدارة .. ذات مرة .

وقد يعتبرفى عرف البعض .. هيئة من الهيئات الحاكمة .

حاكمة .. ولو على مجلة الزمان .

ولكنه كان حكم الندامة .

وصدق عليه قول القائل .. الحكم بهدلة .. كالعز بهدلة .. بهدلة داخل المجلس .. وبهدلة أكثرخارجه ..

ولكن الحكم الآن يبدو شيئا أكبر.. وأخطر .

ـ تحكم على شعب بحاله ..

قد يكون الآن .. شعبا من الشجر ..

وقد لايزيد حاكمه على مجرد جناينى ..

ولكنهم يتحدثون عن تغييره .. وتحويله إلى شعب من البشر .. أوالغجر .. يتضاربون .. ويتعاركون .. يلعن كل منهم سنسفيل أجداد الآخر.. فى سباقهم من أجل اللقمة .. والمرأة .. ولكى يصبح كل منهم .. فتطا على الآخر.

ويحتاج الأمر .. إلى بوليس ومحكمة .. وحكومة .. وحكم .. وسلطان ..

وكما فهم أن الجماعة بما فيهم هو .. سيمارسون كل هذا .. من فوق .. من السما .. دون أن يتنازلوا .. بالنزول .. إلى الرعية ..

والمفهوم أن سبب بقائهم فى السماء هوعجزهم عن النزول إلى الأرض ..

ولكن الرعية .. لن تفهم هذا.

بل ستأخذه . كمظهر للألوهية .

ملك ياعبد الراضي .. ينظمه أنت وزملاؤك .

لم يطف بخاطر واحد من أهلك منذ أن هبط جدك الأكبرالشيخ عبد الراضي .. إلى هذه الأرض .

ولكنه حصل الآن .. لحفيده الصغير الغلبان .. عبد الراضي العتال .

سبحان المعطي ..

أعطى بلاحساب ..

وجعلك فوق .. فوق .. ياعبد الراضي .

ومن أسفلك الرعية .. تحت .. تحت .

ونظر عبد الراضي .. إلى الجماعة وقال وهو يهز رأسه في ثقة :

ـ ومتى سنحكم ؟..

وضحك عبد اللطيف ورد قائلا :

ـ صبرك ياعبد الراضي .. لابد أن يتحول شعب الشجر إلى شعب الغجر .. ويتعاركون .. ويتصارعون .

ونظر عبد الراضي إلى عبد الخبير قائلا :

ـ طب ما تشهلونا شوية .. قبل ما ينتهي الشهر.

وهز عبد اللطيف رأسه وأردف ساخرا :

ـ وقبل أن تموت الآلهة جوعا ..

١٥ ـ عسكرى مرور

بدأ عبد الخبير عمليته الخطيرة .. فى استخدام العقل الإلكترونى والإشعاعات الكونية فى تحويل عالم الشجر إلى عالم بشرى .

ومضت فترة ترقب وانتظار انتابت فيها جماعة السفينة شتى المشاعر والانفعالات .. بعضهم استلقى فى استرخاء ولامبالاة .. والبعض شدت أعصابه فى قلق وتوتر..

لم يأبه البعض فى أن يقضى خاتمة حياته .. متسكعا فى الفضاء .. أو حاكما يسيطر على مقادير كوكب بأكمله .

ترقب عبد الراضى التجربة .. كما يترقب لعبة لأحد الحواة .. يشارك فيها مشاركة واحد من الجمهور صعد إلى المسرح ليكون مع الحاوى طرفا فى اللعبة .. فهو يساهم فيها متفرجا.. يشارك فى لعبة لايدرى شيئا عن أسلوبها .. أو نتائجها .

واستلقى عبد اللطيف فى غيراكتراث ينتظر ماتسفر عنه المغامرة .. غير المعقولة .. بإحساس المستسلم الذى لا يملك إلا أن يقبل ما ليس منه بد، دون أن يستطيع أن يحدد لنفسه موقفا بالتأييد أو الرفض .. والرضا أو السخط .

إن مصيره قد تقرر فى هذا الفضاء الفسيح .. وسواء نجحت التجربة أم لم تنجح .. وسواء ظل عبدا أو حاكما أو نصف إله .. فمصيره قد تحدد ولم يعد يرجو من الحياة سوى مايرجوه ضال فقد كل سبل الحياة .

ومع ذلك فهو حائر بين طرافة التجربة .. وبين الخوف مما يمكن أن ينتج عنها .. من إثارة فتنة فى عالم ساكن هادىء .. ينعم بالاستقرار والسلام

ليتحول إلى عالم متلاطم بالصراع والأحقاد والخلافات .

وبدت شهيرة قلقة حائرة .. تضطرب فى نفسها الأحاسيس وتتقاذفها المشاعر والانفعالات .

أحقا حلت النهاية .. وبات عليهم أن يظلوا قابعين .. يلعقون مافى الأنابيب حتى يلاقوا حتفهم ؟.

أتبقى حبيسة السفينة .. مقضيا عليها بالموت .. أم تخرج هائمة .. مع بقية المغامرين .. يهيمون فى الفراغ حتى تجذبهم الأرض الجديدة .. فيهووا عليها .. حطاما .

وهذه التجربة التى يحاولون ممارستها.. تجربة السيطرة على الكوكب من السفينة .. وتحويل أهله من شجر إلى بشر .. والعصف بكل مايسوده من سكينة وسلام .

إنها تجربة غير معقولة ..

لو أنها نجحت .. لأصبحت مادة للنشر لم تتوفر لأى بشر. هل استطاع بشر أن يحكم كوكبا ؟.

يحكمه .. من عل .. وكأنه إله .. يسيطرعلى أمره ويتحكم فى مصيره؟

ولكن مافائدة كل هذا .. إذا لم تتح لها فرصة النزول إلى الأرض .

ما قيمة أى شيء حتى الألوهية .. إذا كان قد حكم على الآلهة بالموت بعد ثلاثين يوما .

وماذا يمكن أن يفعلوا خلال هذه الفترة التى لاتزيد على إجازة صيف .

ماجدوى .. أمل .. يقبع الموت ببابه .. ينشر ظلاله على إشراقته .. يطوى شعاعه .. ويعتم طريقه .

كل مايمكن أن تحصل عليه .. ستردة بعد أيام ..

ستفقده .. كأن لم يكن ..

حتى الذكرى .. والشهرة .. والمجد والاستشهاد والخلود .. وكل

مايعزى عن الموت فى الأرض .. أريغرى به .. لن يكون لها من نصيب ..

فستضيع فى الفراغ .. ستتبدد هباء .. دون أن يحس أحد بما فعلت .. أو يذكر ما حققت .

ولكن أي شيء سيتحقق ؟.

السلطان على أهل الكوكب ؟!!

وأى متعة فى هذا .. إذا كان أحد منهم لن يراها .. أو يعجب بها .. أو يمنحها الثناء والتقدير .

ولكنهم سيمنحونها التقدير والحمد ..

من حقها كإلهة .. أن تطالب الرعية به ..

وهبهم منحوها إياه ..

أية لذة فيه .. وهى تتلقاه على بعد .. دون أن تتيه به .. وتزهو وتتخايل ..

وهل من حقها التخايل والزهو ؟.

المفروض أن الآلهة .. فوق هذه المشاعر البشرية .

ولكن أية قيمة لكل ما تفعل إذا لم يكن من حقها الزهو به .

لاتبدو التجربة ممتعة .. على كل ما فيها من إثارة .. وروعة . ومع ذلك فليس أمامها إلا أن تخوضها .

وإذا كان على المرء أن يختار أن يكون إلها لبعض الوقت .. أو ضحية تنتظر الموت فى استسلام .

فمن الحمق .. أن يرفض الألوهية ..

وبين غرفة العمليات والمراقبة كان النصف العامل من طاقم السفينة منهمكا فى محاولة التغيير.. من أجل تطويرعالم الشجر إلى عالم بشرى ..

لكى تصبح عملية السلطان والسيطرة والتوجيه .. شيئا له قيمة .

وكانت الأعصاب متوترة .. والأبصار مشدودة إلى لوحة المراقبة . والأصابع تتبادل الضغط على الأزرار .

وفى الأذهان كانت تدور الأفكار القلقة .. والخواطر الحائرة . تتقلب في الرءوس برهة .. ثم تنطلق بين الثلاثة فى كلمات متسائلة وردود مقتضبة .. أقرب إلى الاستفسار منها إلى الإجابة .

تساءل عبد المهيمن وعيناه تحدقان فى الأشجارالمتكاثفة .. تهتز أوراقها .. وتتمايل أغصانها .. ويسمع منها حفيف ووشوشة ..

ـ يبدو كأن أغصانا أخذت .. تتحرك ..

وأردفه عبد القادر :

ـ وتتهامس ..

وقال عبد الخبير وهويرقب المنظر المجسد .. وقد بدا من فرط مابه من تفاصيل ودقائق كأنه شيء ملموس محسوس .

ـ ليس بعد .. إنها حركة النسيم يتخلل الأوراق .

وثبت عبد القادر بصره على شجرة تهدلت غصونها حتى بدت كالشعر المسترسل .. وأحس بين الغصون المتهدلة كأن وجها رقيقا يرقبه وهتف مأخوذا :

ـ إنها تحدق فى .. عندما ينزاح الشعر عن جبينها .. ويبدو وجهها أخاذا ..

وقال عبد المهيمن :

ـ إنها تسميها فى الأرض دموع الست .. إنها توجد على شاطىء النيل وعلى حافة الترع .. وتتساقط فروعها فى الماء .

وعاد عبد القادر يهتف فى دهشة :

ـ وهذه الشجرة الطويلة الرفيعة .. إنها تكاد تقف وقفة المانيكان .. إنها قطعا تتحرك .

ورد عبد الخبير وهو منهمك فى فحص أحد المؤشرات :

ـ كفى خيالات .. إن الكوكب مازال كما هو.. لم يتغير به شيء ..

وتساءل عبد المهيمن فى يأس :

ـ وهل تتوقع أن يتغير فيه شيء ؟

ـ أعتقد هذا ..

ـ كيف ؟

ـ عندما تصل إليه أولى صفات البشرية .

ـ تقصد شهوة الطعام ؟.

ـ أجل لن تقبع المخلوقات في انتظاره .. بل ستتحرك إليه .. تبحث عنه وتتصارع من أجله .. ستنتزعه من بطن الأرض .. وجوف الماء .. وتلتقطه من الهواء .. لن تكون عملية البقاء .. مجرد قبول .. ورضاء .. بل ستتحول إلى رغبة وفرض .. ستفرض بقاء الحياة .. لهفة الكائنات إلى الطعام .. ولو لم توجد هذه اللهفة .. لأصبح البقاء .. مجرد فرصة . تأتى أو لاتأتى .. يبقى الكائن أو لايبقى .. هذا ليس من شأنه .. ليس بداخله مايدفعه .. إلى انتزاع وسيلة البقاء .. وإلى فرض فرصته .. حتى على حساب الغير .. بحيث يبدأ تنازع البقاء والتصارع من أجله .

وأخذ عبد المهيمن يحدق في اللوحة العجيبة ويحاول أن يلتقط همسة بشرية .. من العالم الهادىء المستسلم الذى تتمايل أغصانه في استسلام .. وتتهامس بالوشوشة .. والحفيف .

وفجأة .. سمعت فرقعة ..غطت على صوت الحفيف والوشوشة .

وصاح عبد الخبير وهو يحدق في اللوحة :

ـ أتسمعون ..

وهمس عبد المهيمن وعبد القادر :

ـ ماذا ؟

ـ أصوات جذور تنخلع .. لقد بدأ التحول .

وصاح عبد القادر :

ـ أجل.. أجل .. إنهم يتحركون .. أخرجت الأشجارجذورها من باطن الأرض .. وحركت فروعها .. وتدافعت ..

وقال عبد المهيمن :

ـ إنها تتصادم ..

وأقبل عبد اللطيف وشهيرة وراءهما عبد الراضى .. على صوت الصياح والضجيج .

وهتفت شهيرة متسائلة :

ـ ماذا حدث ؟

وقال عبد المهيمن :

ـ تحرك الشجر ..

وقال عبد اللطيف :

ـ غير معقول .

ورد عبد القادر :

ـ تعال وانظر .

ونظر عبد اللطيف إلى الشاشة الصغيرة .. وهتف جزعا :

ـ يا ساتر ..

وقالت شهيرة وهى تنظر إلى المنظر مرتاعة :

ـ ماذا حدث .. لماذا يتصادمون هكذا .. إن البعض يطوى البعض .. ويلطمه .. ويدهسه .. لماذا يفعلون هكذا ؟

وقال عبد الخبير :

ـ إنها بداية الحركة .. من أجل البحث عن الطعام .

ـ تحولت الجذور إلى سيقان .

ـ والغصون إلى أذرع ..

ـ والجذوع إلى أجساد ..

ـ والأوراق إلى شعور .

ـ بدت معالم الوجوه فى قمة الجذوع .

وقال عبد القادر :

ـ إنهم يتطاحنون ..

ورد عبد المهيمن :

ـ أجل .. يجب أن نفعل شيئا .. قبل أن يدمربعضهم البعض .

وأردف عبد القادر في جزع :

ـ ولا يبقى لنا منهم شيء نحميه .

ونظر عبد اللطيف إلى حركة الشجرالمتطاحنة وكأن إعصارا مخيفا قد اقتلع كل شيء من موضعه .. وبدا الكون بحرا متلاطما عصفت الريح بكل مابه .. ولم يعد يبدو هناك سوى ضربات ولطمات .. وتمتم في أسى :

ـ لماذا فعلنا كل هذا .. لماذا لم نترك الكوكب يتمتع بالدعة والأمن والسلامة ؟.

وهز عبد الراضي رأسه متسائلا وهوينظر إلى الشجر المتلاطم :

ـ ماذا حدث .. مالنا ولكل هذا ؟

وعاد عبد المهيمن يقول في إلحاح :

ـ يجب أن نفعل شيئا .. يجب أن نبدأ عملنا فورا .

وقال عبد الخبير في هدوء :

ـ لن نستطيع أن نفعل الآن شيئا ..

وتساءل عبد القادر :

ـ ومتى سنفعل ؟

وهز عبد الراضي رأسه وقال ساخرا :

ـ بعد خراب مالطة .

وقال عبد الخبير في هدوء :

ـ لن تخرب مالطة ..

ـ بعد كل هذا ؟

ـ لن يلبث الهدوء أن يسود .. سيستقر كل شيء في موضعه .. بعد أن يحصل كل على ماتمنحه قدرته ..

ـ وإذا دمركل شيء .. إذا لم يبق على ظهر الكوكب مخلوق ؟

ـ بل سيبقى الأقوى .. والأقدر على انتزاع وسيلة الحياة ..

ـ وماذ سنفعل بعد هذا ؟

ـ نبدأ تنظيم الكون .

وقال عبد اللطيف :

ـ إذن فلنجلس حتى نتشاور.. ونتدارس .. ونخطط .. ونوزع العمل .

ونظر عبد القادر إلى عبد المهيمن ثم قال :

ـ إن الكابتن سيدرس الأمر. ويعطى كلا منا واجبه .. الذى يتحتم عليه أداؤه .. فى إدارة الكوكب ..

وقال عبد المهيمن معترضا :

ـ بل الأفضل .. أن نجلس .. ونتشاور.. ويدلى كل منا برأيه .

وقال عبد اللطيف ضاحكا :

ـ وبعد أن يدلى كل منا برأيه .. نختار رأى الكابتن .

ورد عبد المهيمن فى رفق :

ـ بل نختار الأفضل ..

وقال عبد القادر :

ـ هيا بنا.

وتردد عبد المهيمن برهة وهوينظر إلى الكون المتلاطم من خلال الشاشة الصغيرة وقال فى قلق :

ـ ونتركهم هكذا ؟

ورد عبد الخبير مؤكدا :

ـ لاتخش شيئا .. كل شيء سيستقر.. فى الوضع الذى لامناص منه .. والذى يفرضه .. صراع القوى البدائية .. ونزاع القدرات من أجل البقاء .. مجرد البقاء .

واستقر الجماعة حول المنضدة .

وقال عبد المهيمن :

ـ بدأت مسئوليتنا عن الكوكب .. ولابد أن نتحملها من الآن كاملة .

وتساءل عبد اللطيف :

ـ مسئوليتنا عن أي شيء فيه ؟

ـ عن الحياة .. وعن البشر.

ـ إلى متى ؟

ورد عبد الراضي ببساطة :

ـ إلى أن نموت ..

ـ أجل .

ـ شهر !! .. ماذا تعني مدة شهر في حياة البشرية .. إنها غمضة عين ..

وقال عبد الراضي :

ـ بين قبضة شهر .. وقبضة شهرآخر.. يعني فركة كعب .. لايستطيع المرء حتى أن يسدد ديونه .

ـ ولا أن ينجب .

ـ لن نعرف حتى إذا كان التكاثر قد بدأ .. ونطمئن على استمرار الوجود .

ـ ستترك الإناث حاملات في شهر .

وردت شهيرة :

ـ بل لن نعرف حتى .. إذا كن حاملات .. وإذا كان الجيل التالي .. قد وجد فعلا .

وقال عبد الخبير في ثقة :

ـ بل سيكون الشهر كافيا لأشياء كثيرة :

وتساءلت شهيرة :

ـ كيف ؟

ـ هناك اختلاف كبير فى حساب الزمن بين الأرض والكواكب .

وهز عبد اللطيف رأسه متسائلا :

ـ يعنى ماذا تفرق عن الأرض ؟ .. بضع ساعات ؟ .

وقال عبد الخبير :

ـ بل قل بضعة قرون .

ـ غيرمعقول .

ـ إن الحساب التقريبى لنسب الزمن يكاد يحدد بساعة فى الأرض لكل سنة في الكوكب .

ـ ساعة لكل سنة ؟

ـ أجل .

ـ تعنى أن مدة الحمل عندهم ساعة إلاربعا ؟

ـ تقريبا .

وهز عبد الراضى رأسه وهمس لعبد اللطيف :

ـ سامع ياأستاذ .. الجماعة تجلوا .. كنت أظننى صاحب الكيف الوحيد هنا .. ولكن أقسم الآن أن الجماعة أسطوات فى الكار .. سلهم وحياة والدك .. أى صنف يتعاطون .. تصور مدة الحمل ساعة إلاربعا .

ـ إن آخرما استطاع أن يصل إليه ذهننا فى الأرض .. هى النكتة التى أطلقت على أحد الزعماء أنه قال فى خطاب العرش « وستحاول حكومتى جاهدة زيادة النسل فى البلاد .. وذلك بتقليل مدة الحمل إلى ستة أشهر » ..

رد عبد الراضى :

ـ ستة أشهر مقبولة .. ولكن ساعة إلا ربعا ؟! .. يعنى يستيقظ المرء فى الصباح ليجد فى حضنه دستة أولاد .

وكان عبد المهيمن يتهامس هو وعبد القادرفى اهتمام شديد ثم نظر عبد المهيمن إلى عبد الخبير قائلا :

ـ أواثق أنت من هذا ؟

ـ أجل ..

ـ يعنى هذا أن يومنا بأربعة وعشرين عاما عندهم ؟

وهز عبد الخبير رأسه موافقا .

وعاد عبد القادر يتساءل :

ـ وشهرنا بسبعمائة وعشرين عاما .

وتمتم عبد المهيمن قائلا :

ـ يعنى أننا سنحكم سبعة قرون .

وقال عبد اللطيف فى دهشة :

ـ سبعة قرون !! .. إن حكمنا سيفوق أى حكم لأية إمبراطورية فى تاريخ الأرض ..

وقالت شهيرة وهى تهز رأسها فى حيرة :

ـ ولكننا لن نستطيع أن نعيش أكثر من شهر.

ـ لايهمنا الوقت الذى سنعيشه . وإنما المهم هوالوقت الذى سنحكمه .. إن حساب الزمن سنأخذه من أسفل .. من عمر الرعية التى نحميها ..

وقال عبد الخبير :

ـ إذا حسبنا معدل العمربسبعين عاما فإن هذا يعنى أننا سنحكم عشرة أجيال .

وتساءل عبد اللطيف :

ـ سبعين عاما .. تعنى عندنا سبعين ساعة .. أى ثلاثة أيام تصوروا .. يولد الإنسان . ويكبر .. ويصبح شاب ويتزوج وينجب .. ويمر بدورالكهولة .. فالشيخوخة .. ثم يموت .. كل هذا فى ثلاثة أيام .. أى عمر هذا ؟

ورد عبد الخبير :

ـ إنه سيعيش حياته كاملة كما نعيش حياتنا .. إنه سيقضى فعلا

سبعين عاما .. ولكنها ستمربالنسبة لنا فى ثلاثة أيام .

وتساءلت شهيرة :

ـ وكيف سنراه نحن ؟

ـ سنراه ينمو بسرعة . فى كل دقيقة يكبر ستة أيام .. فى ستين دقيقة سيكون قد كبر عاما بأكمله .

وهز عبد الراضى رأسه وتمتم قائلا فى جزع :

ـ مصيبة .. لايكاد الإنسان يلاحق نمو الأولاد بالملابس والأحذية عاما بعد عام .. وفى آخر العام .. تكون الجزمة قد ضاقت .. والآن يصبح علينا أن تشترى لهم حذاء كل ساعة .

وهمس به عبد اللطيف قائلا :

ـ أية أحذية ياعبد الراضى ؟

ـ ألن نصبح مسئولين عنهم كما قال الكابتن ؟

ـ ولكننا لن نلبسهم أحذية .

ـ أسنتركهم حفاة ؟

ـ حفاة .. أم عراة .. ليفعلوا ما يحلو لهم .

ـ إذن لن نكون مسئولين عنهم .

وتساءل عبد المهيمن محاولا أن يسكت المناقشة الجانبية :

ـ ما بالكما ؟

وقال عبد الراضى :

ـ كنت أظننا مسئولين كما قلت عن الأهالى .

ـ أى أهالى ؟

ـ الذين تحت .

ـ مالهم ؟

ـ هل نحن مسئولون عنهم أم لا ؟

ـ طبعا مسئولون .

ـ أستلبسهم أحذية أم لا ؟

وبدت الحيرة على عبد المهيمن وتساءل :

ـ أحذية ؟

ـ أجل .

ـ هذه مسألة نفكرفيها بعدين .

ـ هل سنتركهم حفاة . كما تركنا الحكام فى الأرض ؟

ـ طبعا لا .

ـ إذن لابد لهم من أحذية .

ـ أعتقد هذا .

ـ كل ساعة؟

ـ ماذا تعنى بكل ساعة ؟

ـ لأن مقاسهم سيتغيركل ساعة .. سيكبرون عاما بحسابهم .. ويصبح كل منهم فى حاجة إلى حذاء جديد .

وبدت الحيرة على وجه عبد المهيمن .

معقول أن لانترك الرعية .. حافية بلا حذاء .

ومعقول أن تضيق بهم الأحذية .

ولكن أن يغيروا الحذاء كل ساعة .. أمر غير معقول ..

ولم يكن من المعقول أيضا أن ترتبك الآلهة .. فى أول مشكلة تتعرض لها .. رغم ما بها من تفاهة ..

فالمفروض أن تبدأ الحكم بمشاكل أعوص .. بحيث تبدو هيئة الحكم معذورة إذا عجزت عن حلها ..

أما أن تحتار فى أحذية الرعية .. فهو أمر غير مشرف للهيئة .

ولم يجد عبد المهيمن خيرا من الكلفتة . فرد على عبد الراضى فى شىء من عدم الاكتراث :

ـ مسألة الأحذية هذه .. ليست مشكلة .. إنما سندبرها بعدين .. و..

وقال عبد القادر فى كبرياء :

ـ نحن هنا أكبرمن حكام .. إننا فى مصاف الآلهة .. ومن غيرالمعقول .. أن نشغل أنفسنا .. بهذه المسائل التافهة .. كالجزم والشباشب .. هذه أشياء ستحل نفسها بنفسها ..

وقال عبد اللطيف مستطردا :

ـ على رأيك .. مسألة الأحذية هذه .. لاتشكل معضلة .. ولكن المعضلة هى أسلوب الحكم الذى سنمارسه فى الرعية .. ومدى مسئوليتنا عنها .

وقال عبد الخبير:

ـ بمقياس الألوهية .. نحن مسئولون عن كل ما تفعل .. إننا نحن الذين نرسم خطاها .. ونقرر مصائرها .. ونحدد لها كل ماتفعله .

وتساءل عبداللطيف :

ـ نحن سنفعل هذا ؟

ـ المفروض .

ـ وكيف ؟

ـ بالسيطرة والتوجيه .

ـ أتعنى أننا مسئولون .. عن توجيه كل فرد .. ورسم خطاه .. وتقريرمصيره .. وتحديد كل ما سيفعل قبل أن يفعله .

ـ هذا هوالمفروض .

ـ هذا يحتاج إلى هيئة هائلة .. من المخططين والموجهين .. يحتاج إلى جيش من الموظفين ..

ـ وجيش الموظفين .. يحتاج إلى جيش آخر لخدمته .. مستخدمين .. وحسابات .. وأرشيف .. ويصبح شغلنا الشاغل .. هو جيش الموظفين .. بترقياتهم وعلاواتهم .. وتظلماتهم .. وزوغانهم من العمل .. و ..

ـ وعلى الكوكب وأهله العوض ..

ـ إذن ماالعمل ؟

وقال عبد الخبير:

ـ إننا نملك القدرة على السيطرة والتوجيه .

وقال عبد المهيمن :

ـ والمفروض أن نستعملها ..

وقال عبد القادر :

ـ وإلا كنا كعدمنا .. ولأصبح الكوكب فوضى .

وقال عبد اللطيف :

ـ نستعملها في توجيه كل فرد .. هذا غيرمعقول ..

ـ إذن ماذا تقترح ؟

ـ المفروض أن كل مخلوق توجهه .. حصيلة القوى المركبة له .. إن الكائن الحى .. مجموعة عناصرتتفاعل فى داخله .. وحركته فى أى اتجاه .. هى نتيجة تفاعل هذه العناصر .. ولا أظننا سنحتاج لأى جهد لكى نحرك المخلوقات .. فالصراع بين قوى الذهن والنفس والبدن .. التى تختلف نسب تركيبها من مخلوق إلى مخلوق .. هو الذى يوجه حركتها .. ويحدد مصيرها .

ـ وماذ سنملك نحن .. إذا كانت حركة كل مخلوق تحددها نسبة تركيب العناصر التى تكونه .. وقد وجدت فعلا .. وأضحى هونفسه كبداية .. يحددها هو.. ولكنه لايملك الاستمرار..

ـ لماذا ؟

ـ لأنه لايتحرك وحده فى الكون .. ولكنه يتحرك مع مجموعة هائلة من المخلوقات .. التى تتعارض حركتها بعضها مع بعض .. ككرات البلياردو .. تتصادم فتتغيركل منها اتجاه الأخرى .

ـ أهذه هى الصدفة أوالحظ أو القدر؟

ـ سمه ما تشاء .. إنها تعارض حركة مخلوق يسير بتركيبه الذاتى مع

حركة مخلوق آخر يسير بتركيبته الذاتى هو الآخر ويسعى لتحقيق هدفه بإرادة هذا التركيب . وقد يصطدم خلال حركته بالمخلوق الأول فيتغيراتجاهه بلا وعى ولاقصد .

ـ كيف ؟

ـ فى الأرض يبدأ المخلوق حركته نتيجة صراع بين ذهنه وجسده .. بين إرادة توقف النزوة .. ورغبة فى النزوة .. بين مشقة تفرضها الإرادة .. ومتعة يرتاح إليها الجسد .. وتبدأ الحركة .. حركة إرادية نتيجة صراع بين عنصرين فى داخله .. حتى تصطدم بمعارضة خارجة .. مقصودة أوغير مقصودة .. ولكنها نتيجة صراع .. عناصر فى داخل جسم آخر . يخرج المخلوق . قاصدا اتجاها .. بإرادته .. فيتقابل مع مخلوق آخر يسير بإرادته فى اتجاه مضاد .. بعربة مثلا.. قد تصرع المخلوق الأول .. فتوقف حركته .. أوتحمله فتعجل بها .. قدر .. عطله .. أو ساعده !! صدفة .. لم يقصدها مخلوق آخر.. وإنما هو مجرد تقاطع .. أو تصادم .. أو تقابل .. يشكل .. الإرادة الأخرى التى تحرك المخلوقات .. إرادة القدر أو الحظ .

وساد الصمت برهة واستغرق كل منهم فى تفكيره الخاص .

وتساءل عبد المهيمن وقد بدا عليه الشرود :

ـ ماذا إذن نملك نحن .. بين إرادة الفرد ويحددها تركيبه الذى أوجده الخالق فيه .. وبين .. إرادة لاتعارض مع حركة مخلوقات .. فى كون .. لايوجد به المخلوق وحده .

مسئولا بمجرد وجوده بهذا التركيب المحدد عن حركته نتيجة الصراع المستمر بين هذه المركبات فى داخله ؟

ـ معنى هذا أن يحدد كل مخلوق حركته ويحدد مصيره . بإرادة تركيبه الذاتى .

ورد عبد اللطيف :

ـ إننا نستطيع أن نراقب .. وأن نضع القواعد .. لتنظيم حركة

المخلوقات .. ومنع التصادمات الكبرى .

وقال عبد الراضى :

ـ تقصد كعسكرى مرور ؟

وهز عبد اللطيف رأسه وأجاب ضاحكا :

ـ شيء كهذا ..

وهز عبد الراضى رأسه قائلا فى حسرة :

ـ ياخسارتك ياعبد الراضى .. دائما .. موكوس .. حتى فى السماء .. سنحت الفرصة لتكون إلها .. ورسيت فى النهاية على عسكرى مرور .. قسمتك !!

١٦ ـ حل رجالى

بدأ حكم السفينة للكون الجديد ..

ولم تبد المسألة تحتاج إلى مهارة كبيرة ..

لم يكن هناك مطلب للرعية سوى الطعام .. ولم يبد الطعام مشكلة معقدة .. فقد توافر الطعام لكل حسب قدرته فى الحصول عليه .. .. وانتزعت القوة لأصحابها ما احتاجوا إليه من الطعام .. أكل القوى الضعيف .. واقتات الضعيف بما لايحتاج إلى قوة لانتزاعه .

وأخذت الجماعة تشاهد الحياة الجديدة .. مأخوذين وكأنهم سياح .. يرقبون أحد مشاهد الأدغال . وهتفت شهيرة وهى ترقب الصراع البدائى من أجل اللقمة :

ـ شىء فظيع ..

وتمتم عبد اللطيف :

ـ إنه أبسط مظاهر الصراع .. صورة بدائية لما يحدث فى عالمنا المتحضر..

ـ يأكل بعضهم بعضا ؟!

ـ ولكى يجد طعامه .. من أجل أن يحيا .

ـ ويموت الآخرون ؟

ـ لأجل بقاء غيرهم ..

ـ أحتم على الحياة أن تبعث من الفناء ؟..

ـ بقاء البعض مستمد من فناء البعض الآخر.

ـ أسلوب بشع للبقاء .

ـ ألا يشكل جسد الخروف وليمة للإنسان ؟

ـ لأنه خروف .

ـ أمن حق الإنسان وحده أن يستبيح حياة الآخرين لبقائه ؟

ـ إنه يرى حياته أقيم ما في الوجود .. إنه وحده صاحب الحق في الحياة .. وبقية الأحياء مسخرون لبقائه .

ـ وهم كاذب .. إنه قطرة في بحرالوجود .. إنه ـ عما مابينه من صراع ـ يشكل طرفا ضئيلا في الصراع الكوني .. تميزه القدرة على التفكير .. لقد أصبح ذهنه أمضى أسلحة الصراع الكوني .

ونظر عبد اللطيف إلى عبد الراضي وقد بدا كأنه منصت إلى المناقشة :

ـ والا إيه يا عبد الراضي ؟!

ورد عبد الراضي في موافقة مستسلمة :

ـ إيه ؟.

وسألته شهيرة :

ـ يعني موافق ..

ـ على ماذا ؟

ـ ألم تسمع المناقشة ؟

ـ أجل ..

ـ وما رأيك .. هل توافق ؟

ـ ولماذ لا أوافق ؟!

وسأله عبد اللطيف ضاحكا :

ـ توافق على أي شيء ؟!

ـ على أن الخروف يشكل وليمة للإنسان ..

ـ أهذا كل مافهمته من المناقشة ؟

ـ عندما يعيش الإنسان عدة أيام على أكل الأنابيب .. يصبح الخروف ـ بلا منازع ـ أهم جزء في أي مناقشة تدور أمامه .

وكان عبد المهيمن وعبد اللطيف منهمكين فى مراقبة الكوكب الذى تحولت أشجاره إلى مجموعة من البشر متهدلة الشعور منتصبة الجذوع ممدودة الأذرع مستطيلة السيقان .. يتشاغل البعض بالطعام .. وعد البعض فمه يعب الماء من نهر يتدفق وسط الأعشاب .. ويتمطى البعض متثائبا فى استرخاء .. ويستلقى البعض الآخر .. بلا حراك ..

وألقى عبد الخبير نظرة على ساعة أمامه وقال بهدوء :

ـ ومضت ساعة ..

وهتفت شهيرة فى دهشة وهى تحدق فى أهل الكوكب :

ـ كل هذا فى ساعة ؟

وقال عبد اللطيف ساخرا :

ـ ساعة بحسابنا ..

وأردف عبد الخبير يقول :

ـ يعنى سنة بحسابهم .

ورد عبد المهيمن فى دهشة :

ـ سنة .. سنة كاملة ؟

ـ أجل ..

وأخذ عبد القادر يحدق فى مجموعة البشر التى تملأ أرض الكوكب .

ـ يبدو بعضهم لايتحرك .

ـ لعله نائم .

ـ أوميت .

وبدا الشرود على وجه عبد المهيمن ثم تمتم قائلا :

ـ لقد فنى جزء من الرعية .

ورد عبد اللطيف :

ـ يا أخى .. ما بقى فيه الكفاية .

ـ ولكنه سيتناقص يوما بعد يوم .. إن أسباب الفناء تحيط به .

ـ ولكنه قابل للتجدد .. إنه يفنى من ناحية ويتجدد من ناحية أخرى ..

ـ تقصد بالتكاثر ؟

ـ أجل .. ما يأخذه الموت .. تعوضه الولادة .

ـ ولكن .. لست أرى في الرعية .. علامات ولادة .

وعادت الجماعة تحدق في الأجساد التي تملأ أرض الكوكب .

وتمتمت شهيرة :

ـ لست أرى بهم صغارا .

وقال عبد اللطيف :

ـ امنحوهم فرصة .

وقال عبد القادر في قلق :

ـ لاتبدو بهم بطون منتفخة .

وضرب عبد الراضي كفا بكف وهتف صائحا :

ـ ياناس .. كل هذا يحدث في ساعة .. بطون تنتفخ وأولاد تهبط .. في ساعة ؟

وزغده عبد اللطيف وقال ناهرا :

ـ ياغبي .. في سنة ..

ـ سنة ؟!!

ـ أجل .. ألا تفهم ؟.. الساعة عندنا .. بسنة عندهم .

وقال عبد المهيمن :

ـ والمفروض .. أن يكون بعض نسائهم قد حملن .. وبعضهن قد ولدن .

وقال عبد الخبير :

ـ المفروض ..

ـ لماذا إذن لم يحدث ؟

ـ ولماذا يحدث ؟

وتساءل عبد الراضي في استنكار :

ـ أليس عندهم رجال ؟

ورد عبد الخبير :

ـ طبعا يوجد ذكور .. وإناث .

ـ إذن ماالذى يمنعهم ؟

ـ يمنعهم من أى شىء ؟

ونظر عبد الراضى إلى شهيرة .. وبدا عليه التردد .. ثم تمتم قائلا :

ـ هذا كلام لايقال أمام الحريم .

وردت شهيرة نيابة عنه فى غير استحياء :

ـ ما الذى يمنعهم من التكاثر ؟

ـ لأنه لا شىء يدفعهم إليه .

وتساءل عبد المهيمن فى غيظ :

ـ ألا يدركون أن إحجامهم عنه يعنى ضمور الحياة وانتهاءها ؟

ـ هذا أمر لا يهمهم .. إذا كانت نهايتهم حتمية .. فماذا يفيدهم استمرار الحياة ؟

ـ من أجل أولادهم ؟

ـ وأين هم الأولاد ؟

ـ أمعنى هذا أنهم لن يتكاثروا ؟

ـ إلا إذا كان هناك مايدفعهم إليه .. بالغريزة .. يجب أن يمنحوا الصفة الثانية من الصفات الأساسية للبشر .. يجب أن توجد فيهم لهفة الطعام ومتعته .. التى دفعتهم إلى البقاء .

ـ وبغير هذا لا يقبلون على التكاثر ؟

ـ أن يجد أحدهم فى نفسه مايدفعه إلى تحمل متاعبه .

ـ ويتوقف استمرار الحياة ؟

ـ إلا إذا حدث تكاثر تلقائى كحبوب اللقاح تحملها الرياح أو أجرى تكاثر صناعى .. كما تلقح قطعان البقر.. بصنف متميز من الذكور.

ـ ليست هذه هي الحياة الطبيعية .

ـ إذن فلا مفر من أن نشع فيهم الصفة الثانية .

ـ وماذا يمنعك من هذا ؟

ـ ستزداد الأمورتعقيدا .

ـ إن هذا يمنحنا فرصة عمل .

ـ لن يكون من السهل السيطرة عليهم .. إذا ازدادت رغباتهم وتعددت مطالبهم .

وقال عبد المهيمن في حزم :

ـ يجب علينا ألاتتردد .. ما دمنا قد قررنا أن نحكم .. فلابد أن نتحمل المسئولية كاملة .. إننا لم نفعل كل مافعلنا .. لكي نحكم قطيعا من الحيوانات .. لاتشغله سوى مشكلة الطعام .

ـ إنه لم يصل حتى إلى مستوى الحيوانات .

وضحك عبد اللطيف قائلا :

ـ سيرتفع الآن إلى هذا المستوى بعد أن نمنحه الصفة الثانية .

وقال عبد المهيمن في إلحاح :

ـ أرجوك يادكتور.. أسرع .. أنت تعرف قيمة الساعات في هذا الكوكب .

وأردف عبد المهيمن :

ـ لوانتظرنا عليه بضع ساعات لانقرض البشر منه ..

وقال عبد اللطيف :

ـ وانتهت الحياة .. ولما وجدنا فيه مايحكم حتى النباتات .

وقال عبد المهيمن في قلق :

ـ دعوه من فضلكم .. يجب أن ينتهي من مهمته في أقرب وقت .

وهز عبد الراضي رأسه في دهشة قائلا :

ـ ياناس .. ياهوه .. لماذا لاتتركونهم في حالهم .. المفروض فيكم

كآلهة .. أن تهيئوا لهم الهداية .. لا أن تثيروا فيهم الفتنة . .

وصاح فيه عبد القادر :

ـ هل تريدهم أن يبقوا هكذا فى هدايتهم حتى ينقرضوا ؟

ـ ينقرضوا .. ينقرضوا .. أليس هذا خيرا من أن تهيئوا لهم الغواية وتدفعوهم إلى الضلال .. فيفسدوا فى الكوكب .. وتنزلوا بهم العقاب .

ـ عقاب لماذا ؟

ـ على الزنا .

ـ ولماذا الزنا.. لماذا لايفعلونها بالأصول ؟

ـ أية أصول ؟

ـ الأصول التى سنضعها لهم .

وهز عبد الراضى رأسه وقال فى سخرية :

ـ كان غيركم أشطر .. هذه أشياء تفعل .. بالمزاج وليست بالأصول .

ـ إن تلك هى مسئوليتنا ولابد أن نمارسها .. أما أن نترك رعيتنا تنقرض .. خوفا من الغواية .. ونقف للتفرج عليها.. وهى تفنى .. فرحين بهدايتها .. فذلك ما لن نسمح لأنفسنا به ..

وقال عبد القادر :

ـ نحن لانبحث عن الراحة .. ولو كانت هى هدفنا .. لبقينا فى السفينة .. ننتظر نهايتنا المحتومة .

ووجه عبد المهيمن حديثه إلى عبد الخبير :

ـ أسرع يادكتور أسرع .. الوقت يسرقنا .

وكانت شهيرة قد تنحت جانبا وقد أحست بالحرج من الخوض فى المناقشة .

ومر الوقت وعيون الجماعة مترجحة بين عقرب الساعة ولوحة المراقبة وكلما تحرك عقرب الدقائق مؤذنا بمرور دقيقة هتف عبد القادر فى قلق :

ـ مرت ستة أيام .

واستمر أهل الكوكب فى حالهم .. ما بين آكل وشارب .. ومسترخ .. وميت ..

وفجأة بدت بينهم حركة غيرطبيعية .

لم يعد الطعام وحده يشغلهم ..

بدأ الذكور .. يتعقبون الإناث ..

والإناث يرمقن الذكور .. ويتخايلن أمامهم فى دلال .

وأشاح عبد الراضى بعينيه عن اللوحة وهو يردد :

ـ الفتنة نائمة : لعن الله من أيقظها .

وقال عبد اللطيف ضاحكا :

ـ بعد لحظات سيستحق المشهد مقص الرقيب .

وقال عبد القادر فى حزم :

ـ أرتضع بجواره « للكبار فقط » .

ومضت ساعة أخرى .

وعلت من اللوحة .. صرخات أطفال .

وهتف عبد المهيمن فى سعادة :

ـ أجل .. هذا أفضل .. لقد ضمنا استمرار الوجود .. لم تعد رعيتنا مهددة بالفناء .. إنها تتكاثر .. وتتزايد .

وقال عبد اللطيف وهويشير إلى البطون المنتفخة :

ـ والبقية تأتى .

وأخذ عبد القادر يمعن النظر فى مجموعة البشر التى تعالى من وسطها صراخ المواليد وتمتم قائلا :

ـ تبدو المواليد قلة .

وتساءل عبد المهيمن :

وماذا تقصد ؟

ـ أقصد أن الموتى أكثر كثيرا .

ـ مازال في البطون المنتفخة مزيد من المواليد .

ـ لن يعادلوا عدد الموتى .

ـ لننقص عدد الموتى .

وقال عبد الخبير :

ـ لاأظن إنقاصه عن هذا القدر أمرا ميسورا .. إن هذا هوالمعدل الحتمى للموت .. بشتى أنواعه .. موت النهاية .. والموت الناتج عن صراعه مع مختلف العناصر .. سواء كان صراعه مع نفسه .. أو مع غيره من الكائنات والقوى .. من الجرثومة .. إلى قوى الطبيعة كالزلازل والعواصف والصواعق .

ورد عبد المهيمن :

ـ إذا فلنزد من المواليد .. لابد أن تكون نسبة القادم إلى الكوكب أكبر من الخارج منه ..

وقال عبد القادر مؤكدا :

ـ أجل لابد من زيادة النسل .

عبد اللطيف وهويهز رأسه في حيرة :

ـ زيادة النسل .. كيف ؟

ومال عبد الراضى نحوه يهمس في أذنه قائلا :

ـ إن لدى تحويجة .. مضمونة .. نستطيع أن نصفها لهم .

وقال عبد الخبير وهو يرقب الكوكب :

ـ يبدو أن الرجال أقل من النساء .

وقال عبد المهيمن متسائلا :

ـ ولكن لماذا يقتصر كل رجل على امرأة ؟

وأردف عبد القادر :

ـ لو أن النساء كلهن أنجبن .. لزادت نسبة المواليد على الموتى .

وتساءل عبد اللطيف :

ـ ولكن كيف ينجبن كلهن إذا كان عدد الرجال غير كاف ؟.

وقال عبد الراضى :

ـ لكل رجل .. أربع .. على سنة الله ورسوله .

ورد عبد الخبير :

ـ لايكفى .. إن النساء أكثر بكثير.

وقال عبد الراضى :

ـ وما ملكت يداه .

وعاد عبد الخبير يقول مؤكدا :

ـ أكثر بكثير ..

وقال عبد الراضى فى انشراح :

ـ ماشاء الله .. الحال فى الكوكب رضا .. لماذا لا نحاول النزول ؟.. إن العيش فيه مع الرعية أفضل بكثير من هذا الحكم الذى نمارسه هنا .

وقال عبد المهيمن وقد بدا عليه الجد والتفكير:

ـ مشكلة .. لابد من حلها .. دبرنا ياعبد القادر !!

وأجاب عبد القادر :

ـ العملية تحتاج إلى تنظيم .. لابد لكل رجل من مقطوعية يقوم بها .

وقال عبد الخبير :

ـ حل غير معقول .. هذه عملية لاتقبل الإكراه .. إنها مسألة مزاج كما قال عبد الراضى .

وسأل عبد المهيمن :

ـ إذن ماذا تقترح ؟

وتمتم عبد الراضى قائلا :

ـ نهيىء له المزاج .

وقال عبد الخبير :

ـ بالضبط .. هذا هوالحل .

ورد عبد المهيمن قائلا فى استنكار:

ـ كيف .. أيمكن أن ندخل فى عملنا .. مهمة تهيئة المزاج ؟..

وقال عبد الخبير :

ـ اسمعوا .. إنها مسألة علمية .. تحتاج لحل علمى .. إن مجرد منحنا الرغبة للجميع .. قد أدى إلى أن ينجب كل رجل من امرأة واحدة وبهذا اقتصر عدد المواليد على عدد الرجال . ولما كان عدد النساء أكثركثيرا من الرجال .. فالمطلوب أن يكون الإنجاب بعدد النساء .. إذن فلا بد أن نبعث الرغبة فى نفس الرجل . لأكبر عدد من النساء .. ولما كانت المرأة لاتنجب إلا ولدا كل تسعة أشهر .. مع تعدد لقائها بالرجل . فغير مطلوب أن نبعث فيها الرغبة إلا لرجل واحد .. ولما كان الرجل قادرا على أن ينجب من أول لقاء بالمرأة .. فلا داعى لتكرار اللقاء مع امرأة واحدة أكثر من مرة .. بل ويصبح المطلوب هو بعث الرغبة فى نفسه للقاء جديد مع امرأة أخرى .. بحيث لاتذهب نتيجة اللقاء سدى إذا تكررت مع المرأة الواحدة .. والنتيجة تحتم علينا أن نبعث فى الرجال الرغبة المستمرة فى امرأة جديدة .. حتى نضمن أن كل لقاء يصبح ذا جدوى .. أمفهوم هذا ؟

وصرخت شهيرة محتجة بعد أن أخذت تتبع الشرح فى اهتمام حتى تعرف نتيجته :

ـ هذا غير معقول .

وسألها أبوها فى دهشة :

ـ ما هو هذا غير المعقول ؟

ـ هذا حل رجالى بحت .. إنكم هنا تتصرفون فى مصير الكوكب بعقلية الرجل ..

وقال عبد المهيمن محتجا :

ـ إننا نتصرف كحكام .

ـ حكام رجال .. تريدون أن تكرروا فى الكوكب مأساة الرجل فى

الأرض .. تريدون أن تهيئوا للرجل « فروغية » العين . وأن تغرسوا فى نفسه الخيانة .. حتى يريد دائما امرأة جديدة .

وقال عبد القادر محاولا أن يشرح القضية :

ـ إن المسألة .. ليست مسألة رجل وامرأة .. ولكنها مسألة كون بأكمله

وصرخت شهيرة :

ـ يجب أن تتساوى المرأة بالرجل .

ـ ولكننا لانحاول التفرقة بينهما .

ـ كيف ؟ .. إنك تمنح الرجل حق الرغبة الدائمة فى امرأة جديدة ..

وقاطعها أبوها قائلا :

ـ لأن عدد النساء أكبرمن الرجال ، ولأن كل لقاء لرجل بامرأة جديدة .. يمنحنا وليدا.. ونحن فى حاجة إلى مزيد من المواليد .. حتى تعادل نسبة الوفيات :

وقالت شهيرة محتجة :

ـ ولكن هب أن عدد الرجال زاد على عدد النساء هل تمنح النساء هذا الحق .

ـ لن يكون له أية فائدة .. لأننا لن نفيد من لقاء المرأة بالرجل .. إلا وليدا كل تسعة أشهر مهما تعدد اللقاء وتنوع الرجال .. ومن أجل هذا لن يحتاج الكون من المرأة الطبيعة سوى الرغبة فى رجل واحد والاكتفاء به .

وقالت شهيرة ساخرة :

ـ بينما نحتاج من الرجل الرغبة الدائمة فى امرأة جديدة .

وقال عبد القادر :

ـ بالضبط .

وصاحت شهيرة محتجة :

ـ هذا غير معقول . إنكم تقننون حياة الكوكب بعقلية الرجل .. أنتم تريدون هنا .. أن تحللوا للرجل .. خطاياه .. أن تجعلوها .. حقا مشروعا ..

أنا أحتج .

وقال عبد الراضى فى مسكنه :

ـ ليه يا ست شهيرة ؟ والله الرجل غلبان .. عندما يمارس رغباته الطبيعية .. التى يفرضها عليه تكوينه يتهم بالانحراف والخيانة .. وتتكوم على رأسه التهم .. دعيهم ينصفوه مرة فى الكوكب .

وشخطت فيه شهيرة قائلة :

ـ اسكت أنت .. أنت أيضا رجل .

وحاول عبد اللطيف تهدئتها قائلا :

ـ اهدئى ياشهيرة .. دعيهم يجربوا الحل الذى يريدونه .. وأنت على أية حال .. لن يصيبك منه ضر .. فأنت هنا حاكمة .. ولست من الرعايا .. ولن تنطبق عليك التنظيمات الموضوعة هناك .. ولن يمسك أحد بالخيانة فأنت هنا وحدك لاشريكة لك .

وقالت شهيرة :

ـ إنى لاأتكلم عن نفسى .. ولكننى أنظر إلى المسألة من ناحية المبدأ .. غير معقول أن نعطى لرجل حق الخيانة واللعب بالذيل .. وأن نتركه فى الكوكب على حل شعره .. دون أن نحاسبه .

وقال عبد المهيمن فى دهشة :

ـ ولماذا لانحاسبه ؟

ـ إذا كنت قد غرست فيه هذا الميل فلماذا تحاسبه ؟

ـ إننا سنقول له إنها خطيئة ونؤاخذه إذا ارتكبها .

وصاح عبد الراضى محتجا :

ـ ما شاء الله .. كأننا لا رحنا ولاجينا .. تمنحونه الرغبة فى النساء .. لأجل أن يمنحكم الذرية .. ويضمن لكم استمرار الحياة .. لكى تمارسوا السيادة .. ثم تقولون له إن هذا خطأ وتحاسبونه عليه .. هذا أمر غير معقول

وقال عبد القادر :

ـ إننا سنمنحه الإرادة لمقاومته .

ـ تمنحه الإرادة .. ورغبة أقوى من الإرادة ثم تؤاخذه بعد ذلك .. حرام والله .. حرام .

وصاح به عبد المهيمن :

ـ كفى صراخا .. هذا ليس شغل حكام .. هذا شغل همج .. ماذا تقول الرعية عنا لو سمعتنا .. نتعارك هكذا ؟

ثم وجه القول إلى عبد الخبير قائلا فى حزم :

ـ اسمع يادكتور عبد الخبير .. إن استمرار الحياة فى الكون أهم من كل شىء .. افعل ما أشرت به ..

وقال عبد القادر:

ـ وأى مشاكل تنتج عن هذا .. سنحاول حلها .. إن هذا من صميم اختصاصنا ..إننا مسئولون عن حل مشاكل الرعية .

وأخذ عقرب الساعة يدور.

ومرت ساعة أخرى .

وزاد عدد صراخ المواليد .. وبدأوا يزحفون على الكوكب كالنمل .

وصاح عبد المهيمن :

ـ هؤلاء الصغار .. كيف سنتركهم يهيمون هكذا .. لابد لهم من حماية ورعاية .

وقال عبد اللطيف :

ـ ليس أولى برعايتهم ممن وضعنهم .

وصاح عبد المهيمن آمرا عبد الخبير:

ـ اغرس اللهفة عليهم فى نفوس أمهاتهم .

وقال عبد اللطيف :

ـ أمهاتهم فقط .. لابد لهم من عائل يشد أزرهم ويواجه معهم صراع

الحياة .

وتمتم عبد المهيمن قائلا :

ـ اربط الرجال بالأمهات والأولاد .. لابد أن تكون هناك وحدة لمواجهة .. تحديات الحاجة ومشاكل الحياة ..

وبدأت التجمعات الصغيرة في الكوكب .. وحتمت تحديات الحاجة .. وصراع القوى المعادية .. تجمعا أكبر..

وبدأ الصراع تتسع رقعته .. ويزداد حجمه .. صراع من أجل البقاء والاستمرار.. الحصول على اللقمة .. والتكاثر .. واتقاء عوادى الطبيعة ..

وشاهدت جماعة الحكام .. تطور الحياة في الكوكب .. تطورا تفرضه الحاجة إلى اللقمة والجنس والأمان .

وبدا مجتمع الكواكب .. متجمدا .. لا يزيد في مظهره .. ومشاكله ..على عالم حيواني .. مشكلته الحصول على اللقمة والتكاثر والدفاع عن النفس ..

ومضى يوم .. على هيئة الحكام ..

وتناوبوا مراقبة الكوكب .. دون أن يحدث مايثير الاهتمام .. أو يدعو .. إلى ممارسة السلطان .

وجلس عبد المهيمن يرقب أهل الكوكب في حياتهم الرتيبة دون أن يشعر أن أحدا منهم في حاجة إليه .

وقال لعبد الخبير :

ـ وآخرتها يادكتور.. لقد أصبح الحكم يدعو إلى الضجر.

وتنهد عبد الخبير متسائلا :

ـ وماذا تريد ؟! .

ـ نريد حياة حقيقية .. نريد مشاكل ومتاعب .. نمارس فيها قدرتنا على الحكم .

وقال عبد الخبير :

ـ لم تبق غير الصفة الثالثة .

ـ الصفة الثالثة ؟

ـ أجل .. صفة الرغبة فى التميز .. والطموح .. والخروج عن القطيع .

ـ إذن عجل بها .. لقد مضت فى حكمنا عشرون عاما .. رتيبة مملة .. نريد عالما حقيقيا من البشر بكل مالديهم من مشاكل ومتاعب .

١٧ـــ فوضى

منح أهل الكوكب الصفة الثالثة من صفات البشر الأساسية . صفة الطموح .. والرغبة فى التميز .. والخروج من القطيع .

وتعقدت رغبات المخلوق التى يحدد الصراع الداخلى الدائم بينها حركة الإنسان فى الحياة .

وبدت الصفات الثلاث التى منحت للكائنات .. الواحدة بعد الأخرى .. وقد عقدت حياتها وزادت من مشاكلها ومتاعبها .

وتعددت القوى المتصارعة .. التى ترسم صور الحياة فى الكوكب وتحدد ملامحها ..

لم يعد الصراع التى تواجهه الكائنات الحية يقتصر على قوى الطبيعة ..

.. ريح تلطم أوراقها .. وعواصف تقتلع جذورها .. وصواعق تنقض على قممها .. وزلازل تشق الأرض أسفلها .

بل ظهر تعدد فى أشكال الصراع الذى تواجهه الكائنات .. فى باطنها .. ومع بعضها البعض .

لم يعد الكائن الحى يهنأ بهدوء الشجرة .. وتمتد جذورها فى باطن الأرض تمتص غذاءها فى صمت .. وتخرج أنفاسها فى هدوء .. وتنفض كساءها البالى.. لتخرج من براعمها كساء أخضر يانعا .. فى موعد موقوت .. لايتأخر لحظة ولايتقدم لحظة .. وفى سكون تخرج حبوب اللقاح منها .. أو إليها .. أو منها وإليها .. لتنمقها بالزهر.. وتوشيها بالنقوش الملونة .. الفواحة بالعطر .. وتحملها بالثمر.. يلقى بذوره على الأرض بغير

جهد .. لتنبت وتتكاثر.. وتواصل الحياة الخضراء اليانعة المزهرة .. تشيع في الأرض السلام والأمان .

خرج الكائن الحي من وقفته الهادئة .. جرى وراء الطعام .. والشراب ..

ومن كائن حي آخر .. كان طعامه .. وشهد الكوكب أول مصرع للحياة .. من أجل الحياة .. رغم وفرة الطعام في الأرض .. وتدفق المياه في الغدير .. فلم تحل له إلا لقمة غيره يصارعه من أجلها .. ولم يطب له إلا مورد سواه يزاحمه في السقيا منه .

وأصبح عليه .. أن يأكل .. ويحمي نفسه من أن يؤكل .

ورغم هذا فقد نعم بنوع من الهدوء .. سرعان ما افتقده عندما منح رغبة الجنس واللهفة عليه .

وتعددت مشاكله .. بأسرة وذرية كان عليه أن يتحمل مسئوليتها .

لم يعد يستيقظ وقتما يريد .. فيتثاءب ويهب للبحث عن طعامه .. فيأكل ويشرب .. ثم يثب على أول أنثى تصادفه .. ثم يتمدد مسترخيا في قطعة ظل .. حتى يجوع فيأكل .. ويغالبه النعاس فينام .

لم يعد يملك القدرة على أن ينعم بهذه العفوية الهادئة .. التي لايقطع هدوءها .. سوى عنصر معارض .. قد يجيء وقد لا يجيء ، لقد أضحت مشاكله تثار من داخل محيطه .. من أسرته الصغيرة التي بات مسئولا عن إطعامها وحمايتها .

كان انعدام الملكية الخاصة .. أو الإحساس بالملكية المطلقة للكون كله .. لايتطلب منه إحساسا بالمسئولية .. مسئولية الرعاية والصيانة والحماية .

لم يكن يعرف أين أولاده حتى يدافع عنهم .

وكانت كل إناث الكون إناثه .. فلم يجد ما يدعوه إلى أن يخصص واحدة منهن بالذود عنها .. أو الغيرة عليها .

ولكن .. لكي تبقى الحياة وتنمو بات عليه أن يحمل هومسئولية

استمرار الحياة .. وحمايتها .

ولم يكن أمامه بد من تحمل المسئولية .. مسئولية التكاثر .. بإنجاب الذرية وحمايتها .

وابتلع طعم اللقمة الشهية .. ورغبة الجنس اللذيذة .. وراح يملأ معدته بالطعام ... ويشبع نفسه بالجنس .. فعاش .. وأنجب ذرية .

وبات عليه أن يواجه .. متاعب الحياة .. وصراعها .. من أجل نفسه .. ومن أجل حمل من الذرية يثقل ظهره .

ومع كل هذه المتاعب .. سارت به الحياة .. فى هدوء نسبى.

كائن حى .. يأكل لينمو .. ويتلاقح .. ليتكاثر .. ويحمى نبته حتى يشتد عوده .. ويرمى بذرته .. لتنبت .. وتتكاثر .. وهكذا تستمر الحياة .

وضمن جماعة السفينة .. مواصلة الحكم .. واستمرار السلطان .. فى حياة .. تتدفق .

ولكن تدفق الحياة .. كان رتيبا .. مجرد أكل .. وتكاثر .. وصراع بدائى .. من أجل اللقمة .. والجنس .

لاتطور .. ولاتقدم .

ومنح الأحياء الصفة الثالثة .

وبدا الطموح بينهم .

بدأت الرغبة فى التميز .

والسباق بين القطيع .

لم يعد الأحياء .. يسيرون صفا .. ولاعادوا سواسية كأسنان المشط .. بل بدأ التسابق .. والتدافع بالأيدى والمناكب .. لالهدف محقق .. لا للقمة .. ولا لشهوة .

ولكنه سباق مطلق .. تدفع إليه إمكانيات السبق .. والرغبة المطلقة فيه .. أكثرمما تدعو إليه أهداف معينة .

وتعددت ميادين السبق .. كل بإمكانياته .. وقدراته المختلفة ..

وشحذ الأحياء أسلحة الصراع فى سباق الحياة .. سواء كانت جاذبية الشكل أو قوة البدن أو حدة الذهن أو إرهاف الحس .

ولم يعد الصراع يقتصر على مشكلة الفرد البسيط من أجل الحصول على اللقمة وإنجاب الذرية وتأمين البقاء .

وبدأ يبرز من وسط الصفوف أفراد .. متميزون بأحد مظاهر التميز يقودون من حولهم إلى صراع جماعى .. يضمن لهم مزيدا من القوة .. يقهرون بهم غيرهم من الأفراد أوالجماعات الأضعف .

وأحست الجماعة فى السفينة بتبلور المجتمع فى قبائل .. استطاع الطموح والرغبة فى التميز التى منحها الأحياء أن يستغل تفوق القدرات لدى أصحابها .. فتدفع بهم إلى الأمام .. ليسلمهم الغير زمامهم .. حيث يحملون عنهم بعض مسئوليات الحياة يوزعونها مشاركة عليهم .. ويتولون قيادتهم فى ممارستها .

. وأخذت الجماعة ترقب الرعية .. تمارس نوعا متقدما من الحياة . ويشاركون فى مسئولياتها .. ويتولى البعض قيادتهم فيها .

وقال عبد المهيمن وقد تملكه إحساس بالرضا :

ـ هذا معقول ..

وقال عبد الخبير :

ـ لم يعودوا مجرد حيوانات .. تأكل وتتكاثر .. إنهم يحاولون دائما .. أن يطوروا حياتهم إلى أفضل .

ورد عبد القادر :

ـ برز منه متميزون .. يكشفون حقائق ويحققون انتصارات .. ويقودونهم إلى مزيد من الرخاء .

وقال عبد اللطيف :

ـ إنى أسمع أصواتا .. تضج بالغناء .. وأرى الناس ينصتون إليهم فى نشوة .

وقالت شهيرة :

ـ بدأت النساء تتزين ..

ورد عبد الراضى :

ـ ليس هذا جديدا عليهن .. هذا مامنحته الصفة الثانية للأحياء .. وهن يمارسن عملية جذب الرجل .. المسكين .

وقالت شهيرة :

ـ لست أقصد جذب الرجل .. ولكنى أقصد أنهم أحسسن بقدرهن .. وبدأن يظهرن بالمظهر اللائق بأنثى .

وقال عبد اللطيف :

ـ المهم أن الكون يتطور .

وتتهد عبد المهيمن :

ـ ولكن دون جهد واضح منا .

ورد عبد الخبير:

ـ ليس مفروضا علينا أن نعمل أكثر من هذا .

وقال عبد القادر :

ـ هل تظن عملنا سيقتصر على مجرد الفرجة على الرعية ؟

ـ لقد منحناها .. المركبات البشرية اللازمة .. وليس معقولا أن نتتبع كل فرد .. لنحركه كما نريد .. إن الأحياء يتحركون .. بالقدرات الممنوحة لهم .. وعليهم بعد ذلك أن يوازنوا صراع هذه المركبات فى داخلهم .. وعليهم بعد ذلك أن يصارعوا القوى المعارضة لحركتهم والتى تمارس حركتها التلقائية فى مجال حركتهم .

وتساءل عبد الراضى :

ـ وإذا ضل أحدهم ؟

ـ ضل عن ماذا ؟

ـ عن الصراط المستقيم .

ـ لم نضع له بعد صراطا مستقيما حتى يضل عنه .. إن كلا منهم يتصرف حسب ماتدفعه إليه محصلة مركباته .. وحسب رغباته .. ومصالحه.

وسأل عبد اللطيف :

ـ وإذا ظلم غيره أو اعتدى عليه ؟

ـ كل منهم مسئول عن رد العدوان عن نفسه .. فلا أظن فى قدرتنا أن ننزل لنرد العدوان عن كل مظلوم .

وقالت شهيرة مستنكرة :

ـ هذه تصبح فوضى .

وقال عبد اللطيف :

ـ كان أولى بنا أن نتركهم فى استرخائهم النباتى .. بدل أن نثير فيهم الرغبات ونتركهم يتصارعون .

وهز عبد المهيمن رأسه قائلا فى حزم :

ـ لا أظننا نستطيع أن نقف مكتوفى الأيدى لو عمت الفوضى فى كوننا .. وإلا انتهى بالدمار .

ورد عبد القادر :

ـ ولعدنا كما كنا .. حكاما بلا رعية .

وهز عبد الراضى رأسه قائلا فى سخرية :

ـ وكأنك يا بوزيد ماغزيت .

وتنهد عبد الخبير قائلا فى دهشة :

ـ لماذا تحاولون البحث عن المتاعب .. لماذا لاتدعونهم فى حالهم ؟

وقال عبد اللطيف مستنكرا :

ـ ولكننا لم ندعهم فى حالهم من أول الأمر.. بل بعثنا فيهم الرغبات .. وأكثرنا الفتنة .

وأكملت شهيرة :

ـ وبعد هذا تقول لماذا لاندعهم فى حالهم ! .

وقال عبد المهيمن :

ـ على أية حال .. إن علينا أن نراقب .. وسنتصرف حسب ماتحتمه مسئوليتنا علينا .. إننا على أية حال لن نقف سلبيين تجاه رعيتنا .

وفجأة أشار عبد الراضى إلى اللوحة صائحا :

ـ يانهار اسود ..

وهتفت شهيرة :

ـ ماذا حدث ؟

ـ طبقوا فى بعض .

وقال عبد اللطيف :

ـ حرب .. بدأت الحرب بينهم .

وبدت اللوحة . كميدان قتال .

قاد أحد الزعماء قبيلته فى عملية غزو .. بعد أن أكد لقبيلته .. أن أرضهم قد ضاقت بهم .. وأن الأرض المجاورة خيرها أكثر ورزقها أوفر .

وبدأ القتال .. بكل أنواع الأسلحة المتوافرة لدى الرعية .. بالعصى والحجارة والآلات الحادة .. والأظافر والأنياب .

وصاحت شهيرة فى جزع :

ـ فظيع .. يجب أن نفعل شيئا .

وأكد عبد اللطيف قائلا :

ـ أجل .. غير معقول .. أن نتركهم هكذا يفنى بعضهم البعض .

وهز عبد المهيمن رأسه قائلا :

ـ أجل .. إننا كمسئولين عن الرعية يجب أن نتدخل وأن نوقف هذه الحرب المريرة .

وتساءل عبد الخبير ببساطة :

ـ كيف ؟

ورد عبد القادر :

ـ ألاتملك القدرة على توجيههم ؟

ـ أجل ..

ـ إذن نستعمل هذه القدرة فى وقف الحرب .

ـ نستعملها مع من ؟

ـ مع .. مع .. مع صاحبنا هذا الذى يقودهم إلى القتال .

ـ ولكن غيره من الطامعين فى مركزه .. سيحل محله .. ويواصل قيادتهم فى القتال .. ولو انتظرنا عليهم بعض الوقت .. لقضى عليه أحدهم .. وحل مكانه .

ـ نوجه المقاتلين أنفسهم إلى عدم القتال .

ـ إذا فعل البعض ذلك .. إما أن يقضى عليهم القادة بتهمة الخيانة .. أويقضى عليهم خصومهم نتيجة استسلامهم .

ـ نوجه الجميع إلى الكف عن القتال .

ـ يحتاج الأمر إلى تغييرتركيبهم البشرى .. إلى نزع رغبتهم فى الطموح .

ـ ولماذا لانوجه طموحهم إلى الخير؟

ـ خير من ؟

ـ خير أنفسهم .

ـ ولكنهم يعتقدون أنهم يعملون لخير أنفسهم .

ـ بالقتل ؟.

ـ لم لا .. ألم نسلم بأن فناء كائن حى .. قد يكون ضرورة .. لحياة كائن حى آخر؟

ـ فى مجتمع حيوانى .. أجل .. ولكن بعد أن تطور المجتمع .

ـ سلمنا بأن يأكل الإنسان الحيوان .

ـ أجل ..

ـ وسلمنا بالصراع الذى يحتمه الطموح .

ـ صراع فردى .. عندما تتعارض مصلحة أحدهم مع الآخر .. ولكنه ليس إلى درجة القتل .. وليس بالقتل الجماعى .

ـ هذ مسألة تحتاج إلى مجرد تنظيم .. وتقنين .. يوضح فيه ما هو محرم .. وما هومسموح به .. أما عملية التوجيه .. فغير مستطاعة إلا بتغيير التركيبة البشرية .. وسلبها ما فيها من طموح .. والعودة بها إلى الطبيعة الهادئة السلبية .. التى تأخذ وتمطى بتلقائية .. لا إرادة فيها .. هل تريدون هذا ؟

وهز عبد القادركتفيه وقلب شفته السفلى ثم قال فى استنكار :

ـ وأية قيمة تصبح لنا بعد هذا ؟

وعاد عبد الراضى يكرر جملته الساخرة :

ـ وكأنك يابو زيد ماغزيت .

ونظر إليه عبد القادرمتسائلا فى غيظ :

ـ إيه أبو زيد .. الذى دوشتنا به ؟

ـ أبو زيد الهلالى .. كنا فيما مضى نسمع حكايته على الربابة .. أتحبون أن أروى لكم شيئا من سيرته .. إنى مازلت أحفظ بعضها ؟

وضحك عبد اللطيف قائلا :

ـ أهذا وقته ياعبد الراضى .. الرعية تحارب وتكاد تقضى على نفسها .. والآلهة ملخومة .. وأنت تروى لنا أبو زيد الهلالى ؟

ـ نتسلى .. حتى تنفض المعركة .. بدل هذه الحيرة التى نحن فيها ..

ونظر إلى عبد المهيمن متسائلا :

ـ والا إيه ياباشمهندس ؟

ونظر عبد المهيمن إلى عبد القادر قائلا :

ـ ما رأيك .. .. ذيرنا ياعبد القادر ؟

ـ فى أبو زيد الهلالى ؟! .

ـ بل فى الحرب الدائرة أسفلنا .

وهز عبد القادر رأسه فى حيرة وقال :

ـ ليس أمامنا ـ كما قال الدكتور ـ إلا أحد أمرين .. إما أن نتركهم يتقاتلون .. أو نعيدهم .. أشجارا .. كما كانوا .. فالشجر هو الحى الوحيد الذى لايتقاتل ؟

وردد عبد اللطيف :

ـ أجل .. إنه ينبت وينمو .. ويورق ويزهر ويثمر .

وقال عبد الراضى متمتما :

ـ ويؤكل ..

وقالت شهيرة فى أسف :

ـ أي يعتدى عليه ..

وقال عبد اللطيف :

ـ ويقبل العدوان فى رضا واستسلام .. كأنه وجد ليفنى فى سبيل غيره من الأحياء.

وهز عبد الراضى رأسه متأثرا وقال :

ـ والله عالم نموذجى .. لست أدرى لماذا حورناه ..إلى ما أصبح عليه .. ألم يكفنا .. ما يفعل الناس على الأرض ؟.. المقصود .. لافائدة من الكلام .. بعد أن وقع ماوقع .

وقالت شهيرة فى قلق :

ـ والآن ماذا قررتم أن تفعلوا ؟

ووجد عبد المهيمن أن عليه أن يتخذ قرارا حاسما ..

ولم يكن بالطبع يرغب فى أن يحكم شعبا من الشجر.. ووجد أن بشرا يتقاتلون .. خير من شجر آمن .

وقال فى حزم :

ـ إننا لن نعيدهم بالطبع أشجارا مرة أخرى ..

وتساءلت شهيرة :

ـ إذن ماذا تفعل ؟

ـ نتركهم يتقاتلون ..

وقال عبد القادر مؤكدا :

ـ إنهم ليسوا أول بشر يتقاتلون .

ـ ولا أول حرب تنشب فى الكون .

ـ ولم نسمع أن حربا .. أفنت البشرية .

ـ بل إنها قد تكون ضرورة .. من ضرورات الحياة .. حتى تأخذ بعض الزيادة البشرية وتزيل بعض التزاحم الإنسانى .

ـ إن الصراع أمرطبيعى .

ـ ولابد أن نتركهم يعانون تجربته ..

ـ أجل .. يجب أن يخوضوا الحرب . ويعرفوا بلاءها بأنفسهم .. حتى يكفوا عنها .

ـ أجل .. أجل .. يجب أن يمروا بجميع التجارب .. حى يعرفوا الطيب من الردىء .. والخير من الشر .. ويعرفوا ماذا يفيدهم وماذا يضرهم.

وانتهى الحوار بين عبد المهيمن وعبد القادر بقول عبد المهيمن :

ـ هذه الرعية .. كالطفل .. يجب أن تكتسب حصانة بممارسة كل التجارب .. يجب أن تذوق المتاعب .. حتى تختار الطريق السليم بنفسها .. وإلا نشأت كالطفل المرفه .. تقضى عليه .. أبسط نزلة ..

وبعد فترة صمت قال عبد الخبير :

ـ إذن اتفقنا على أن نتركها تحارب .

وقال عبد المهيمن :

ـ أجل .. لندعها تحارب .

وقال عبد الراضى مستسلما :

ـ تحارب .. تحارب .

ثم اتجه برأسه إلى ناحية اللوحة التى يدور فيها القتال متمتما :

ـ دعوها تحارب . ودعونا نتفرج ..

وبعد لحظة أردف في حماس :

ـ والله فرجة هائلة ..

ثم بدأ الفاظ التشجيع في حماس .. وهو يرقب المعركة قائلا :

ـ أيوه .. اضرب .. اديله جامد .. دي طلعت آوت ..

ونظر إليه عبد المهيمن في استنكار قائلا :

ـ ماهذا يا أخينا ؟

وقال عبد الراضي في حماس :

ـ أنا مع الأهلي .

ثم وجه التساؤل إلى عبد اللطيف :

ـ أنت مع الأهلي والا الزمالك ياأستاذ ؟

وعاد عبد المهيمن يزجره قائلا :

ـ زمالك إيه .. وأهلي إيه ؟..

وقال عبد الراضي مفسرا :

ـ الذين على اليمين هم الأهلي .. والذين على اليسار هم الزمالك .

ثم عاد يصيح وهو يركز اهتمامه على اللوحة :

ـ اجمد يا أهلي .. صاب الحجر نافوخه .. يطحه .. دشدشت الشومة ضلوعه .. جابته الأرض .. ياسلام .. أهو كده الضرب ..

وقال عبد اللطيف وهوينظر إلى اللوحة :

ـ الزمالك .. حايغلب .

ـ ابقى قابلني .. شوف دي .

ونظر عبد المهيمن إلى الاثنين وضرب كفا بكف وصاح مستنكرا :

ـ غير معقول .. هذه مسخرة .. هذا ليس شغل حكام أبدا .

وأردف عبد القادرقائلا :

ـ هذا شغل جمهور درجة ثالثة .

وقالت شهيرة وهي تشيح بوجهها بعيدا عن اللوحة :

ـ هذا توحش ..

وهز عبد الراضي رأسه قائلا :

ـ نحن لسنا مسئولين عنه .. إننا مجرد متفرجين .

وقال عبد القادر :

ـ على أية حال .. لابد أن نتعود على هذه المناظر .. إننا سنصادف منها الشيء الكثير .

ورد شهيرة في جزع :

ـ غير معقول .. إني لم أكن أطيق منظر الملاكمة .. أوالمصارعة فما بالكم بمجزرة ...

وهزت رأسها في أسف قائلة :

ـ هذا ليس شغل آلهة .. إنه شغل بلطجة .

وقال عبد الخبير وهويرقب الشاشة :

ـ أوشكت المعركة على الانتهاء ..

وتساءل عبد الراضي وهو ينظر إلى اللوحة في حيرة .. دون أن يعرف أي الفريقين كسب الحرب :

ـ والنتيجة ؟

وقال عبد الخبير :

ـ تضحضح الفريقان ..

وقال عبد المهيمن :

ـ لعل هذا يكون درسا قاسيا للرعية كلها ..

وتساءلت شهيرة :

ـ وأين الزعماء الذين أشعلوا نيران المعركة ..

ـ قتل أحدهم .. وانتحر الآخر.. ويبدو الثالث معلقا من قدميه في شجرة ..

وانتهى القتال .. وعادت كل قبيلة إلى أرضها .. تلعق جراحها .. ولم يعرف أحد .. ولا الآلهه التى فوق .. من الذى انهزم ومن الذى انتصر . ولا من .. أخذ .. ماذا .. من الآخر .

ومن جديد .. عاد السلام إلى الكوكب .

وواصل البشر الحياة ..

حياة طبيعية .. تحتمها .. مركباتهم .

استمر الطموح .. واستمر بروز أصحاب القدرات المتميزة عن القطيع .. يستمتعون بأكبر قدر من خير الأرض .. من الطعام .. والجنس .

وشبعوا .. فقد كانت طاقتهم على استيعاب المتعة محدودة ..

ودفعهم الطموح غير المحدود إلى التفنن في المتعة .. واستغلال جهد الغير .. من أجل الحصول على مزيد من المتعة .. بأقل جهد .

وتقاسم المتميزون استعباد القطيع .. يستنفزون منه .. أكبر جهد .. بأقل أجر..

وزادت إمكانياتهم على جلب المتع .

فبحثوا عن المزيد منها .. وتفننوا فى الاستمتاع بها .

عصروا الثمار.. فسكروا..

وطال الوقت لديهم .. بلاعمل .. وبلا جهد فقامروا..

ولم تعد اللهفة الجنسية .. وسيلة للتكاثر .. بل أضحت هدفا فى حد ذاته ..

ومنعوا التكاثر .. حتى لا يحملوا عبثه .. وواصلوا متعة الجنس .. بكل مايملكون من قدرة .. وتفنن .

ودار عقرب الساعة فى السفينة .. يؤذن بمرور العام تلو العام .. والجماعة ترقب .. الرعية ..

ونظر عبد الراضى إلى اللوحة وضرب كفا بكف :

ـ هاصت ..

وقال عبد اللطيف وهو يهز رأسه قائلا :

ـ آخر فوضى .

وقال عبد الخبير :

ـ استعبد المتميزون من الرعية .. الغلابة فيها .

وقال عبد المهيمن :

ـ وسكرت الرعية .

وقال عبد القادر:

ـ وغرق بعضها في الملذات وغرقت الأغلبية في الحرمان .

وقالت شهيرة :

ـ ولم يعد هناك قيم للأخلاق .. هذه عاقبة .. « فروغية » العين التي منحتموها للرجال .

ورد عبد المهيمن :

ـ من أجل ضمان التكاثر فعلنا ذلك .. و ليس لمجرد العبث .

ـ ولكنها الآن صارت للعبث .. والاستمتاع .. إن التكاثر لايخطر على بالهم .

وقال عبد الخبير :

ـ لاضرورة لأن يخطر على بالهم .. يكفي أنه يحدث تلقائيا .

وتساءلت شهيرة :

ـ أيعجبكم هذا الانحلال ؟

ورد عبد الخبير :

ـ طبعا لا .

وقال عبد اللطيف ضاحكا :

ـ إذا أعجبنا كبشر.. فلا أظنه يعجبنا كآلهة ..

وقالت شهيرة ..

ـ أيمكن أن نسكت على هذا ؟ ..

وقال عبد اللطيف :

ـ وماذا نستطيع أن نفعل .. ألم نرد رعية نحكمها .. هذه هى الرعية ليست أسوأ منا .. عندما كنا نحن أنفسنا رعية ..

وقال عبد الراضى :

ـ الحال من بعضه ياأستاذ .. دعوهم فى حالهم .

وقال عبد المهيمن فى استنكار :

ـ غير معقول .. إنه سبة فى حقنا ..

وقال عبد القادر :

ـ مافائدة وجودنا إذا كانت الرعية ..

وأكمل عبد الراضى مقاطعه :

ـ سائبة على حل شعرها ..

وأكد عبد القادر قوله :

ـ أجل .. يجب أن نوقفها عند حدها ..

وقال عبد المهيمن :

ـ لابد أن نفعل شيئا ..

ثم نظر إلى عبد الخبير قائلا :

ـ أظن من الحماقة .. أن نتركها فى هذه الفوضى .. إن من حقنا .. بل من واجبنا .. التدخل .. مارأيك يادكتور ؟

وأطرق عبد الخبير مفكرا ثم قال : بعد لحظة :

ـ أعتقد هذا .

وتساءل عبد الطيف :

ـ كيف ؟

وقالت شهيرة :

ـ نوجهها إلى الخير.. نهديها سواء السبيل .. إننا بذلك نكون قد حققنا نصرا هائلا .. إنه يمكن أن يحدث ضجة فى الأرض . يمكن أن يكون

مانشيت غير معقول .

وقال عبد الخبير :

ـ مانشيت إيه ياشهيرة .. إننا نحاول أن نهدى رعية .. ولسنا فى سبيل سبق صحفى .

وقال عبد المهيمن :

ـ ليس هذا وقته .. المهم أن نبدأ عملنا فورا .

وقال عبد القادر متسائلا :

ـ هل ستوجه الرعية كلها بالأشعة ؟

ورد عبد الخبير قائلا :

ـ إن هذا يعتبر هدما لمركباتها .

وتساءل عبد المهيمن فى دهشة :

ـ ماذا تقترح إذن ؟

ـ أقترح أن نوجه أحدها .. إلى هدايتها . أن نغير تركيبه . ونشحنه بما نريد أن يهديها إليه ..

وقال عبد المهيمن مفكرا :

ـ معقول ..

وقال عبد القادر فى تردد :

ـ لنجرب .

١٨ ـ الهداية

بدأت عملية إنقاذ الرعية من موجة الفساد والانحلال التى توشك أن تدمر كونها . وأخذت جماعة السفينة يبحثون عن وسيلتهم لهدايتها من الضلال الذى انحدرت إليه ومن تماديها فى الانحراف والعبث .

كان لابد من وقف العدوان والظلم والاستعباد والسرقة والغش والكذب والسكر والزنا . التى قادت إليها التركيبة البشرية .. وبدت كأنها أمر طبيعى تحتمه الحاجة إلى الطعام والرغبة فى الجنس .. واللهفة على التميز بكل ما يجره من صراع ويدفع إليه من استغلال الغير فى سبيل التفوق فى سباق الحياة من أجل الحصول على أكبر متعة بأقل جهد .

وجلست الجماعة تتدبر أمر المختار الذى ستهتدى به الرعية وقال عبد المهيمن وهو يرقب عقرب الساعة يتحرك :

ـ دعونا ننتهى بسرعة .. فالسنون تمر سراعا .. ولقد أوشك قرن من حكمنا على الانتهاء ..

وتساءل عبد الراضى مستفسرا وهو يهز رأسه فى دهشة :

ـ قرن !!! قرن إيه .. فلفل ؟

ونظر إليه عبد اللطيف فى غيظ قائلا :

ـ قرن زمنى .. يعنى مائة عام .

وتساءل عبد الراضى وهو يبسط كفيه فى استسلام :

ـ مضى بنا مائة عام ؟ .. جائز .. كل شىء جائز فى هذه الدنيا العجيبة .

وعاد عبد المهيمن يقول :

ـ إن علينا أن نسرع بانتقاء الإنسان الذى سيهدى الناس من الضلال .
وأردف عبد القادر قائلا فى حزم :
ـ أجل .. يجب أن نوقف به هذا الفساد وهذه الفوضى .
وتساءلت شهيرة فى دهشة :
ـ ولكن هل سيستطيع ؟
ـ ولم لا ؟.
ـ ألن يكون مجرد بشر .. واحد منهم ؟
ـ أجل ..
ـ إذن كيف سيقنعهم ؟
ـ بما سنوجه فيه من إشعاع الهداية .
وتساءل عبد اللطيف :
ـ وما هى المواصفات المطلوبة منه ؟
وقالت شهيرة :
ـ يجب أن يكون خارقا ..
ورد عبد الخبير متسائلا :
ـ لاأظن !! إنه سيكون مجرد إنسان .
ورد عبد الراضى :
ـ مجرد إنسان .. يعنى عليه العوض .
ـ لماذا ؟.
ـ لأنه سينغمر فى الهيصة .. وسيفعل كل ما يفعلون .
وقال عبد الخبير :
ـ إنى أقصد بمجرد إنسان .. أن يكون له كل صفات الإنسان .. فمن خلال بشر منهم يمكن أن يقتنع البشر .. ولكنه يجب أن يختار جيدا .. وأن تكون نسبة المركبات البشرية فيه .. قادرة أن تمكنه من أن يردع نفسه هو .. عما يحاول أن يردع عنه الآخرين .. وأن يكون بطبيعته صالحا لأداء مهمة

الهداية .. بحكم جاذبية تركيبه لغيره من البشر .

وقال عبد اللطيف :

ـ إننا سنحتاج إلى وقت طويل لاختباره .. وبالحساب الزمني للكوكب قد يقضي نحبه قبل أن يكتشف .

ـ لن تستغرق مهمة الاختبار أي وقت .. لأننا نستطيع استكشافه بالعقول الإلكترونية في لحظات .

وقال عبد القادر :

ـ إذن يجب أن نسرع .. إن الوقت سرقنا .. والفوضى قد شاعت .

ولم تستغرق المهمة ـ كما قال عبد الخبير ـ أي وقت .

بعد لحظة .. كان المختار قد بدا في اللوحة .. على شاطىء عند أسفل شجرة مورقة الظلال .

ونظر إليه الجماعة مأخوذين .

وتساءل عبد الخبير :

ـ ما رأيكم ؟.

وردت شهيرة وهي تنظر إليه في إعجاب :

ـ جميل ..

وأحس عبد اللطيف بالغيرة تلسع صدره فقال وهو يهز رأسه في استخفاف :

ـ شكله لطيف .. ولكنه مجرد رجل .

وتساءل عبد الراضي :

ـ أهذا هو الذي سيهدي .. هؤلاء الفجر ؟

وقال عبد الخبير :

ـ أجل ..

ـ والله سيأكلونه ؟!

ـ لماذا ؟

ـ لن يخافوا منه .. إنه يحتاجون .. إلى « جتة » .. لو نفض واحد منهم يدا .. لجابه أرضا .

وسأل عبد القادر فى دهشة :

ـ ماذا تظنه .. فتوة ؟.

وقال عبد الراضى مؤكدا :

ـ هذا الصنف الفاسد لاينفع معه إلا الدق .. وهذا رجل أمير.. وسيرونه نجوم الظهر .. اسمعوا كلامى .. هذه الرعية تحتاج إلى رجل بشومة يربيهم جيدا .. وليس إلى هذا الرجل الطيب .

ورد عبد اللطيف :

ـ ياعبد الراضى .. نحن لا نريد أن نعاقبهم .. إننا نريد أن نهديهم .

ـ وإذا لم يهتدوا ؟

ـ نهددهم بالعقاب .

ـ متى ؟.

ـ بعدين .. فى الآخر .

ـ لاينفع .

ـ لماذا ؟.

ـ يا أخى قلت لاينفع .. لايوقف الذنب إلا عقاب عاجل .. أما العقاب المؤجل فكالدين المؤجل .. لايعمل الإنسان حسابه ..

وقال عبد الخبير :

ـ العقاب العاجل هذا .. عقاب أرضى .. يمكن وضعه بتشريعات وقوانين .

ـ ومن الذى يضعها ؟

ـ هم أنفسهم .

ـ وماذا يفعل المختار إذا ؟

ـ إن المختارسيبشرهم بالصواب وبالخطأ .. ويوضح لهم نتيجة

حساناتهم وسيئاتهم .. ويدعوهم إلى الخير .. وينهاهم عن الشر .. ويوضح لهم أصول التعامل .. فإذا لم يهتد الضالون منهم ويرتدع العصاة .. فإنه سينذرهم بيوم القصاص .

وهز عبد الراضي رأسه غيرمقتنع وقال مؤكدا :

ـ هذا كله كلام لايجدى مع البشر.. الولد ابنى كان لايردعه إلا القلم يرن على صدغه .. أما النصح .. والتخويف بالنار والإغراء بالجنة فذلك .. لم يدخل رأسه قط .

ثم صمت عبد الراضي برهة وأردف :

ـ ولا رأسى أنا ؟.

وقال عبد المهيمن مستنكرا :

ـ نحن لا نستطيع أن نبعث لهم هاديا يرقع أصداغهم .

وقالت شهيرة :

ـ هذا ليس شغل آلهة .. وإنما شغل بلطجية ..

ورد عبد الراضي مستسلما :

ـ أمركم ! ..

وقال عبد المهيمن فى عجل :

ـ إن علينا أن نبدأ الهداية .. فالوقت يمرسريعا .. ولقد مضى بضعة شهور .. منذ أن بدأنا المناقشة .

وقال عبد الخبير :

ـ إنى مستعد لإرسال أول شحنة من شحنات الهداية إلى المختار.

وقال عبد القادر فى لهجة مترددة :

ـ ولكن .. كيف سيواجه الناس .. وهو بشرعادى ؟

ـ إنه ليس مجرد بشرعادى .. إنه مرسل من قبلنا ؟

ـ وكيف يعرفون ؟

وقال عبد اللطيف معقبا :

ـ بل كيف يعرفون .. من نكون نحن بالنسبة لهم ؟ إنهم لم يعرفوا شيئا عنا .

ورد عبد الخبير :

ـ ربما لايعرفون .. ولكنهم يحسون أن هناك شيئا فوقهم .. أقدرمنهم.. بنفوسهم لهفة على أن يحملوه فى كثير من الأحيان .. مسئولية أنفسهم .. ومتاعبهم .. وخطاياهم ويفزعون إليه .. فى الضيق .. ويسألونه وقت الحاجة .. قد يتمثلونه فى حجر أو فى نجم .

وتساءل عبد القادر :

ـ ليس بالتحديد .. سيجمع هذا الشعور نحو القادر المجهول .. ليركزه فى مسئول واحد .. بدل الحجارة والكواكب .. والشمس .. والنار.

وقال عبد المهيمن :

ـ إذن سنبقى مجهولين .

ـ مجهولى التفاصيل .. ولكننا معروفو القدر والجهد والعمل ..

ولم يبد على وجه عبد المهيمن الارتياح .

وقال عبد القادر :

ـ ولكن .. المفروض .. أن يكون هناك نوع من التعريف .. والتقدير .

ـ كيف ؟!!

وقال عبد الراضى ببساطة :

ـ مثلا .. تعلق صور الكابتن عندهم ..

ورد عبد الخبير باستنكار:

ـ أهذا معقول :

ثم أردف بعد لحظة :

ـ إنها تصرفات أرضية .. إنها إقلال من مركزنا .

وقال عبد اللطيف :

ـ ثم لماذا صورة الكابتن .. ألسنا قيادة جماعية ؟

وقال عبد الراضي :

ـ إذن نتصور صورة جماعية .. ونرسل منها آلافا على الكوكب .

وسألت شهيرة :

ـ كيف ؟

ـ نلقيها من هنا كما تلقى المنشورات .

وقال عبد اللطيف وهو يضرب كفا بكف :

ـ ياناس .. هذه فضيحة .. تصوروا صورة آلهة .. تلقى على البشر من فوق كالمنشورات .. غير معقول .

وقال عبد الراضي ببساطة :

ـ والله نوفر لهم .. تكاليف الطبع والورق .. ما رأيك يا كابتن ؟

وقال عبد المهيمن يفكر:

ـ نرسل إليه صورة ستة ..

وقال عبد اللطيف في سخرية :

ـ كأنها إحدى فرق الرياضة المدرسية .

وقال عبد الراضي مؤكدا :

ـ وأنت في الوسط ياكابتن .

وهز عبد المهيمن رأسه وقال مستنكرا :

ـ لا .. لا إنه قلة قيمة .. ستضيع هيبتنا ..

وقال عبد القادر:

ـ من الخير أن نبقى هكذا مجهولين .. لندعهم يتصورننا كما يشاءون .

وقال عبد المهيمن :

ـ أجل .. إن تخيلاتهم ستجعلنا .. أروع من أية صورة يمكن عملها .

ووجه القول إلى عبد الخبير قائلا :

ـ هيا يادكتور .. ابدأ عملك .. أرسل الشحنة إلى المختار .

وتساءل عبد اللطيف :

ـ ولكن كيف سيقنعهم .. أنه مختارنا ؟..

وأردف عبد القادر قائلا :

ـ لابد من دليل .

وقالت شهيرة :

ـ معجزة ؟!

وقال عبد الراضى ببساطة :

ـ يرمى العصا .. تصبح ثعبانا .

وبدت الحيرة على عبد الخبير وقال :

ـ العصا .. تصبح ثعبانا ؟!!

ثم عاد يتمتم مفكرا :

ـ العصا .. ويمكن تدبيرها .. ولكن الثعبان .. مشكلة .

وقال عبد القادر :

ـ ياأخى دبرها بأى شيء .. تمساح .. قرد .. أى شيء .. المهم أن .. يضرب العصا .. فتصبح شيئا يجرى .

واستمرت الحيرة تبدو على وجه عبد الخبير وهو يتمتم قائلا :

ـ ثعابين وتماسيح وقردة ..

وقال عبد الراضى مستنكرا :

ـ غلب حمارك .. والاسم . سيطرة .. وحكم .. وتأله .. والله لو مرزوق الحاوى هنا .. لعملها .. لقد كان يحول الثعبان إلى فطيرة بزيت .. الله يرحم الأرض واللى عليها ..

ورد عبد اخبير فى غيظ :

ـ ياعم عبد الراضى .. نحن هنا لسنا حواه .. تحول الثعابين إلى فطيرة . إن مهمتنا اسمى من هذه الألاعيب .

وقالت شهيرة :

ـ إذن اجعله يبصر الأعمى .. أو يحيى الميت .

وقال عبد الراضى :

ـ أظن هذا ليس بشغل حواه .. أرنا شطارتك .

وقال عبد الخبير :

ـ إحياء الميت ؟ ! جائز .. يمكن إجراء عملية زرع قلب .

قال عبد اللطيف :

ـ لاياد كتور .. عملية زرع القلب .. تحتاج إلى بنج وهيصة . وقد تنجح أو لا تنجح .. وليس هذا شغل معجزات .. يجب أن يحييه بلمسة .

ـ بلمسة ؟

ـ أجل هذه هى المعجزة .

ـ أو نوحى إليه برسالة .. يعجز بشر عن قولها .

وبدا الشرود على وجه عبد الخبير واستغرق برهة فى التفكير ثم قال فى ضيق :

ـ لماذا تعقدونها هكذا .. أليس المهم أن يأتى بأشياء يعجزون عنها ؟

وقال عبد اللطيف مؤكدا :

ـ أشياء تبهرهم .. وتذهلهم .

وقال عبد الخبير :

ـ هذه ليست معضلة .. إن جهاز ترانزستور بدائى بسيط .. يمكن أن نوحى إليه بتركيبه .. ثم نرسل له عليه مانشاء من موسيقى وأصوات مختلفة .. سيحدث به ضجة وسطهم .. سيبهرهم به .

وضرب عبد الراضى كفا بكف قائلا :

ـ ياناس ياعالم ! ..

ـ ما بالك ؟

ـ أسنصبح فى آخر العمر .. آلهة ترانزستور.

ـ وماذا فى ذلك ؟.. إننا لو دبرنا له جهازا صغيرا .. أؤكد لكم أنه .. سيصنع به المعجزة .

وتساءل عبد القادر :

ـ ولكن كيف يصنعه ؟

ـ بأشعة التوجيه يمكن أن نجعله يصنع جهازا بسيطا من الخامات المحلية في الكوكب .

وتساءل عبد المهيمن :

ـ أهذه ستكون كل معجزته ؟

ـ أليست كافية ؟ .. إنه سينطق الجماد .. وسيبعث الموسيقى من الحجر ..

وهز عبد المهيمن رأسه وهو يقول :

ـ دعونا نر ..

وأردف عبد القادر :

ـ لنجرب إلى أى حد تنفع المعجزة .

ونظر عبد اللطيف إلى عبد الراضى ضاحكا :

ـ لوأحضرت الراديو الذى كنت تعلقه فى رقبتك .. طالع نازل فى المجلة .. لأصبحت هنا ذا شأن .. لكنت صاحب معجزة .

وقالت شهيرة :

ـ كنا قذفنا به على الكوكب .. وجعلناه مختارا ..

وقال عبد الراضى فى حماس :

ـ كنت ربيتهم .. وأمشيهم على العجين .. أنا أعرف أن البشر لاتنفع معهم غيرالعين الحمراء .. ولكن مادمتم قد أخذتم هذا الجدع الأمير .. فلنر ماذا سيفعل .

وبدأت عملية الهداية فى الكوكب .

أرسلت إلى المختار الشحنة .. واهتدى إلى عمل الترانزستور.

وبدأ رسالته بين الناس ..

أنبأهم أنه قد اختير لهدايتهم .

ونهاهم عن الشر والضلالة .. القتل والسرقة والغش والكذب وحذرهم من الميسر والخمر والزنا ...

ولم يعبأ به أحد .

كانت متعة الذنوب أشد جذبا .

وبدأ يلوح بالحجر الناطق .. صدرت منه أصوات هادرة تارة .. وناعمة أخرى .. وفزع الناس .. من المعجزة الصغيرة .

التفوا حولها .. فدعاهم إلى الهداية ..

وشد البعض إلى حديثه .. وسخر منه البعض الآخر .

وبقدرته على الجذب .. وبقوة منطق هدايته .. بدأ التفاف الناس حوله ..

وأثار التفاف الناس حوله انتباه المتميزين من قادة .. وحكام ..

وبدأوا يخشون على نفوذهم منه .. ويغارون على مراكزهم ..

وأثارت دعوته دعوة مضادة ..

وبدأ الهجوم عليه ومطاردته ..

وشكلت الدعوة والدعوة المضادة .. نوعا جديدا من الصراع .. بين أتباعه .. وخصومه .

وفوجئت جماعة السفينة .. بعملية الهداية .. تتحول إلى معركة .

وصاح عبد الراضى فى فزع :

ـ الحقوا .. الضرب للركب .

وصاح عبد اللطيف :

ـ يانهار أسود .. الفجر يهاجمون المختار وأنصاره ..

وقال عبد المهيمن وهو ينظر إلى المعركة فى جزع :

ـ مصيبة .. يجب أن نفعل شيئا ..

وقال عبد القادر :

ـ أجل . غيرمعقول أن نترك مختارنا يضرب .

وصاحت شهيرة فى جزع :

ـ من فضلكم الحقوه .. حرام .. حرام ..

وتساءل عبد الخبير فى دهشة :

ـ ما كل هذه الولولة ؟

ورد عليه عبد اللطيف زاجرا :

ـ يا أخى .. اختشى على دمك .. الحق الراجل بتاعنا .

ـ وماذا تريدون منى أن أفعل ؟..

وقال عبد الراضى فى حماس :

ـ سيبونى عليهم .. أصيح فيهم .

وقال عبد المهيمن :

ـ أجل .. إنها هزيمة لنا نحن .

وسأل عبد الخبير ببرود قائلا :

ـ هل تريدون أن تدخل فى معركة مع البشر؟

وصاح عبد الراضى :

ـ آلهة تدخل فى خناقة مع البشر .. أسمعتم عن هذا ؟

وقال عبد الراضى :

ـ إنهم غجر.. وليسوا بشرا .. الحق المختار.. إن أحدهم يحاول أن يقترب منه بشومة .

وصاح عبد المهيمن :

ـ لايمكن أن يضرب .

ـ ولماذا ؟

ـ لأنه .. لأنه .. قد يموت .

ـ وماذا يحدث ؟

ـ المختار يموت ؟

ـ أليس بشرا ؟

ـ يجب أن نحميه .. يجب أن ننصره .

ـ إننا لانستطيع أن نكون طرفا فى معركة .. لقد أرسلنا لهم الهداية .. من أجل أنفسهم .. فليقبلها من يشاء وليرفضها من يشاء .. وكل منهم يحمل مسئولية .. تصرفه .. إننا منذ البداية رفضنا مبدأ التدخل الفردى فى شئونهم .. وقررنا أن نتركهم يتحركون بمركباتهم .

وقال عبد اللطيف فى غيظ :

ـ ياأخى .. إن حصيلة مركباتهم .. ضد كل أنواع الهداية .

ـ ليست ضدها على الإطلاق .. إن حصيلة بعض المركبات تتجه أحيانا إلى الخير .

ـ ولكن المركبات البشرية فى جملتها تدفع إلى الخطايا .. متعة الطعام ورغبة الجنس ولهفة الطموح والتميز .

إنها كلها تدفع إلى صراع .. تقود إلى الخطايا .. إننا ننهب المتع .. ونختطفها اختطافا .. وكل قبضة متعة يدفع إليها تركيبنا البشرى .. تشكل ذنبا ..

وقال عبد الخبير:

ـ وماذا فى ذلك ؟.. إن الخطايا جزء من البشرية .. إنها أحد معالمها الهامة .. وبغيرها.. تصبح صورة البشرية .. ناقصة شوهاء ..

وفجأة صرخ عبد الراضى جزعا :

ـ يانهار أسود .. المختار مات ..

وانطلق الصوات مدويا من حنجرة شهيرة .. وعلا البكاء .

ـ ياحرام .. لقد كان خير من فيهم .

وقال عبد اللطيف :

ـ لقد جنينا عليه .. نحن الذين دفعناه إلى ذلك .. إن دمه فى عنقنا .

وقال عبد المهيمن فى أسى:

ـ ضاعت قيمتنا .

وأردف عبد القادر :

ـ واهتز مركزنا .

ـ كان يجب أن نتدخل .. كان علينا أن نحميه .

وقال عبد الخبير:

ـ لانستطيع أن نتدخل لحماية أحد .. يجب أن يمارس كل مخلوق حياته .. ويخوض الصراع مع نفسه ومع الآخرين ويتحمل مسئولية .. حركته الإرادية .. ومسئولية قدرته على الصراع مع القوى المضادة .. التى تتحرك فى مجاله . وقال عبد اللطيف :

ـ والآن ماهو مصير الكوكب بعد أن ضاع مختارنا .. وانتهت رسالته ؟

وقال عبد الخبير :

ـ إنه لم يضع .. إنه الآن قد وجد .. ولم تنته رسالته .. بل بدأت .

ولم يتجاوز عبد الخبيرالحقيقة .

فقد أكد موته .. وجوده الحقيقى بين الناس .

وحددت وفاته .. بداية رسالته بينهم .

بعد موته .. زاد أنصاره .. وسرت رسالته سريان النارفى الهشيم ..

وفوق حفرة ثوى فيها .. قامت قبة .. أضحى لها من الأثر فى الناس أضعاف أضعاف ماكان لشخصه قبل أن يثوى تحتها ..

واتسعت رقعة نفوذه ..

وأصبح لأتباعه .. قداسة .. لم يحلم بها هو ..

وتحرك عقرب الساعة ..

وزادت القباب على الأرض .. يثوى فيها الأتباع وأتباع الأتباع ..

وزاد التفاف الناس حولها ..

وأضحت القباب .. مجالا للهداية .. وأضحى للهداية .. مراسم .. وطقوس .. وأسرار .. وطلاسم .. لايقدر على حلها إلا أصحاب الهداية .

وتحولت الهداية إلى حرفة .

والحرقة إلى نفوذ وسلطان ..

ونسى أصحاب الهداية ..الهداية ذاتها .. فقد غلب على تفكيرهم الاحتراف المهنى .. ولم يعد جوهر الهداية .. يشغل رءوسهم .

ولم يعد غريبا .. أن ينهى سارق عن السرقة .. أو يحرم زان من الزنا .. ويحذر كذاب من الكذب ..

فلم يعد شروط الهداية اتباع أصولها .. وإنما معرفة .. أسلوبها وممارستها على الغير .

وضاعت جماعة السفينة وسط .. فيض الهادين المحترفين ..

ونظر عبد اللطيف إلى اللوحة ذات صباح وهتف قائلا : .

ـ ياعالم .. هل للهادين من هاد ؟

وهز عبد المهيمن رأسه فى يأس وقال :

ـ لافائدة .. لقد عاد العالم إلى فوضى أشد .. استغلال واستعباد وظلم . وسرقة .. وغش وسكروعربدة .. واستأسد المتميزون والزعماء والحكام الهداة ... ونهبوا الأقوات .. ولم يتركوا للناس غير الفتات .

١٩ ـ الغضب

جلست جماعة السفينة يرقبون اللوحة في حيرة .

لقد تحولت الرعية ... إلى قلة مستغلة .. وكثرة مستعبدة .

دفعت رغبة التميز والطموح .. واستحواذ الفرد على أكبر قدر من ملكية الأشياء .. إلى التدافع بالمناكب في طريق الحياة ..

ومنح المتميزون ـ الكوكب ـ خلال سباق الطموح الذي يخوضونه .. الكثير من مظاهر التقدم .. والتطور .. مما استطاعوا أن يقدموه من ابتكارات الذهن .. أو من خلال تنظيم العمل واستغلال جهدالرعية لإنتاج أكبرقدر من أسباب الرخاء .. أو من خلال قيادتهم في العدوان على أرض الآخرين ونهب مواردهم .. وبدأت جماعات المتميزين تستعبد جماعات بأكملها ممن لم تعرف التميز بعد . وتستغل جهودها وتحتكر خيراتها .. بممارسة القوة والعنف .

وكانت حصيلة الرخاء بعد كل هذا تتجمع في أيدي القلة المتميزة التي تقود القطيع بعد أن يكد القطيع في إنتاجها .. أو يمارس العنف مع الآخرين في الحصول عليها لقاء الكفاف الذي يكاد يبقيه قادرا على مواصلة العمل من أجل استخراج أسباب الرخاء .

وفي سباق الطموح والتميز .. طوت القلة .. الكثرة تحت أقدامها .

ومع الزمن .. لم يعد تميز الفرد في التركيب هو وحده القادر على دفعه أمام الآخرين ..

ولكن بات السبق نوعا من الميراث يمنح للذرية .. رغم انعدام .. مركبات التميز بينهم .

استطاع الأقوياء والأذكياء .. وأصحاب المواهب والأشرار.. والخبثاء .. والبخلاء وغيرهم ممن يملكون مركبات التميز .. أن يتقدموا السباق وأن يحصلوا على قدر أكبرمن أسباب الرخاء فى جيل من الأجيال .. واستطاعت ذريتهم .. ممن لم ترث مركبات التميز .. أن ترث أسباب الرخاء جاهزة .. وأن تحتل مكانا فى السباق .. وضعت فيه دون أن تملك القدرة على الوصول إليه .

احتلت القلة المتميزة .. القمة .. ووضعت فيها ذريتها .. واستمرت الكثرة من البسطاء .. عديمى التميز .. من أصحاب المركبات العادية .. تكد فى السفح .. لتيسر أسباب الرخاء للجالسين على القمة ..

ووجد الحكام الكبار فى السفينة .. رعيتهم .. غرقى فى بحر من الحرمان والشقاء والتعاسة .. والقلة القليلة تستأثر بما فى أرض الكوكب من خيرات وتستمتع بكل أسباب الرخاء والرفاهية .

وتبادلت الجماعة نظرات الحيرة والقلق .

وتمتم عبد اللطيف قائلا :

ـ أهذا معقول ؟ .. كل هذا الحشد الهائل يكد ويكدح ويتقاتل من أجل أن تعيش هذه القلة متخمة .

ورد عبد القادر :

ـ وماذا نفعل لهم .. لقد استطاع الآخرون بتميزهم أن يحصلوا على ماحصلوا عليه .

وأشار عبد اللطيف إلى مكان فى اللوحة قائلا :

ـ وهذا الفتى الأبله الذى ورث حكم هذه القبيلة هل يملك من صفات التميز ما يبرر له كل هذا السبق الذى حصل عليه ؟

ورد عبد القادر :

ـ هذه تركة أبيه ..

وعاد عبد اللطيف يتساءل وهويشير إلى مكان آخر فى اللوحة

ـ وصاحبنا هذا الذى يملك كل هذه الأراضى .. إنه لم يعد يستعمل مركبات التميز فيه .. لقد تبلدت كل مركباته .. وباتت ممتلكاته .. وتبعية الآخرين له .. واحتياجهم إليه .. هى وحدها .. مبررات التسلط .. وأسباب السيطرة ومنابع الرخاء والرفاهية لشخصه .

وتساءل عبد المهيمن فى حيرة :

ـ وماذا نستطيع أن نفعل ؟

وقالت شهيرة :

ـ نفعل أى شىء .. ينقذ الرعية من هذا الحرمان والشقاء .

وقال عبد الراضى :

ـ إياكم والهداية .. لقد باتت حرفة الهداية .. إحدى وسائل الاستغلال والاستعباد .

وأشار عبد الخبير إلى مكان ما فى اللوحة قائلا :

ـ معك حق يا عبد الراضى .. هذا الرجل الذى أطلق لحيته .. قد أضحى حاكما بأمره وبأمر الهداية ..

وقال عبد الراضى :

ـ وقد طاح فى الرعية .. يفعل فيها مايشاء .. إلا الهداية .

وقال عبد المهيمن :

ـ غير معقول أن نسكت على كل هذا .. لابد من تغيير شامل .. فى أسلوب حياة الرعية .

وتساءلت شهيرة :

ـ كيف .. ؟

وقال عبد المهيمن :

ـ إما أن نزيل هذه القلة التى تستأثر بكل ما فى الكوكب من خيرات .

وهز عبد الخبير رأسه وقال مستنكرا :

ـ ونترك الكوكب بلا موهوبين يهيئون له التقدم والإزدهار ويبتكرون

بمواهبهم أسباب الرخاء .

وردت شهيرة :

ـ ولكنهم يسخرون المجموع لإنبات الرخاء ويحصدونه لأنفسهم .

وقال عبد اللطيف : ولو حرمنا المجتمع من موهوبيه .. لاستئثارهم بالرخاء .. لاستأثر به المدعون من بين القطيع .. حتى يأتوا عليه دون أن يملكوا ابتكار المزيد من أسبابه ..

وقل عبد المهيمن فى اقتناع :

ـ أجل .. معكم حق .. ليس من الحكمة حرمان المجتمع من موهوبيه .. ولكن الحكمة فى أن نبقيهم ونخضعهم له .. أن نجعلهم يعملون من أجل كل الناس .. وليس من أجل أنفسهم .

وتساءل عبد الراضى ببساطة :

ـ لماذا ؟

ورد عليه عبد القادر متسائلا فى استنكار:

ـ لماذا .. لماذا ؟

ـ لماذا يعملون .. إذا كانت نتيجة كدهم ستؤول إلى الغير ؟

وقال عبد المهيمن :

ـ لأن كد الناس أيضا سيذهب إليهم .. إن الجميع سيعملون .. وسيتقاسمون بالعدل نتيجة عملهم .

وقال عبد الخبير :

ـ الكل من أجل الكل ..

وأكد عبد المهيمن قوله :

ـ أجل .. ليصبح كل شىء على الكوكب ملك كل الناس فيه .. وليعمل الكل .. من أجل الكل .. وليوزع ناتج الكل .. على الكل .

وتساءل عبد اللطيف :

ـ والذى لا يعمل ؟

وأجابه عبد القادر :

ـ لايحصل على شيء .

ـ ربما كان عاجزا عن العمل .

ـ تؤمن له وسائل العيش بواسطة الكل .

ـ والذى يعمل أقل ؟

ـ يأخذ أقل .. والذى يعمل أكثر يأخذ أكثر .

ـ وماهى مقاييس العمل .. الكم .. أو الكيف ؟.

ـ الاثنان ..

ـ وإلى أى مدى يجزى الأكثر عملا ؟

ـ إلى الحد الذى يمنحه الحياة الطيبة .. دون أن تتحول حصيلة عمله . إلى وسيلة للاستغلال ..

ـ تعنى أن يصبح العمل وحده وبطريقة مباشرة .. هى الشيء المجزى فى الحياة .. ولا تصبح مضاعفاته .. هى الوسيلة غير المباشرة .. للرخاء .

ـ أجل .. فلكى ينعم الإنسان لابد أن يعمل .. العمل فقط هو المستخرج لوسائل الرخاء .

وقال عبد الراضى وهو يهز رأسه فى حيرة :

ـ ماذا تعنون . وأى جديد فى هذا ؟ طول عمرنا.. لانحصل على اللقمة إلا بالكد .

وقال عبد المهيمن :

ـ نحن لانعنيك يا عبد الراضى ولانعنى أمثالك من الرعية التى يمتلىء بها الكوكب .. إنما نعنى أصحاب الأموال المكدسة .. التى تصبح وحدها .. الوسيلة .. لانتزاع الرخاء .. بواسطة جهود الرعية .

وقال عبد اللطيف بعد فترة صمت :

ـ هذا كلام طيب .. ولكن كيف نطبقه ؟

وقال عبد القادر :

ـ هل نجرب الهداية مرة أخرى ؟

وهز عبد الخبير رأسه فى شك :

ـ لا أظنها يمكن أن تجدى .. بعد أن كفرت الرعية بمحترفى الهداية .. بعد أن تحولوا إلى مستغلين أو أتباع للمستغلين .. وبعد ماطمس زخرف الهداية الزائف جوهرها الأصيل .. وبدل أن تكون وسيلة للتقدم أصبحت حائلا دونه وضاع الإيمان بالخالق فى خضم الخرافات والأباطيل .

وقالت شهيرة :

ـ ولكن لماذا لا نحاول أن نهدى القلة المستغلة المتحكمة لعلها تقتنع بالحسنى بإعطاء الرعية حقوقها .. وتنظيم توزيع ناتج العمل بينها بطريقة عادلة ؟

ورد عبد الخبير :

ـ قد يقتنع البعض .. بل إن البعض يمارسه فعلا .. ولكن الكثرة لن تسلم بترك ما فى يدها .

وأردف عبد المهيمن متمما قوله :

ـ إلا إذا انتزع .

وتساءل عبد اللطيف :

ـ كيف .. إذا كانت الهداية لم تنفع ؟

ورد عبد المهيمن :

ـ قد ينفع الغضب

ـ غضب من ؟

ـ غضب الرعية كلها .

ـ سيصبح الكوكب فوضى .

ـ قد تعم الفوضى فى أول الأمر ولكن بعضهم سيبرز لتنظيم الغضب .

وهز عبد الراضى رأسه وقال فى دهشة :

ـ أهذا كل ماوصلنا إليه ؟

وسأله عبد اللطيف :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى بعد كل هذه الحيرة .. والمناقشة .. لم نجد حلا سوى أن نزعل الرعية ..

ـ ليس مجرد زعل .. بل غضب .

ـ وهى ناقصة غضب ياأستاذ ؟

وقال عبد الخبير :

ـ نرفع درجة الغضب .

وأكد عبد القادر :

ـ إلى درجة الغليان والانفجار.

ورد عبد الراضى فى جزع :

ـ ياساتر .

وهز عبد المهيمن رأسه مؤكدا :

ـ لم يعد بد من هذا .. إنها الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الرعية من وهدة الحرمان والشقاء التى تتردى فيها .

ونظر إلى عبد الخبيرقائلا :

ـ هيا يادكتور.. ابدأ أعملك .

وبدأت موجة الغضب فى الكوكب .

تدفقت الرعية .. تهدر وتزأر. ووقع الصدام .. بين الرعية المحرومة الزاحفة فى السفوح .. والقلة المستغلة المتخمة المتربعة على القمم .

ولم يستغرق الصدام كثيرا ..

قطفت الصحبة المتميزة .. وطوتها الأقدام .

واستمر الغضب ..

لم ينه قطف الصحبة .. حال الحرمان والشقاء .

ونبتت من بين الرعية صحبة مستغلة أخرى . سرعان ما قطفت ..

وبدت فى اللوحة رءوس تتدحرج .. يربطها خيط أحمر من الدماء ..

وانقضت الرعية تفتك ..وتحطم .. وتدمر .

وبدأ بعض المتميزين يبرزون لقيادة الغضب .. وتنظيمه ..

وانقسم أهل الكوكب إلى جماعات متعددة .. حسب درجات الغضب فيها ... ونتائجه وتنظيمه .

جماعة .. كان الغضب أهدأ .. فانتزعت الرعية من القلة المتميزة بعض حقوقها .. التى تمنحها درجة من الرخاء والأمان .. بعمل أقل وأجر أكبر وأمان من العجز .. كما منحت حق الشكوى من الظلم والاحتجاج عليه. وبقيت القلة تسيطر على موارد الرخاء .. وتنظم فيها جهد الرعية وإنتاجها.

وجماعة بلغ الغضب أشده .. فانتزعت الرعية كل شىء .. ولم يعد أحد منها يملك أى شىء .. وبات الكل يملك الكل .. والكل يعمل من أجل الكل .. والكل يوزع على الكل .

وجماعة أبرز الغضب فيها فردا متميزا .. جمع قيادة الكل فى يده .. ودفع بهم فى طابور منتظم من أجل العمل الشاق فى سبيل تحقيق الرخاء للجماعة وفى سبيل تميزها عن الجماعات الأخرى .. والعدوان عليها .. وتحقيق السيادة عليها .. من أجل توسيع رقعة مجده وسيطرته .

وبقيت جماعة .. خارج نطاق الغضب .. لأنها لم تعرف التميز .. ولا التطور والتقدم .. وأضحت تمثل للجماعة الأخرى .. مناطق نهب وعدوان .. واحتكار للموارد .. واستغلال للجهود .. وبعد هذا كله مناطق صدام وصراع .. بين الجماعات المتميزة من أجل السيطرة والاستعباد .

وجلست جماعة السفينة يرقبون الكوكب .. وما أسفر عنه غضب الرعية .

وأمسك عبد اللطيف بأنبوبة فى يده ليبتلع ما بها وهو يمعن النظر فى اللوحة أمامه .

وربت عبد الراضى ركبته فى رفق منبها :

ـ يا أستاذ .. لقد ابتلعت الأنبوبة كلها .

ـ ومالك أنت ؟

ـ المفروض أن تبتلع بعضها فقط .. حتى يكفينا الطعام لآخر الشهر .

ـ وإذا انتهى قبل آخر الشهر ؟

ـ نموت جوعا .

ـ وإذا انتهى آخر الشهر ؟

وتردد عبد الراضى برهة قبل أن يجيب فى حيرة :

ـ نموت جوعا بالطبع .

ـ يعنى تفرق لها يومين ..؟

ـ على رأيك .. نموت بعد شهر .. أو بعد عشرين يوما .. لاتفرق كثيرا .. والمسألة كلها لاتستحق ..

ـ تقصد مسألة الحكم .. وتوجيه الرعية .

ـ أجل .. إنها لعبة لم تدخل مزاجى كثيرا ... هؤلاء الناس .. متعبون .

وكانت شهيرة قد تمددت على مقعد فى استرخاء .. وعبد الخبير وعبد القادر يتشاغلان فى فحص بعض الأجهزة .. وعبد المهيمن يرقب اللوحة فى اهتمام .

وقال عبد المهيمن يعلق على قول عبد الراضى :

ـ إن حالهم الآن يبدو أفضل .

وهزعبد الراضى رأسه قائلا فى غير اكتراث :

ـ يعنى !!

وتساءل عبد المهيمن :

ـ ما الذى لا يعجبك فيهم ؟

ـ كلهم على بعضهم ..

ووجه عبد المهيمن السؤال إلى عبد اللطيف :

ـ ما رأيك يا أستاذ عبد اللطيف ؟

وكان عبد اللطيف يرقب نقطة معينة في اللوحة وهو يهز رأسه قائلا في حيرة :

ـ إن الزمن هو أسوأ ما في الأمر .. إني لا أكاد أستملح واحدة حتى أجدها قد طارت .. لقد أعجبت حتى الآن بخمسة أجيال .. لاتكاد الواحدة منهن تنضج حتى أجدها قد عجزت .. وماتت .

وضحكت شهيرة قائلة :

ـ ومن تحب الآن ؟

ـ هناك أميرة سابقة .. هاربة من الغضب .

ـ لماذا لاتنقلها ؟

ـ المفروض أن أفعل .

وقال عبد الراضى :

ـ دعها في حالها يا أستاذ .

وأقبل عبد القادر يقول في حزم :

ـ المفروض ألا نتدخل في شئون الرعية .. إنها كما قلنا تتصرف حسب حصيلة تركيبها ..

وهز عبد اللطيف رأسه قائلا في احتجاج :

ـ إنها توشك أن تشنق .

ورد عبد القادر :

ـ إن إرادتها تصطدم بإرادات المخلوقات القاطعة لطريقها .. هذا هو قدرها ..

وقال عبد اللطيف في أسى :

ـ إنها رقيقة .. جميلة .

ونظرت إليه شهيرة وقالت في شبه لوم :

ـ تبدو كأنك أحببتها .

وقال عبد الراضى :

ـ دعيه يا ست شهيرة .. كلها بضع ساعات .. وتنتهى .. إذا لم تمت شنقا .. فستموت بالشيخوخة .

وعاد عبد المهيمن ينظر فى اللوحة قائلا :

ـ لا داعى لتضييع الوقت فى هذه المخلوقة .. أيا كانت .. لتمت أو تحيا .. إنها مجرد قطرة فى بحر.. نحن مسئولون عن الرعية كلها .. ما رأيكم الآن فى حالتها ؟

وقال عبد اللطيف ببساطة :

ـ زفت .

ـ كيف ؟

ـ هذه الجماعة التى منحت الرعية بعض الحقوق .. مازالت القلة المتميزة تسيطر على كل المقادير .

ـ ولكن الرعية تحيا فى رضا .

ـ لأنها تستعبد .. جماعة أخرى .. إنها تنهب مواردها وتستغل جهودها .. لقد أصبحت أراضى هذه الجماعات .. عزبا للجماعات الأخرى .. وأصبح أفرادها عبيدا لهم .. لقد تطور استغلال الفرد للفرد .. إلى استغلال الجماعة للجماعة . أتراهم كيف ينقلون آلاف العبيد .. كأنها قطعان ماشية؟ .. أتراهم كيف يسخرونهم فى الأرض .. ليستخرجوا خيراتها بأبخس الأجور.. ليعيدوها إليهم بعد إعادة صياغتها بأغلى الأثمان .. من أجل أن تعيش رعية الجماعة المستغلة فى رخاء ..

وقال عبد الراضى فى حماس :

ـ كلام مضبوط .

وتساءلت شهيرة :

ـ وما العمل ؟

ورد عبد الراضى ببساطة :

نسخ وحذف

ـ شوية غضب .. وتحل المسألة .

وعاد عبد اللطيف يقول :

ـ والجماعة الأخرى .. يتحكم فيها فرد .. ويسيطر على مقاليدها .. نفخ فيها الغرور والتميز .. وصدقت أنها من طبقة أفضل من غيرها .. وأن عليها السيادة .. وعلى الغير الخضوع .. وطاحت فى جبروتها .. وهددت بإخضاع الكوكب كله لأمرها ..

وقال عبد الخبير مؤمنا على قوله :

ـ أجل .. إنها تهدد كل من حولها .. ولايستبعد أن تشيع الدمار فى الكوكب .

واستطرد عبد اللطيف يقول :

ـ والجماعة الرابعة .. أغلقت على نفسها الأبواب .. تعيش فى حذر ووسوسة .. تخشى الفتنة من الداخل والخارج .. أعطت الكل للكل .. ولكنها ترهب الكل .. خوف الفتنة .. وسادت العمومية .. حتى فقد الفرد خصوصيته .. ضاعت الفتنة مع نفسه .. والفتنة مع الآخرين .. بات يعيش فى ذعر من كل ماحوله ومن حوله .. يرقبهم فى خشية وكأنه متلبس بذنب مجهول حتى من نفسه .. أوكأن جسده شفاف لايستطيع أن يستر ما فى باطنه.. وفقد القدرة على أن يحدث نفسه كما يريد .. أو يحدث غيره بما يجول فى باطنه .. باتت همسته .. تنطلق من ميكروفون .. وكلمته مسجلة على شريط .. وبات يخشى أن يصبح عليه الصباح فلا يعرف أحد له مستقرا .. لقد ربح لقمته . وخسر سره وأمنه .. لقد ضمن وسائل البقاء .. ولكن بالحذر والخشية .. والابتسامة الضائعة .

وقال عبد الراضى :

ـ وشملت غضبته خالقه .

ورد عبد القادر :

ـ لأنه فقد ثقته برجال الهداية .

ورد عبد اللطيف :

ـ ولماذا يخلط بين رجال الهداية والخالق .. إن رجال الهداية بشر مثله .. وقد يخطئون وقد يصيبون .. وهم أنفسهم عرضة للتقويم .. وأساليبهم عرضة .. للقبول أوللرفض .. ولكن الخالق نفسه .. فوق كل شك .. ونقد .. إن الإيمان به قد لا يحتاج إلى وساطة بشر .. إنه مستمد من الحياة نفسها .. ومن كل ما يعجز عنه البشر .

وقال عبد المهيمن :

ـ إنه إمعان في الغضب .. يرفض كل شيء .. ومع الوقت والهدوء .. لابد أن تنبلج الحقيقة .. ويبقى الخالق .. فوق كل شيء وفوق كل شك .

وقال عبد اللطيف :

ـ ومشكلة أخرى في الجماعة .. لقد فقد الفرد حافزه في العمل .. بعد أن ذاب في الكل .. وبعد أن ذوت رغبته في التميز .. لانعدام المزايا التي يمكن أن يحصل عليها نتيجة التميز ..

ورد عبد المهيمن :

ـ كل هذا تفرضه مرحلة الغضب الأولى .. وسينتزع العمل بالفرض والجبر .. وسيجرى كل شيء .. بتخطيط موضوع .. وقد يدهس الفرد .. في سبيل تحقيق مصلحة الكل ..

واعترضت شهيرة قائلة :

ـ ولكن الكل .. مجموعة أفراد .. وإذا دهس الفرد .. فلقد دهس الكل .

ورد عبد المهيمن :

ـ بعد فترة .. من الضيق والمعاناة .. سيحقق للفرد .. مايريد .. ولكن لابد أن يمر بفترة مشقة وجهد وحرمان .. عقب مرحلة الاستعباد وفوضى الغضب .

وقال عبد الخبير :

ـ إنها مرحلة مؤقتة .. وستفرض مركبات الإنسان الطبيعية .. نفسها على كل نظام فى الكون .. اللقمة .. والجنس .. ورغبة التميز هى التى تفرض النظم وهى التى تطورها أو ترفضها .. لاتحملوا للبشر هما .. إذا جاع.. تصبح اللقمة مطلبه الأول .. وإذا شبع .. بحث عن الجنس .. وإذا ارتوى .. تطلع إلى مزايا عديدة .. تميزه عن الحيوان أولا .. ثم تميزه عن غيره من البشر ثانيا .. وكل نظام ضد مركبات الإنسان وضد الطبيعة البشرية .. لن يحتمله البشر إلابقدر مايحققون به غاية ملحة لاتحقق إلا به . فإذا ما تحققت .. فرضت مركباتهم النظام الطبيعى الملائم لها ولاحتياجاتها .

وقال عبد اللطيف :

ـ ولكن المشكلة الكبرى .. فى أن الجماعة.. تصر على أن تدفع بنظامها إلى غيرها من الجماعات .. والجماعات الأخرى .. تصر على رفضه .. ويعتبره بعضها محاولة للوصاية ويعتبره غيرها نوعا من الاستعباد وسلب الحرية .

وتساءل عبد الراضى :

ـ والنتيجة ؟.

ـ النتيجة .. تهديد مستمر بالصراع .. وتوتر دائم بين جماعات البشر.

وقال عبد القادر :

ـ هذا غيرتوبات الغضب الى بدأت تظهر فى الجماعات المستغلة التى بدأت تضيق بالسيطرة والاستعباد .. وبدأت تطالب بحريتها وبحقها فى أرضها .

وضرب عبد الراضى كفا بكف :

ـ مصيبة .. وماذا ستفعل فى كل هذا ؟

وهزت شهيرة رأسها قائلة :

ـ لم تنفع فى الرعية .. الهداية .. ولم ينفع الغضب .. ماذا يمكن أن نفعل به بعد هذا؟

وقال عبد الخبير :

ـ إنها تجلس على فوهة بركان .. من الصراع بين الجماعات .. كل يريد أن يفرض نظامه ..

ـ ولماذا لاتحتفظ كل جماعة بنظامها لنفسها .. مادام يريحها ؟

وتساءل عبد اللطيف :

ـ والجماعة إياها ؟

ـ أية جماعة ؟

ـ الغلابة .

ـ ما لها ؟

ـ أي نظام تتبع ؟

ـ الذي تريد .

ـ من هنا ينشأ التنافس عليها .. كل يريد جذبها إلى نظامه .. فإذا لم تقع في حظيرته .. فعلى الأقل .. تصبح .. صديقته .

وقال عبد المهيمن :

ـ لابد أن تتدخل .. قبل أن يقع الصراع .. وتضيع الرعية ..

٢٠ ـ تركة الأجيال

الوقت يمر بجماعة السفينة ومشكلة الرعية تتفاقم .

وعقارب الساعة تدور لتطوى عقاربها السنون والقرون .

وأحس الجماعة أن نهايتهم تقترب .. وأن رصيد أيامهم فى الحياة قد أوشك على النفاد .. ولم تعد الرعية بكل مشاكلها المعقدة هى وحدها التى تشغل بالهم .. بل بات اقتراب النهاية المحتومة يطبق على أذهانهم .. ويمتلك مشاعرهم .

وكان عبد الخبير أول من أشار إلى اقتراب النهاية بقوله وكأنه مراقب فى خيمة امتحان ينذر الطلبة بالوقت .

ـ باق من الزمن عشرة أيام .

وأجابه عبد المهيمن فى ثقة :

ـ تقصد باقى من الزمن قرنين ونصف قرن .

ـ بل أقصد عشرة أيام . . من عمرنا .

وهتفت شهيرة وقد حولت بصرها عن اللوحة التى تتصارع فيها الرعية .

ـ عشرة أيام فقط ؟

ورد عبد القادر :

ـ بمائتين وأربعين عاما فى عمر الرعية .

وقال عبد المهيمن مؤكدا :

ـ نستطيع أن نفعل لها الشىء الكثير . نستطيع أن ننقذها من هذا الصراع الذى تتخبط فيه .. والذى جلب لها الخراب والدمار.

ورد عبد اللطيف مؤكدا :

ـ يجب ألا نتركها هكذا .. إننا مسئولون عن كل ماحدث للرعية .

وهز عبد الراضى رأسه وقال فى دهشة :

ـ يا أسيادنا .. الدكتور يقول لكم .. باق من عمركم عشرة أيام ..

يعنى سنموت بعد عشرة أيام .. سنحرم من الحياة .. وتتيتم أولادنا وتترمل نساؤنا .. وسينصبون الشوادر لتقبل العزاء فينا ويقرأون القرآن على أرواحنا .. ويطلعون القرافة من أجلنا .. دون أن تكون لنا أجساد تثوى فى القبور ويوضع عليها الخوص والزهور.. كل هذا سيحدث لنا بعد عشرة أيام .. ثم تتحدثون عن الرعية .. وما يجب أن نفعله نحوها .. نحن غلابة .. لانملك لأنفسنا نفعا ولاضرا.. وسنموت بعد بضعة أيام تعد على الأصابع .. فلنفكر فى حالنا المهبب أولا ..

وتمتمت شهيرة قائلة فى أسى :

ـ إى والله معك حق .

وتساقطت الدموع من عينيها وهى تردف قائلة :

ـ أولادى حبايبى .. ماذا سيفعلون من بعدى .. من يرعاهم وأبوهم لايكاد يعرف عنهم شيئا .. وأمى إذا عاشت اليوم فلن تعيش غدا .

وقال عبد المهيمن وهويجد نفسه يوشك على التخاذل :

ـ ويعدين ياجماعة .. يجب أن نتماسك .. نحن هنا لسنا بشرا عاديين .. يجب أن نصمد إلى النهاية .. إن هناك رعية بأكملها .. قد وضعت مسئوليتها فى عنقنا .

وقال عبد اللطيف معقبا :

ـ أجل .. نحن الذين حركناها .. وبعثنا فيها الأطماع البشرية .. وأثرنا فيها الفتنة .. لولانا لبقيت مسترخية هادئة تمتد جذورها فى الأرض فى سكينة وترفرف أوراقها فى مهب النسيم فى هدوء واطمئنان .

ورد عبد الراضى :

ـ إذن أعيدوها إلى ما كانت عليه وأريحونا .

وأجاب عبد المهيمن :

ـ هذا تخاذل ..

وقال عبد القادر لعبد الراضى ناهرا :

ـ لاتحاول أن تشيع روح الهزيمة واليأس فينا .. نحن لسنا مجرد بشر .. إننا حكام .

وقال عبد المهيمن :

ـ بل وأكثر من حكام ..

وهز عبد الراضى رأسه فى يأس قائلا :

ـ أنا مالى .. أيام تفوت بالطول أو بالعرض .. سأقرأ الفاتحة على أرواحكم .. حتى يغفر الله لكم ماتقدم من ذنوبكم وما تأخر .

وأخذ عبد الراضى يتمتم بالفاتحة ثم رفع كفيه ومسح بهما وجهه فى خشوع وتمتم قائلا :

ـ هى موتة .. والااثنين .

وألقى عبد المهيمن نظرة إلى اللوحة ثم قال فى حماس :

ـ والآن ماذا يمكننا أن نفعله ..؟

وقال عبد القادر :

ـ جربنا الهداية فلم تنفع .

وقال عبد الخبير:

ـ والغضب أضحى فى حد ذاته مشكلة .. كنا نظنه سيضع حدا لمشكلة الاستغلال والاستعباد .. ويرسي دعائم العدالة الاجتماعية .. ويحقق المساواة .. ويضع الكل فى خدمة الكل .. ويمنح الكل للكل .. وينتهى بذلك صراع الطبقات التى خلقتها طبيعة الإنسان ورغبته فى التميز .

وقال عبد اللطيف :

ـ لقد حققه إلى حد ما ..

ورد عبد الخبير :

ـ إلى حد ضمان اللقمة .. لقد أمنت غضبة الرعية .. اللقمة لأصحابها ..

واستطرد عبد اللطيف يقول :

ـ ولكن مشكلة استرخاء الرعية .. عندما تضمن اللقمة .. واستخسار الجهد لانعدام المقابل له كلما ازداد .. جعل الرعية بين أمرين .. إما أن تستسلم للاسترخاء فينحدر مستواها إلى الحضيض .. ولاتكون غضبتها قد أفلحت إلا فى إقرار عدالة الفقر والعوز .. أو .. توضع الرعية .. فى نظام قهرى .. يأخذ منها أكبر جهد .. ليس فقط رغم أنفها .. بل رغما عن حمابى عينيها .. ويطبق عليها نوع من السخرة ويصبح عليها أن تخضع مرة أخرى لاستعباد جديد .. هو استعباد الجماعة .

وتساءلت شهيرة :

ـ وإلى متى .. تظل هكذا ؟

ـ حتى تحقق حالة من النمو والرخاء ..

وبعد ذلك ؟

ـ لايجد الفرد مبررا لاستمرارالغضب فى استعباده .. ثم يبدأ تمرده على الغضب ذاته .. وتفرض طبيعته البشرية .. درجات من التميز .. تتناسب مع ماحققه جهده من نتاج ..

وهز عبد الراضى رأسه فى حيرة قائلا :

ـ هذا معقول .. ولكن البعض .. يحاولون احتراف الغضب ..إنهم لا يعتبرونه وسيلة لهدف .. ولكنه هدف فى حد ذاته .. إنهم يريدون أن يجعلوا منه وضعا دائما .. يريدون أن يجعلوا البشرية فى حالة هياج دائم ..

وقال عبد اللطيف :

ـ تلك هى إحدى مشاكل الغضب .. إن المفروض فيه أن يكون انفعالا لتغيير وضع .. وإذا أزيل الوضع الفاسد .. ووضعت مكانه دعائم الوضع

الجديد .. تصبح عملية بناء الوضع الجديد فى حاجة إلى الهدوء والسكينة ويصبح استمرار انفعال الغضب نوعا من الهياج العصبى ..

وقال عبد المهيمن :

ـ والمصيبة أن أصحاب الغضب يصرون على فرضه على الآخرين .. وهنا تنبع المشاكل .

وقال عبد القادر متمما :

ـ والمصيبة الأكبر .. أن أصحاب الغضب الأشد .. أو أصحاب حالة الهياج قد انشقوا على أصحاب الغضب الأهدأ .. الذين حققوا بغضبتهم .. ما يريدون .. ولم يعد هناك مبرر.. لاستمرار الانفعال .. والهياج .. وهم يتهمونهم بالنكوص عن الغضب .. والاستسلام للهدوء .. والكف عن الصراع .. مع الجماعة الأخرى .. التى مازالت تخضع لنظام القلة المتميزة ..

وهز عبد المهيمن رأسه وقال فى شبه يأس :

ـ والجماعة الأخرى مازالت تصر على التدخل فى شئون الجماعة الثالثة .. التى تعودت استعبادها .. بدعوى حمايتها من موجات الغضب .. وهى تفتعل غضبات صورية ..تصد بها غضبات الرعية .. وتسخر عملاءها من جماعات وأفراد لوقف تحررها من الاستعباد .. واستمرار إخضاعها لسلطانها .. بالقوة أو بالخديعة ..

وقال عبد اللطيف :

ـ ولم يعد الأمريقتصر على نهب الموارد .. واستغلال الجهد .. بل تعداه إلى سرقة أوطان بأكملها .. لقد سلبت شراذم من هنا وهناك .. أرض إحدى الجماعات .. بحجة أن أجدادهم كانوا يقطنونها .. وطردوا أهلها .. معتمدين على سند الجماعة المستغلة المستبدة ..

وقالت شهيرة :

ـ والتفرقة بين الأفراد .. للون .. أو الشكل .. أو الجنس أو العقيدة .. قد أضحت إحدى مصائب الرعية .. قد كان مفهوما .. أن يتميز إنسان

على آخر لأنه أذكى منه .. ولكن أن يتميز عليه لأنه أبيض منه .. فهذه مصيبة ..

وتساءل عبد الراضي في يأس :

ـ والعمل ؟! ماذا نحن فاعلون في كل هذه المصائب ؟

وقال عبد الخبير :

والمصيبة الأكبر .. أن الصراع لم يعد بالأيدي .. أو بالأظافر والأسنان والعصي .. ولكن الرعية .. بفضل مايملك بعض أفرادها من تميز ذهني قد ابتكرت نوعا من السلاح .. لو فكرت إحدى الجماعات في استعماله .. فسيقضي على الرعية كلها .

وقال عبد الراضي :

ـ ياأخي دعهم يستعملوه ويريحونا ..

وقال عبد اللطيف :

ـ حرام يا عبد الراضي .. إنك حزين لموت ستة أنفار .. فمابالك برعية كاملة ؟..

وقال عبدالراضي :

ـ لقد نغصت عيشنا .. الله ينكد عليها ..

وهز عبد المهيمن رأسه :

ـ نحن مسئولون .. لقد اخطأت كل تقديراتنا .

وتساءل عبد القادر :

ـ كيف ؟

ـ منحنا الرعية أشياء .. لم نقدر نتائجها .

وقال عبد الراضي متسائلا :

ـ لا أفهم .

وقال عبد المهيمن :

ـ منحناها متعة الطعام .. دون أن نوفره .

ورد عبد الخبير :

ـ الطعام يكفى ضعف الرعية .. عندهم أراض ملء الكوكب لم تزرع .. إن المسألة كلها تقصير فى الاستغلال وسوء التوزيع ..

واستمر عبد المهيمن يقول :

ـ ومنحناهم رغبة الجنس ومتعته .. ثم وضعنا عليهم القيود .. واعتبرناها .. عورة يخجل منها.. وخطيئة يعاقب عليها..

ورد عبد الخبير مؤكدا :

ـ منحناهم إياها .. حتى تكون دافعا للتكاثر .. وقيدناها لتنظيمهم فى أسر تسأل عن تنمية النسل ورعايته .. ولتحمل عبئه حتى يشتد ويصلب عوده ويقوم بدوره فى استمرار التكاثر .

وهز عبد الطيف رأسه قائلا فى حيرة :

ـ لم يعد لهذا كله مايبرره الآن .. لقد أضحى التكاثر مشكلة والنسل مصيبة .. باتت المعضلة .. ليست فى كيف تتكاثر الرعية .. ولكن كيف نحد من تكاثرها ؟

وقال عبد الخبير :

ـ وبات الجنس مشكلة المشاكل .. لوجوهه المتعددة المتناقضة .. وجه معيب .. ووجه ممتع .. ووجه واجب .. ووجه محرم .. كل هذه الوجوه تتجمع فى عملية واحدة .. لتجعل منها مشكلة .. يحذر منه الصغيرلأنه عيب .. ويمارسه فى كبره كأمتع المتعات وتحرم عليه ممارسته بغيرعقد .. وبالعقد يصبح واجبا يعتبرالتقصير فيه كارثة .. وأصبح الجنس بهذا لغزا من ألغاز البشرية المحيرة ..

وقال عبد اللطيف :

ـ لقد أضحت البشرية كلها ألغازا محيرة للأجيال النابتة من الرعية .. بكل ماتحمله من قلق الصراع الذى لايؤمنون بأسبابه .. وبتناقض القيود المنظمة للمجتمع مع واقعه ..لم تعد الأجيال تفهم مبررات معظم القيود التى

تخضع لها .. لقد باتوا يحسون بأنها إرث بال عتيق ليس له مكان فى عصرهم .. وتحولت إلى عبء يحتم الخلاص منه .. والانطلاق من إساره ..

وقال عبد المهيمن :

- أجل .. إنهم يشعرون بأن القواعد المنظمة لكونهم .. والمتراكمة من الأجيال السابقة .. قد تكدست فوق أكتافهم وأنقضت ظهورهم .. وترسبت كأكوام من الصدأ على مفاصلهم .. تقيد حركتهم .. وتثقل خطاهم .. وإن عليهم أن يتحرروا من عبئها حتى يستطيعوا الانطلاق فى الحياة ..

وقال عبد اللطيف مؤيدا :

- باتت الأجيال الجديدة تشعر بأن النظم قد أضحت شيئا أشبه بالتحف والكراكيب التى تملأ بيتا ورثوه عن الآباء والأجداد من الأجيال السابقة .. وأن عليهم أن يتخلصوا منها .. حتى يصبح مكانهم فى الكون أوفر راحة وحرية .

وقال عبد الخبير :

- إنهم يدركون أن القواعد المنظمة .. لم تمنحهم عالما مريحا .. بل منحتهم .. عالما مليئا بالقلق والاضطراب والحرمان والخوف والحاجة .. وهم يؤمنون بأن شيئا طيبا فى هذا الكون .. لابد أن يأخذوه .. فهم لم يوجدوا .. لكى يقاسوا من التعاسة والشقاء .. وإلا أضحى إنجاب الذرية .. مجرد عمل إجرامى انتقامى يقصد به أن تأخذ دورها فى التعذيب كما أخذه آباؤها ..

ورد عبد اللطيف :

- وفى الحياة فعلا أشياء طيبة.. يمكن أن ينعم بها الإنسان .

وتساءل عبد الخبير:

- فلماذا إذن لا ينعم بها .. إن هذا هو السؤال الذى يحير الأجيال الجديدة .. ما الذى يحول بينهم وبين الاستمتاع بما فى الحياة من نعم .. لماذا يوضعون على حافة الهاوية من الخوف والحرمان ؟

وقال عبد القادر :

ـ ليسوا هم فقط .. لقد وضعت الأجيال كلها على حافتها .

ورد عبد الخبير:

ـ واستسلمت .. فقد كان فى جعبتها المزيد من محاولات الإصلاح .. وكان فى نفوسها المزيد من بوارق الأمل فى حياة آمنة .. ولكن هذه الأجيال الجديدة .. تبدو كأنها قد فقدت الأمل .. فى كل ما اتبع من وسائل .. وتريد الخلاص من تركة الأجيال السابقة برمتها.

وقال عبد اللطيف :

ـ أجل .. وسط كل هذا القلق والصراع والخلاف التقليدى .. بدأت تسود موجة من اليأس فى كل ما هوكائن ..

ورد عبد الراضى :

ـ ليس اليأس ياأستاذ .. ولكنه القرف .

ـ أجل .. الرعية قد نبت فى أجيالها الجديدة .. إحساس باليأس من كل شىء .. والرفض لكل شىء .. والقرف من كل شىء ..

وقال عبد القادر :

ـ وتحول الغضب .. إلى لا مبالاة .. بأى شىء ..

وقال عبد اللطيف :

ـ حتى التعبير الفنى عن المشاعر قد انعكس فيه القرف .. فبدا .. فى المضمون غير المفهوم .. والشكل العابث .

وقالت شهيرة :

ـ ولماذا يكون التعبير الفنى وحده .. هو الجميل المفهوم ..فى كون انحدر إلى هوة .. انحطاط التعامل بين الناس .. وسوء العلاقات بين البشر.. إن الصورة السيئة تعبر عن الأصل السيىء .. وعالم الحمقى والحمقاء .. لايعبر عنه سوى .. المضمون الأبله .. والأشكال الشوهاء .

ونظر عبد القادر إلى اللوحة وصاح فى قلق :

ـ الحقوا ..

وهتف الجميع فى جزع :

ـ ماذا ؟

ـ الدمار يوشك أن يحيق بالكوكب .. الصدام بين الجماعتين الكبيرتين يوشك أن يقع .

ونظر الجميع إلى اللوحة فى ترقب وهم يسمعون أجراسا تدق .. وهدير يتعالى .. وبشر يتحفزون فى كلا الجانبين .

ومالبث أن خفت الهدير وسكتت الأجراس .

وهمست شهيرة متسائلة :

ـ ماذا حدث ؟

وقال عبد الخبير :

ـ لقد توقف الصدام ..

ـ لماذا ؟

ـ خشىْ كل منهم علي نفسه من الدمار الشامل .. إن السلاح الجديد القاضى .. يملأ نفوسهم بالحذر من حدوث الصدام .. خشية أن يروح الكل ضحيته .

وهتف عبد القادر :

ـ إذن لقد وجد الحل .

ـ حل لماذا ؟

ـ لوقف الصراع .

وهز عبد الخبير رأسه قائلا فى حيرة وقلق :

ـ يعنى !! .

ـ يعنى ماذا ؟

ـ حل غير مضمون .. فاحتمال الخطأ غير المقصود .. أو الانزلاق نتيجة المغالاة فى التهديد والاندفاع إلى حافة الهاوية .. غيرمستبعد .

ـ على أية حال .. حل مؤقت .. حتى نتدبر الأمر .

وسمعت صيحات هنا وصيحات هناك .. وتلفت الجماعة إلى اللوحة فى جزع .. وتساءل عبد المهيمن :

ـ ماهذا ؟

وتأمل عبد الخبير جيدا وأشار إلى ناحية من اللوحة :

ـ هنا غضبة من إحدى المجموعات الصغيرة من أجل التحرر من قبضة جماعة مستغلة..

وأشار عبد اللطيف إلى ناحية أخرى متسائلا :

ـ وهناك ؟

وأشارت شهيرة إلى ناحية ثالثة :

ـ وهناك أيضا ؟

ورد عبد الخبير :

ـ صراعات جزئية أخرى بين الجماعات الصغيرة .

وتساءل عبد القادر:

ـ ولكن من أين لهم بكل هذه الأسلحة ؟!

ـ من الجماعات الكبيرة .. إن الصدام الصغير غالبا ـ وبرغم أصحابه ـ مايكون معبرا عن الصدام الأصلى الكبير .. إن الجماعات الكبيرة تقدم الأسلحة والجماعات الصغيرة تقدم البشر. إنه أشبه ببثور تطفح على جسد الكوكب .. في مناطق الحساسية الوطنية .. ولكن ميكروبه يتغذى على الخلاف الأصلى بين الجماعات المتصارعة الكبرى .

ـ ولماذا تدفع الجماعات الكبيرة بأسلحتها ؟

ـ جماعة تريد أن تفرض نفوذها والجماعة الأخرى تريد أن تحرمها هذا النفوذ وتحرر الجماعة الثالثة منه .. إن كل هذه الصراعات خليط من الصراع التحررى يعززه الصراع التقليدى بين الجماعتين الكبيرتين .

وقال عبد المهيمن فى قلق :

ـ على أية حال .. إنها قد تهدد بالدمار الشامل .. يجب أن نجد حلا جذريا لمشاكل الكوكب .. وأن ننهى حالة الصراع الدائم والقلق المستمر.. وأن تنقذ الرعية من حالة اليأس والقرف التى تردت فيها .

وقال عبد اللطيف :

ـ مازالت هناك أشياء جميلة فى أرض الكوكب ومازالت هناك مركبات طيبة فى نفوس الرعية يمكن بواسطتها أن يستعيدوا الثقة فى أنفسهم والأمل فى حياة البشرعلى ظهر الكوكب .. هذه الأشياء الجميلة والصفات الطيبة يمكن أن تهيىء لنا الفرصة.. فى إعادة الاستقرار للكوكب .. والأمان والرخاء للرعية .

وتساءلت شهيرة :

ـ مثل ماذا ؟

ـ لم يتلف فى الكوكب كل ماهو جميل .. مازالت الزهور تتفتح .. والشمس تشرق .. والنبت يخرج من الأرض .. الزرع يورق .. ويثمر.. حمدا لله أنه لم يغير أسلوبه فى تسيير الحياة .. مازال كل ماهو جميل .. جميلا .. لم يشوه الله صور الخلق كما شوهها الرسامون على أرض الكوكب .. ولاخبط الكون كما خبطوه فى لوحاتهم وتماثيلهم وكتاباتاهم ..

ـ ولكن هناك الزوابع والبراكين والزلازل والوحوش والحرائق وغيرها من الأخطار التى مازال الإنسان يواجهها من شرور الطبيعة .

ـ لقد استطاع أن يواجه معظمها ويتغلب عليه .. وصراعه معها لايشكل عليه خطرا بقدر مايشكله صراعه مع نفسه .. إن عليه أن يواجه أخطارها واحدة واحدة .. وهو ولاشك منتصر عليها .. وهى على أية حال لم تلغ الأشياء الطيبة الموجودة على الكوكب .. والتى عليه أن ينميها ويطورها .. ويغلب بها كل ماهو ضار به خطر عليه .

وتساءل عبد اللطيف :

ـ كل هذا مفهوم .. ولكن كيف نقنعه بهذا ؟

وتساءلت شهيرة :

ـ أتعود للهداية مرة أخرى ؟

ـ إن الهداية لم ينقطع أبدا تأثيرها عليه رغم كل ماشابها من زخرف باطل .. وزيف فاسد ..

ـ ولقد حاول أن يطهرها من زيفها .. وأن يعيد إليها جوهرها الأصلى الذى يمكن أن ينمى مركب الخيرفى نفسه .

وقال عبد لقادر :

ـ ولكن مع كل هذا .. مازال يغوص إلى أذنيه فى مشاكله المعقدة .. مازال يرتكب جميع المحرمات ..ومازال يتصارع ويتقاتل ..

وقال عبد الراضى :

ـ ياجماعة قصوها سيرة ..

ونظر إلى الساعة ثم قال فى سخرية :

ـ مضى علينا أربع سنوات .. ونحن نتناقش .. بدون فائدة . اسمحوا لى سأذهب إلى فراشى .. وأمضى الكام يوم الباقية .. أو الكام قرن .. بحساب الرعية .. فى قراءة القرآن والاستغفار .. إنى واثق أنى سأموت فى هذا الهو ..دون أن أجد من يقرأ على روحى .. حتى الفاتحة .. ولهذا فمن الخير أن أقرأها على روحى مقدما .

وقال له عبد القادر ناهرا :

ـ قلت لك لاتشيع روح اليأس فى نفوس الحكام ..

ـ أنا لست حاكما .. أنا راجل على باب الله .. سأموت بعد بضعة أيام .. ولن أجد حتى التراب الذى يلم جسدى ..

ـ ولكننا لابد أن نفعل شيئا لهذه الرعية قبل أن نموت .

وقال عبد الراضى ببساطة :

ـ أعيدوها كما كانت .. شجروها .. وخلصوها من كل هذا القرف الذى أصابها .

وقال عبد المهيمن :

ـ غير معقول .. إن هذا يعنى منتهى الفشل .

وقال عبد الراضى :

ـ ياسيدى فشل .. فشل .. هذا كل ماقدرنا عليه .. والذى يقدر على أكثر يفعله .. أمامه الرعية فليرينا شطارته .

وقالت شهيرة :

ـ أنا من رأى عبد الراضى .. نعيد الرعية كما كانت . ونتخلص من مسئوليتها ..

ونظر عبد المهيمن إلى عبد الخبير متسائلا :

ـ ألانستطيع أن نعمل شيئا غيرهذا ؟.. ألايمكن أن نرسل لكل منهم شعاعا هاديا ؟..

ـ هاديا .. إلى ماذا ؟

ـ إلى الخير ..

ـ حدد بالضبط ماهو الخيرفى مفهومك .. حتى نتفق عليه .

ـ لايقتل .

ـ وإذا احتاج للأكل؟

ـ أعنى لا يقتل بشرا .

ـ وإذا قتله بشر ؟

ـ سنهدى الكل إلى عدم القتل .

ـ وإذا قتله بنوع من الخطأ ..

ـ هذا ليس قتلا .. إنه مجرد خطأ .

ـ ومن يقنع الغير.. بأن هذا خطأ حقيقة .وأنه لايكذب ؟.

ـ سنهدى البشر إلى عدم الكذب وإلى الثقة فى بعضهم البعض .

ـ وماذا أيضا ؟

ـ لا يزنى .

ـــ تعنى لايمارس العلاقة إلا مع زوجته

ـــ أجل .

ـــ وماذا يفعل قبل أن يتزوج ؟..

ـــ لايفعل شيئا .

ـــ والرغبة التى منحناها له ؟.

ـــ نؤجل ظهورها .. حتى يتزوج ..

ـــ وإذا حدث قحط فى النسل ؟..

ـــ نبكر سن الزواج .

ـــ وإذا كان الرجال أقل من النساء ؟

ـــ تعدد الزوجات ..

ـــ وما هى أيضا مظاهر الخير؟

ـــ ألا يسرق .

ـــ وإذا احتاج للطعام ولم يجده ؟

ـــ لن يتعذر الطعام على أحد .. لأننا سنجعلهم يتقاسمون ناتج العمل بالعدل .

ـــ وإذا لم يعمل واحد منهم ؟

ـــ سنهديهم كلهم إلى العمل كمظهر من مظاهر الخير.

ـــ كلهم يعملون بقدر واحد ؟

وتردد عبد المهيمن برهة ثم تساءل :

ـــ ماذا تقصد ؟

ـــ أقصد هل كلهم سينتجون قدرا من العمل متساويا؟

ـــ لابالطبع .

ـــ هل سيأخذون أجرا واحدا ؟

ـــ طبعا لا ..

ـــ إذن سيتميز بعضهم فى الأجر؟

ـ لأنهم متميزون فى المواهب .

ـ بماذا سيفعلون بأجورهم المتميزة ؟

ـ يحصلون على مايريدون من خيرات الحياة ..دون أن يستغلوا غيرهم.

ـ إذن سنتميز البعض فى مظاهر العيش ..

ـ أجل ..

ـ سيثير تميزهم الحسد والغيرة والحقد .

ـ أتظن أن هذا شىء حتمى ؟

ـ إذا لم يثر .. فمعنى هذا فرض إحساس التبلد .. الذى يفرض بدوره الجمود فى المجتمع وإذا ثار فسيثير معه بقية المشاعر الشريرة التى يجرها الحسد والغيرة .. من كذب وخداع .. وسرقة .. يضطر إليها البشر فى سباقهم نحو التميز والاستمتاع بأكبر قدر من مزايا الحياة ..

إن علينا أن نوازن جملة .. بين سباق التميز الذى يمنح الكون التطور وبين الاستسلام الذى يمنحه السكينة والجمود ويقضى على مظاهر الصراع البشرى .. ولايبقى بعد هذا سوى الصراع البدائى الحيوانى للجنس واللقمة.

.. إن معظم سمات الشر فى البشر هى مظهر طبيعى لصراع من أجل الوجود والتطور.. إنها نتيجة حتمية لحب البقاء ورغبة التكاثر ولهفة الطموح التى لابد منها لاستمرارالحياة وتقدمها .

وقال عبد الراضى ببساطة :

ـ يعنى بالعربى .. إما العودة إلى الشجر .. أو البقاء غرقى فى المصائب والمشاكل ..

ورد عبد القادر:

ـ لا.. لا.. لابد أن هناك وسيلة .. دعونا نفكر..

ونهض عبد الراضى يسرى فى الهواء قائلا فى استسلام :

ـ فكروا وحدكم .. سأذهب أنا لانتظار قدرى .. وسأقرا الفاتحة على أرواحكم .

٢١ ـ الثواب والعقاب

مضت أربعة أيام بحساب السفينة أو قرن بحساب الكوكب .. والجماعة مازالت حائرة أمام مشاكل الرعية ..

وفى اليوم الخامس جمع عبد المهيمن الجماعة فى حجرة العمليات .. وكانت تبدو على وجهه سمات التفكير والتجهم والشرود .

قال عبد المهيمن للجماعة وقد التفوا حول المنضدة :

ـ الوقت يمر بنا .. ولابد أن نتخذ قرارا حاسما .

وتساءل عبد اللطيف :

ـ فى ماذا ؟

ـ فى موقفنا .

ـ مماذا ؟

ـ من أنفسنا ومن الرعية .. إن النهاية تقترب .. ولابد أن نفعل شيئا ..

قال عبد الراضى متدخلا :

ـ فى أنفسنا .. لا أظننا نستطيع أن نفعل شيئا .. النهاية آتية آتية .. أدى الله وأدى حكمته .. الكام أنبوبة التى كنا نقرف من لحسها .. تكاد تكفينا بضعة الأيام الباقية من عمرنا .. سنلحس آخر لحسة منها .. ثم نتشهد على أنفسنا .

وقال عبد اللطيف :

ـ دعنا من أنفسنا .. هذا قدرنا .. ولكن الرعية .. ماذنبها .. نخرجها من سكينتها وندفع بها إلى هذه المشاكل المدمرة .. ثم نتركها ..

وغوت ؟.. هذه أنانية !

وقال شهيرة :

ـ لماذا لا نبذل جهدا أكبر فى هدايتها ؟.. إنه سبيلنا الوحيد .

وقال عبد الخبير فى يأس :

ـ حاولت .. والله حاولت .. دفعنا بعض الناس الطيبين الذين غلب على نفوسهم مركب الخير والصفاء والنقاء .. إلى محاولة هدايتهم .. ودعوتهم إلى الكف عن الذنوب ..

ـ وماذا حدث ؟

ـ لا فائدة .. إن الكوكب ما زال يصطخب بالصراع .. والرعية .. سادرة فى غيها .. ممعنة فى ذنوبها ..

ـ مصيبة .. لماذا لايريدون أن يهتدوا .. وأن يكفوا عن ذنوبهم ؟

ـ لأن الذنوب فيما أعتقد .. قد باتت مشكلة محيرة ..

ـ كيف ؟

ـ إن الرعية لا تدرى لماذا تكف عن الذنوب ؟

ـ لأنها ضارة .

ـ بمن ؟

ـ بهم .

ـ لايبدو هذا واضحا لهم ..

ـ كيف ؟

ـ الخمر مثلا .. تبدو حيوية لبعض الرعية الذين يعيشون فى الوجه البارد من الكوكب .. إنهم بدونها .. يتجمدون .. كيف تقنعهم بأنها ضارة؟

ـ ولكن إذا سكروا .. يرتكبون أعمالا ضارة .

ـ إنهم لايسكرون .. .. لقد تعودوا .

ـ وإذا سكروا ؟

ـ لا يشعرون بضايقة .. بالعكس إنهم يحسون بسعادة كبرى .

ـ ولكنهم يؤذون الغير .

ـ يمكن منعهم من إيذاء الغير حتى يفيقوا .. وتنتهى المسألة .

ـ ولكن فى الوجه الحار من الكوكب .. ماحجتهم فى شرب الخمر ؟

ـ لكى يستمتعوا ..

ـ ولكنهم ليسوا فى حاجة إليها .

ـ هل تريد أن تعدد الذنوب لكل منطقة حسب جوها .. ؟ يعنى أن تقول إن شرب الخمر محرم فى المناطق الحارة ومباح فى الباردة ؟

ـ لم لا ؟

ـ وإذا رحل سكان المناطق الحارة كلهم إلى المناطق الباردة ماذا تفعل ؟

ـ هل هذا معقول ؟

ـ إذا كانت هى الوسيلة الوحيدة لكى يستمتعوا بالخمر .. فقد يفعلونها .

ـ دعنا من الخمر .. لنبحث عن الذنوب الأخرى .. لماذا يرتكبون الزنا ؟

ـ لأنهم عندما يبلغون سن النضج تلح عليهم الحاجة إلى الجنس .. كما تلح عليهم الحاجة إلى الطعام منذ أن يولدوا .

ـ إذن عليهم أن يمارسوها كحق .. لا كخطيئة .. عليهم أن يمارسوها فى حدود شرعية بين الذكر والأنثى .. تضعهما فى إطار الأسرة وهى نواة المجتمع .

ـ لم يعد فى قدرة هذه الأجيال .. الارتباط بالزواج بمجرد الإحساس بالجنس .. إن نضجها الذهنى .. وقدرتها المادية على تحمل المسئولية .. لايكون كافيا لإيجاد كيان أسرة .. وتحمل عبئها .. والكوكب قد ازدحم بالذرية .. وأغلب الرعية منافقون يمارسون الزنا خلسة .. والبقية تعف عنه لوازع الهداية .. أو العجز .. أو لطموح قد تحول النزوات دونه وهم أمتع ببريق المجد منهم بمتعة النزوات .

ـ قد يكون قولك صحيحا .. ومن أجل هذا يصبح جمع الحب والجنس في إطار الزواج .. هو خير ضمان لاستقامة الرعية .. وتنظيم علاقة الذكر بالأنثى .

ـ طبعا هذا هو الحل النموذجي والشكل الأمثل لعلاقة الاثنين اللذين يكونان الحياة البشرية . ولكن المصيبة أن جمع هذه العناصر الثلاثة كأساس لهذه العلاقة .. يكاد يكون متعذرا .. إلا بالصدفة .

ـ ماذا تعني ؟

ـ أعني أن هذه العناصر الثلاثة رغم تكاملها .. ووحدة نوعيتها .. فإن كلا منها يكون شيئا مستقلا بذاته .. ولكل منهما مقوماته المنفصلة ..

فإذا اتحدت كلها في وحدة واحدة .. كانت نتيجتها .. حياة سعيدة .. وأسرة مترابطة .. وفرصة كبيرة لانعدام الرغبة في ارتكاب الذنوب .

ـ ماذا تعني أن لكل منها مقوماته المنفصلة ..

ـ الحب ... وأعني به الحب الملتهب بين الذكر والأنثى .. والذي يجذب كل منهما نحو الآخر .. بقوة لاتقاوم .. هذا النوع من الحب .. له مقوماته .. وهي غالبا نابعة من الأوهام .. من صنع المحب ذاته .. من حساسية .. تجعله يضفي على الأشياء ألوانا مبهجة .. ويجسدها بشكل رائع .. وتجعله حساسا لالتقاط كل الانفعالات .. وتجسيدها .. سواء انفعالات السعادة أو الشقاء .. أو الغيرة .. أو الحرمان .. أو اليأس .. أو الأمل .. ومقومات الحب لاترتكن إلى أسس مادية .. بل ترتطم بها .. إن المحب يرفض أن يقرن الحب بأية مظاهر مادية .. ويجزع من أن يرى في أسنان الحبيب بقايا طعام .. أو أن يقرنه .. بعوارض الامساك أوالاسهال أو القيء .. والمغص .. أو البثور .. أو بأي من هذه الأشياء الطبيعية التي تعتبر من صميم المظهر البشري .. وجزء منه .. والتي لايمكن أن نجد لها أثرا في حياة الأبطال في قصص الحب الخالدة التي لاتصل أبدا إلى مابعد الزواج والتي تتضاءل فيها معالم الواقع القبيح رغم تشكيلها لجزء حيوي من حياة

الأبطال .

ـ والجنس ؟

ـ الجنس .. قد يقود إليه الحب .. وقد يمارس بغير حب .. وهو رغم اقترانه بالحب وإتمامه له في بعض الحالات ..فإنه يعتبر شيئا مستقلا تماما .. وله مقوماته .. التي تستند إلى اللياقة البدنية والخبرة العملية والرغبة المتبادلة .. وقد يدعم الحب مقوماته .. وقد يخذلها .. وقد يقود الجنس الناجح الذي لاترتكز مقوماته إلى الحب .. إلى نوع من الارتباط .. يتحول إلى لون من الحب .

ـ والزواج ؟

ـ الزواج شركة قد يكون من مقوماتها الحب والجنس ولكن مقوماتها الأهم هي التوافق بين طرفي الشركة .. ومدى فهمهما لمسئوليتهما في الشركة .. وفي أنها ليست مجرد حقوق بلا واجبات .. أو وسيلة للإشباع العاطفي أو الجنسي .. وإنما هي مشاركة في عملية بناء جادة وخطيرة .. تتزايد خطورتها مع الأيام .. عملية بناء يجب أن يتحمل كل منهما نصيبه فيها من الجهد والمشقة والمتاعب والمشاكل .. ولايتخلى عن مسئوليته في الشركة المستمرة النمو والتعقيد .. لأي إغراء خارجي .. إن أخطر ما في الزواج .. هو فهمه على أنه ترخيص لجنس محرم إلا برخصة الزواج .. لأن الزواج ليس وسيلة للاستمتاع بالجنس .. بل قد يعتبر أبعث على الزهد فيه.. وقد يكون هذا هوالسبب في معظم مشاكل العلاقات البشرية .. إن البشر يخذلون في الزواج عندما يرون أنه لم يحقق ما يتوهمونه فيه .. من إشباع لعاطفة الحب السابق له .. أو إرواء دائم لعطش الجنس الدافع إليه.. ويجدون أن ماحققه فعلا هوتحميلهم عبء المسئولية الحقيقية لإقامة بيت وتكوين أسرة .. وتنمية صغار .. تتزايد مطالبهم مع الزمن .. وأنه إذا استقرت الشركة واستقام بناؤها . يحقق نوعا من الحب الراسخ الذي ينمو بدوام الارتباط وطول العشرة وإحساس كل طرف بفضل الآخر عليه وحاجته له .

ـ والنتيجة .. هل تقترح أن نفصل .. عملية الحب .. عن الجنس عن الزواج ؟ .

ـ لا أظنها تجربة مثمرة .. لأنه بعد كل هذا نجد الإنسان أميل إلى الاستحواذ .. بعد كل هذه الميول الفردية العجيبة .. يريد أن يستحوذ على شريك .. وأن يصبح رب أسرة .. وأن يمارس سلطانه على أولاد يخلفونه في الأرض .. هذا الإحساس .. يدفعه إلى الرغبة في الاستحواذ على من يحب .. والاستئثار بمن يرضى فيه رغبة الجنس .. .. ولايجد إطارا للاستحواذ والاستئثار .. خيرا من الزواج .. وبعد هذا تبدأ مشاكل الزواج .. إن هذا التناقض في تركيب الإنسان .. هو الذي يثير كل هذه المتاعب .

ـ أتقترح أن نغيرمركبات البشر؟

ـ غير معقول .. لأنها بتسلسلها السابق .. تكون مقومات الحياة نفسها .. التي تؤدي للبقاء والتكاثر والتطور.

وضرب عبد الراضي كفا بكف وصاح في يأس :

ـ ياجماعة قلت لكم لا فائدة .. الناس هكذا بخيرهم وشرهم ، بحسناتهم وسيئاتهم .. فضوها سيرة .. ودعونا نرقد ـ أو ننوم ـ على أسرتنا حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا ..

وقال عبد القادر :

ـ يا أخي دعنا نتناقش .

ـ نتناقش في ماذا .. مضى علينا مائة سنة والذي نقوله نعيده .. والرعية تزداد تعاسة وشقاء .. وانغماسا في الذنوب والخطايا .

ورد عبد المهيمن زاجرا :

ـ على أية حال المناقشة .. قد تفيد .

ـ تفيد في ماذا .. الرعية .. ستبقى على حالها .. أنتم أنفسكم قلتم هذا .. إن المصائب نابعة من نفوسهم .. وتغيير نفوسهم .. يعني تغيير الكون .. أوتجميده أو بالعربي تشجيره ثانية .. فإما أن تعيدوها إلى أصلها

.. أوتتركوها على حالها .. وتجعلونا نقضى بقية أيامنا نستغفر الله فى هدوء .

وقال عبد اللطيف :

ـ يبدو أنه لم يعد أمامنا إلا أن نفعل هذا .

وتنهدت شهيرة فى حزن وقالت :

ـ خسارة .. سننتهى وينتهى معنا كل شىء .. لن يعرف العالم عنا أى شىء .. سوى أننا فقدنا فى الفراغ .. سنذهب دون أن تبقى لنا ذكرى .. لواستطعنا أن ننقل للأرض تجربتنا .

وتمتم عبد اللطيف ببساطة :

ـ لما أحدثت شيئا ..

ورد عبد الراضى :

ـ الحال من بعضه .

وقالت شهيرة :

ـ ولكنها ستمنحنا مجدا .. ستضعنا فى مانشيتات الصحف .

وقال عبد الراضى فى سخرية :

ـ وكم من مانشيتات .. لم يعد يذكرها أحد .. كم من أناس وضعوا على قمة الصحف .. وملأت صورهم أعمدتها .. ثم راحوا فى التراب .. ولم يعد يذكرهم حتى أقرب الناس إليهم .

وقال عبد اللطيف :

ـ الأيام تطوى كل شىء .. والأرض تبتلع كل حى .. ورماد الأجساد يختلط بترابها .. وكما قال المعرى : « ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد » .

وقال عبد الراضى فى أسى :

ـ المصيبة أننا لن نجد أديم الأرض .. الذى يختلط بأجسادنا .

وقال عبد اللطيف :

ـ ستذرونا الرياح .. سنختلط بكل ذرة من ذرات الهواء ..

من يدرى ربما سقطت بعض ذرات جسدك ياعبد الراضى على الأرض..

وقال عبد الراضى :

ـ فى مدافن السيدة عائشة إن شاء الله .. إنى أتبارك فيها .

وأخذت دموع شهيرة تتساقط ونهنهت قائلة :

ـ ياحبيبى يامحمود .. يا حبيبتى ياراوية .. ترى ماذا سيحدث لكما من بعدى .. ليتنى لم أترك أباكما .. على الأقل كنت أضمن أن أترككما فى رعايته ..

وأحس عبد اللطيف أن دموعه توشك أن تنهمر .. وربت ظهر شهيرة وهويقول :

ـ لاتجزعى ياشهيرة .. ربنا كريم .

وتساءل عبد الراضى :

ـ كريم كيف ؟.. باق لكل منا ثلاث أنابيب .. كل أنبوبة تكفى يومين .. وبعدها .. سنستسلم لقضاء الله .. هيا دعونا نرقد فى حجرتنا .

وتبادل عبد المهيمن مع عبد القادر النظرات ثم قال عبد المهيمن فى حزم:

ـ إن من التخاذل أن نستسلم لمصيرنا .

ورفع عبد الخبيرنظرة من لوحة الكوكب .. الذى بدا فيه الصراع واليأس والقرف على أشده وتساءل قائلا :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى أننا يجب أن ننطلق من السفينة .

وتساءل عبد الراضى فى دهشة :

ـ ثانى ..

وقال عبد المهيمن مؤكدا :

ـ إن هذا بلاشك خير من أن نرقد مستسلمين لتلقى حتفنا فى عجز .

وتساءل عبد اللطيف :

ـ هل تقصد ما سبق أن قلته من انطلاقنا نحو الكوكب .. كل على حدة ؟

وتساءلت شهيرة :

ـ سيرا على الأقدام ؟

وقال عبد الراضى :

ـ يا ريت سيرا على الأقدام .. المصيبة أننا لانستطيع السير .. سنطبش فى الهواء .

وقال عبد اللطيف :

ـ بغيراتجاه .. وعلى غير هدى .

وقالت شهيرة فى جزع :

ـ هل معقول أن نسير فى هذا الفراغ السحيق ؟

وقال عبد الخبيرمؤكدا :

ـ أنا شخصيا لن أغادر السفينة ..

ورد عبد القادر فى دهشة :

ـ هل معقول أن نبقى هنا مستسلمين لمصيرنا حتى نموت ؟

وتساءل عبد الخبير :

ـ وإذا خرجنا .. ألن نموت ؟

ـ احتمال واحد فى الألف .. أن نصل إلى منطقة الجاذبية .

وقال عبد الخبير:

ـ فنهوى حطاما على أرض الكوكب .

وقال عبد اللطيف :

ـ أو حتى أحياء .. فيأسروننا .. ويعلموننا .

وقال عبد الراضى :

ـ أويتركوننا.. نغرق فى مشاكلهم ؟

وتساءل عبد المهيمن :

ـ ولماذا لا تسيطر نحن عليهم ؟

وقال عبد الراضى فى دهشة :

ـ ياكابتن .. إذا كنا لم نستطع أن نسيطر عليهم من هنا.. من السماء .. هل سنسيطر عليهم عندما نصبح بشرا مثلهم .. على الأرض .

وقال عبد المهيمن :

ـ ربما تصبح سيطرتنا .. أكثر فعالية .. إن المصيبة هى أننا هنا .. لانمارس الردع المباشر فيهم .. لقد منيناهم بثواب وهددناهم بعقاب عن طريق الهداية ولكنهم لم يأبهوا له .

وقاطعه عبد اللطيف قائلا :

ـ وقال كل منهم حلنى .. على ما يأتى العقاب أوالثواب .. واقتطفوا ثمرة الذنب .. واستمتعوا بها استمتاعا سريعا مباشرا..

وهداهم تفكيرهم وتقدمهم إلى تهيئة نوع من المتع قد تصل إلى ماوعدناهم به من ثواب .

وقال عبد القادر :

ـ فلم يعد يجدى معهم إغراء بثواب أو إنذار بعقاب ..

واستطرد عبد المهيمن :

ـ وأعتقد أننا لو مارسنا فيهم العقاب المباشر .. ومنحنا هم الثواب السريع .. فربما كان هذا أجدى .

ورد عبد الخبير قائلا :

ـ ولكنهم حاولوا تنظيم العقاب والثواب فى تشريعاتهم .

وقال عبد المهيمن :

ـ عندما ينظمون هم لأنفسهم ويطبقون نظمهم تتدخل المشاعر الذاتية وتصبح التشريعات فى بعض الأحيان نوعا من حماية الذات أورقابة الطبقة . ومعظم الذنوب تمارس فى الخفاء .. والعقاب لايوقع بالمذنب فعلا بقدرما يوقع بالعاجز عن ستر ذنبه .. ولكننا ستعرف كيف نسيطر عليهم ونعرف

المذنبين الحقيقيين .. ونوقع بهم العقاب الرادع .. إننا لو أتيحت لنا فرصة الوصول .. فسنعرف كيف نمارس الحكم الحقيقي المباشر ..

وتساءل عبد اللطيف :

ـ تقصد الحكم البوليسي ؟

ورد عبد القادر :

ـ سندع هذا لوقته .. إذا قدر لنا أن نصل ونحكم .

وهز عبد الراضي رأسه وضرب كفا بكف قائلا :

ـ يا جماعة اهدأوا .. وكفى .. ممارسة للحكم .. ألم تتعبوا .. دعوا الناس وشأنهم .. يسرقون .. يسكرون .. يزنون .. إنهم مسئولون عن خطاياهم أمام ربهم .. ومنهم لله .. إنه كفيل بهم .

دعونا ننتظر مصيرنا في هدوء .. ولنطلب لأنفسنا الرحمة .. الفاتحة ياجماعة .

ورفع عبد الراضي يديه إلى أعلى وقرأ الفاتحة ثم مسح وجهه بكفيه ووجه القول إلى عبد الخبير قائلا :

ـ وانت يادكتور.. انهينا من حكاية الرعية هذه .. أعدها كما كانت وأغلق التلفزيون أو حوله .. على محطة أخرى تكون فيها رقصة أرغنوة نتسلى قبل الموت .

وأمسك عبد المهيمن بذراع عبد الخبيرصائحا :

ـ لا .. إياك أن تعيدها كما كانت .. هذا هروب من المسئولية ويجب أن نتحمل مسئوليتنا حتى النهاية .

وصمت لحظة ثم قال :

ـ لقد قررت أن أهبط إليها.. سأغادر السفينة الآن ومن يريد أن يخرج معي فليستعد بارتداء بذلة الفضاء ..

وقال عبد الراضي في استسلام :

ـ أنا سأبقى .

وقالت شهيرة :

ـ وأنا .

وقال عبد اللطيف :

ـ وأنا باق معهم بالطبع .

ونظر عبد المهيمن إلى عبد الخبير متسائلا :

ـ وأنت ياد كتور !

ـ قلت منذ البداية إننى لن أغادر السفينة .. ليس من العقل أبدا أن نترك مأوى يمكن أن تصل إلينا فيه أية نجدة .. للهيمان فى الفراغ .. بحيث لا يمكن لقوة أن تعثر علينا .

وقال عبد القادر فى حزم :

ـ أنا سأخرج .. لاأظن لدى ما أحرص عليه فى الأرض .. وفرصة النزول إلى الكوكب .. والسيطرة على أهله من أسفله .. فرصة لا يمكن أن تترك .

وقال عبد المهيمن :

ـ إنها خير بلا جدال .. من الرقدة هنا فى انتظار الموت .

وقال عبد القادر وهو يتجه إلى غرفته :

ـ سأستعد للخروج فورا يا كابتن .. يجب ألا نضيع لحظة واحدة .. فإن المشوار طويل ..

وقال عبد المهيمن :

ـ ويجب أن نقطعه قبل نفاد الطعام ..

وأسرع عبد المهيمن إلى غرفته ..

وانتهى كل منهما من ارتداء بذلة الفضاء وعبأ ماتبقى معهما من أنابيب الغذاء وترامس للماء .. وتأكد من تزويد البذلة بكل ما تحتاج إليه رحلتهما فى الفضاء .

وقال عبد المهيمن لعبد القادرهامسا :

ـ هل ثبت الأسلحة جيدا .

ـ أجل ..

ـ وبقية المعدات ؟!

ـ أجل ..

ـ والطعام .

وهمس عبد القادر :

ـ غير نصيبنا من الطعام .. معى احتياطى لمدة أسبوع آخر..

وخرج الاثنان لبقية الجماعة التى جلست على مقاعدها حول المنضدة وقد سادهم الصمت وبدا عليهم الوجوم .

وكان عبد الخبير أول متكلم فقال :

ـ ياجماعة أرجوكم فكروا جيدا .. لاداعى أبدا للمقامرة بالخروج .. إننا مازلنا نأمل فى نجدة من الأرض .

وقال عبد المهيمن :

ـ أمل ميئوس منه .

وعاد عبد الخبير يقول :

ـ ومازلنا نحاول إصلاح السفينة .

ورد عبد القادر:

ـ غيرمعقول بعد كل هذه المحاولات .. أن نجد وسيلة لانطلاقها .

ـ ما دمنا أحياء .. فالأمل باق .

ورد عبد المهيمن :

ـ حياتنا قد باتت معلقة ببضع أنابيب غذاء وبضع زجاجات للماء .

وقال عبد القادر :

ـ وبعد هذا .. تنتهى الحياة .. وينتهى الأمل .

ـ ولكن خروجكم هذا يعرضكم لأخطار محققة .

ـ لوكان هناك بصيص أمل فى النجاة منها .. فهذا أفضل من انتظار

موت محقق .

وقال عبد المهيمن فى حزم :

ـ لقد استقر رأينا .. وانتهى الأمر..

وقال عبد اللطيف :

ـ إن الطعام الذى معكم لن يكفيكم سوى ستة أيام .. والمشوار كما سمعت منكم طويل .

وقالت شهيرة :

ـ هل سيكفيكم الطعام خلال هذه المسافة ؟

ورد عبد المهيمن :

ـ سنحاول جهدنا الاقتصاد فيه .. سنعيش على الكفاف .

وردت شهيرة متسائلة :

ـ ولماذا لا تأخذان بعض ما معنا من طعام .

وتساءل عبد المهيمن :

ـ وأنتم ؟..

ورد عبد اللطيف :

ـ ما دام موتنا محتما .. فلن يضيرنا أن نموت بعد أربعة أيام .. بدلا من ستة أيام .

وقال عبد الراضى :

ـ بناقص يومين .. توفران علينا مشقة الانتظار.. وعلى رأى المثل .. وقوع البلاء .. ولا انتظاره .

واندفعت شهيرة إلى حجرتها لإحضار أنابيب الغذاء قائلة :

ـ سأحضر لكم بعض ما عندى .

وسار عبد اللطيف وراءها قائلا :

ـ وأنا.. خذا كل ما عندى إذا أردتما .. فلن يعنينى أن أبقى طويلا ..

وقال عبد الخبير معترضا :

ـ ياجماعة .. ما دام الغذاء قد وزع علينا منذ البداية فليحتفظ كل بما لديه .. ومن يدرى .. فقد يكون بقاؤنا يوما أكثر .. فيه نجاتنا .. قد تصل إلينا نجدة الأرض .. أونصلح السفينة فى هذا اليوم الباقى .

وقال عبد المهيمن :

ـ ليحتفظ كل منكم بغذائه .. فهذا هونصيبه .. وهو الذى يحدد قدره.

ولكن عبد الراضى قال فى إصرار:

ـ أبدا .. علىَّ النعمة .. لابد أن تأخذا بعض ماعندنا.. إن أمامكما مشوارا طويلا .. ولديكما آمال كبيرة .. ولكننا لن نأمل إلا فى أن تقترب النهاية بسرعة وتريحنا .

وعاد عبد الراضى بعد لحظة ووراءه شهيرة وعبد اللطيف ومع كل منهم إحدى أنابيب الغذاء .

ومد عبد القادريده لأخذها ولكن عبد المهيمن أصر على رفضها قائلا :

ـ إننا لن نأخذ منكم شيئا .. إن معنا ما يكفى .

ومد يده المغطاة بقفاز سميك يصافح الآخرين قائلا :

ـ نرجو أن يهيىء الله لكم النجاة .

وقال عبد اللطيف :

ـ ونحن نرجوأن يوفقكما الله فى رحلتكما العجيبة .. وأن يوصلكما إلى الكوكب بالسلامة .

وقالت شهيرة :

ـ ليحفظكما الله وينجيكما .

وقال عبد الخبير :

ـ لم يكن من رأيى أبدا المغامرة بالخروج .. ولكم مادام هذا رأيكما فليرعكما الله بعنايته .

وفتح باب السفينة وانزلق منه عبد المهيمن وعبد القادر .

وأخذ الأربعة يرمقونهما من النوافذ المستديرة .. وهما يتقلبان فى

الفراغ .. كأنهما زغب فى مهب النسيم .

وبدا الفراغ أزرق داكنا والنجوم تتلألأ فى صفاء .. ومن بعيد بدا الكوكب مستديرا تبدو فى أرضه فجوات صغيرة .. دون أن يظهر فيه أثر لبشر أوحياة .

وتساءل عبد الراضى :

ـ أليس هذا الكوكب الذى يقصدانه ؟

وقال عبد الخبير :

ـ أجل ..

ـ إذن أين الرعية المهيبة التى أحدثت كل هذه اللخبطة ؟

ـ لا يمكن أن تبدو من هنا .. إن مانراه هو قمم جبال .. أو أخاديد فى الأرض .. أو أسطح أوغابات .

ـ وسيهبط الكابتن والباشمهندس هناك .

ـ إذا وصلا لمنطقة الجاذبية .

وتساءل عبد اللطيف :

ـ أهناك احتمال الهبوط دون أن يتحطم جسداهما ؟

ـ محتمل جدا .. فإن الجاذبية أضعف كثيرا من جاذبية الأرض .

ـ ترى كيف سيكون وقع هبوطهما على الرعية ؟

ـ الله أعلم .. إن هذا يتوقف على أسلوبهما فى التعامل معها .. ولكنى أعتقد .. أن التفاهم يمكن أن يتم مع الزمن .

وفجأة صاح عبد الراضى :

ـ زمن ! .. أى زمن ؟!

وتساءل عبد الخبير :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى زمن الكوكب .. أو زمننا .

وهتف عبد اللطيف فى جزع :

ـ يانهار أسود .

وتساءلت شهيرة :

ـ ماذا ؟

ـ إن عبد الراضى على حق .. هل سيعيشان هناك بحساب الزمن فى الكوكب أم هنا ؟

وتساءل عبد الخبير :

ـ وماذا تفرق ؟.

ـ لو عاشا بزمن الكوكب .. لما تبقى فى أى عمر أى واحد منهما .. أكثر من يومين بحسابنا .. لأن أى واحد منهما لن يعيش أكثر من خمسين عاما أخرى .. مهما طال عمره .

وقال عبد الراضى :

ـ وخمسين عاما .. يعنى يومين من عمرنا .

وقالت شهيرة :

ـ يعنى بفرض نجاحهما .. ووصولهما إلى الكوكب .. وحكمهما للرعية .. لن يبقيا أكثر من يومين .

وقال عبد الراضى ضاحكا :

ـ خسارة .. ما يجيبوش تمنهم .

ثم أردف قائلا :

ـ ألم أقل لكم .. لاداعى للخروج فى الهوا .. والبهدلة .. سأبقى فى فراشى .. أقرأ الفاتحة وعدية يس على روحى .. حتى يحين قضاء الله .. عن إذنكم .

٢٢ ـ مشوار فى الفراغ

سرى عبد المهيمن وعبد القادر فى الفراغ يشرحان بأذرعهما وأرجلهما .. متجهين صوب الكوكب الذى لاح فى جانبه المشرق من بعيد رمادى اللون تكسوه ظلال متناثرة ويحيط به هالة من الضوء الأزرق الفاتح تزداد قتامة كلما بعدت عن الكوكب حتى تتحول إلى زرقة داكنة تختلط بزرقة الفراغ الذى تناثرت فيه النجوم براقة متلألئة .

ويدأ الحديث بين الاثنين بواسطة الجهاز اللاسلكى الصغير الذى احتوته بدلة الفضاء .. وأخذ عبد المهيمن شهيقا طويلا بطيئا حاول أن يستعيد به رباطة جأشه بعد فترة القلق التى أعقبت لحظة مغادرة السفينة وتساءل بقدر مايملك من هدوء :

ـ كيف الحال ؟

ورد عليه عبد القادر وأنفاسه ما زالت تتلاحق :

ـ لا بأس .. أحس بشىء من الضيق والاختناق .. ولكن الحالة تسير إلى أفضل .

ـ لقد شعرت بمثل ماشعرت به .. ولكنى واثق أنه إحساس موهوم .. فالهواء نقى داخل البدلة .. والأربطة محكمة .

ـ يتملكنى إحساس كأنى فى سجن .

ـ وأنا أيضا .. فوسط هذا الفراغ الهائل .. يشق على المرء أن يقيد فى هذا الحيز الضيق .. ومع ذلك فإنه لايعوق حركتنا .. إنى أشعر أنى خفيف كالريشة .

ـ ليتنا كنا أثقل من هذا .. إذن لاستطعنا أن نوجه حركتنا ونسيطر

على اتجاهنا فإنى أحس أنى ضائع منفلت .. ويعلم الله إن كنا نسير نحو الكوكب .. أو نبعد عنه .

ـ أعتقد أننا نسير نحوه .. ولكنى لا أعرف بأية سرعة .

ـ إنى أحاول أن استحث الخطا .. أحاول أن أجرى .. ولكنى لاأجد ما أستند عليه أو أندفع منه .. كل ما أملكه هو تحريك ساقى وذراعى ..

ـ ليس أمامنا سوى هذا .

وصمت عبد المهيمن برهة ثم أردف :

ـ المهم ألا نرتطم بشىء .

ـ شىء مثل ماذا ؟

ـ مثل هذه المذنبات التى تنطلق فجأة من هنا أو هناك .

ـ هل تظنها فى هذا الفراغ الهائل .. لاتجد طريقا للانطلاق سوى طريقنا لتصطدم بنا .

ـ من يدرى .. لو شاء القدر .. لفعلت .. ولقضت علينا .

ـ ربنا يستر .

واستمر الاثنان يتحركان بكل مايملكان من قوة وجهد .. وبعد برهة تساءل عبد القادر :

ـ أتشعر بجوع ؟

ـ أشعر بقرصة فى المعدة .. ربما كان جوعا .. ولكنى على أية حال .. لا أفكر فى الأكل ..

ـ ولكننا لابد أن نأكل ..

ـ ما دمنا لم نشعر بالجوع فلنوفر الطعام .

ـ بالعكس .. يجب أن ننظم وجباتنا .. حتى لايحدث لنا ارتباك معوى .. فليس لدينا فائض جهد نستهلكه فى المرض .. ولافائض وقت نضيعه فى العلاج .

ـ على أية حال .. الأنبوبة معلقة أمام شفتى .. لانحتاج سوى أن

أضغط بأصبعى على زر الطعام حتى يخرج منها الطعام إلى فمى .

ـ إذن دعنا نأكل وجبة الغداء وننتهى .

وفى لحظة انتهى كل منهما من تناول طعامه .. وعاد عبد القادر يتساءل :

ـ هل تظننا سنصل إلى منطقة الجاذبية ؟

ـ هناك احتمال كبير لو استمررنا على هذا السير .

ـ لوأننا قطعنا منطقة اللاجاذبية .. فلا أظن أن هناك مشقة كبيرة فى الوصول إلى الكوكب بعد ذلك .

ـ ليست مسألة مشقة .. ولكنها مسألة حياة أوموت .. مسألة أن نصل سالمين .. أونصل حطاما .

ـ بمقياس معدل الجاذبية .. اعتقد أن هناك احتمالا للوصول سالمين ..

ـ لوحدث هذا تصبح معجزة .

وصمت عبد المهيمن برهة ثم تساءل :

ـ كيف تظن أهل الكوكب سيستقبلوننا ؟

ـ أعتقد أننا سنلقى منهم أروع استقبال .

ـ لماذا ؟

ـ ألم نحكمهم عدة قرون .. ألم نبعث فيهم الوجود البشرى ؟.

ـ هل تراهم يذكرون هذا ؟

ـ يجب أن يذكروه .

ـ طبيعة الإنسان ألايذكر فضل صاحب الفضل عليه .. على النقيض إنه يصاب منه بعقدة الجميل .. ويتعمد تجاهله وإنكاره .. حتى لايذكر نفسه بأوقات بؤسه .

ـ على أية حال إذا لم يذكرونا .. سنذكرهم بنا .. وبأفضالنا عليهم .

ـ لن ينصت إليك أحد .. لأنهم أكثر إقبالا على صاحب فضل قادم .. منهم احتفاء بصاحب فضل سابق .

ـ إذن فسنفرض عليهم سيطرتنا بكل مانملك من أسلحة السيطرة .. وأساليب القوة ووسائل المعرفة .

وفكر عبد المهيمن برهة ثم قال :

ـ سنرى كيف نتصرف معهم عندما نلقاهم مواجهة .. المهم أن نصل إليهم .. وسيكون لدينا بعد ذلك الوقت الكافى للتعامل معهم .

ـ أجل .. سيكون أمامنا أجيال طويلة .. لن نكون مقيدين بالقرون السبعة التى كانت تحدد عملنا فيها مدة الشهر التى كانت فرصتنا فى الحياة .. إننا نملك من عمرنا السنين الطويلة التى تمنحنا فرصة العمل فى الكوكب آلاف الأعوام بل آلاف القرون .

وسادت فترة صمت بدا كأن الاثنين يفكران مليا فيما قيل .

وتمتم عبد المهيمن كأنه يحدث نفسه قائلا :

ـ آلاف القرون .. فى عمرنا نحن .

وأجاب عبد القادر فى لهجة شابها التشكك :

ـ بل فى عمر الكوكب .

ـ وهل سنعيش فى الكوكب بزمننا . أم بزمن الكوكب ؟

ـ وهل سنعيش آلاف القرون ؟

ـ إنها فى عمرنا لن تزيد عن عشرين عاما .

ـ بزمننا نحن بالطبع .. يعنى ستظل الساعة من عمرنا بعام فى الكوكب .

ـ وكيف يمكن أن نتعامل معهم .. إذا كنا نعيش بزمننا وهم يعيشون بزمنهم ؟

ـ ولم لا ؟

ـ ياأخى .. إن مجرد غفوتنا لبضع ساعات معناه مرور بضع سنوات بهم .. هل تتصور حاكما يمكن أن يغفو عن الرعية بضع سنوات ؟

ـ غير معقول ..

ـ وهل تتصور أننا نصبح ونمسي فنجد نصف الرعية قد مات ونجد الأطفال قد صاروا شبابا .. والشباب قد صاروا شيوخا .. كيف يمكننا التعامل معهم ؟

ـ مصيبة ! .. ترى ما العمل ؟ .

ـ العمل هوأن نعيش بزمنهم .. إن هذا هو ما لابد أن يحدث لنا بمجرد أن نهبط في الكوكب .

ـ هل تعني أننا سنعيش أيامنا بأيامهم .. وسنيننا بسنينهم ؟

ـ طبعا .. ما دمنا قد وصلنا إلى كوكبهم ، بل أغلب الظن أن أيامنا في الطريق إليهم ستقصر عن معدلها الطبيعي .

وعاد عبد القادر يتساءل مشدوها :

ـ هل سنقضي ما تبقى من عمرنا بحساب زمنهم ؟

ـ طبعا .

ـ أتعني أن السنوات العشرين أو الثلاثين الباقية لنا .. ستحسب بحسابهم ؟

ـ قلت لك أجل ..

ـ أتعرف ما يعني هذا .. يعني أننا لن نعيش هناك سوى يوم واحد .. هذه مصيبة .. إننا بعد كل مافعلنا .. سنموت قبل عبد الخبير وأصحابه ..

ـ يا أخي إن السنوات الباقية لنا لن تمر بنا كيوم .. بل ستمر كأنها فعلا عشرون أوثلاثون عاما .

ـ ماذا يهم كيف تبدو .. بقدر ما هي فعلا .. إنها يوم في حياتنا الحقيقية .. يعني عبد اللطيف وعبد الراضي وشهيرة .. لن يكون قد مر بهم أكثرمن يوم .. ونحن قد بلغنا سن الشيخوخة ووقفنا على عتبة الموت .

ـ لماذا تصر على المقارنة بهم .. إننا سنكون في كوكب آخر .. ومع أحياء آخرين .. هم الذين سترتبط حياتنا بهم .

ـ وحتى هؤلاء .. لن نحكمهم أكثر من عشرين عاما .

ـ ألاتظنها كافية ؟

ـ إنها مجرد حكم عادى .. غيرنا حكم فى الأرض أكثر من هذا .. إننا لن نتحكم فى أكثر من جيل واحد .. ومحتمل جدا .. أن نتعرض لإحدى موجات الغضب .. وننتزع من الحكم .

ـ جائز جدا .. إذا لم نحسن قيادة الرعية .

ـ لوأعلم هذا لبقيت فى السفينة .. على الأقل كان حكمنا قد دام لجيلين آخرين .. وكنا هناك فوق غضب الرعية .. وفوق تقلباتها وأهوائها .. خسارة ..

ـ لا داعى للندم الآن .. لقد هبطنا من السفينة وانتهينا .. ولا وسيلة للعودة .. وليس أمامنا إلا أن نكمل المشوار.. المهم كما قلت لك أن نخرج من منطقة اللاجاذبية .

ـ نخرج أو لانخرج .. كله محصل بعضه .

ـ بل خير لنا أن نخرج بدلا أن نضيع ما تبقى من عمرنا .. هائمين فى الفراغ .. هيا بنا .. ولنسرع الخطا فالوقت يسرقنا .

وانطلق الاثنان يخبطان فى الفراغ بأذرعهما وساقيهما .

***

وفى نفس الوقت ..

كانت الجماعة الباقية فى السفينة قد تمددوا فى استرخاء .. عدا عبد الخبير الذى كان يواصل العمل فى غرفة العمليات لآخر لحظة فى محاولة لإصلاح أجهزة الانطلاق فى السفينة أو أجهزة الاتصال .

وكانت شهيرة وعبد اللطيف وعبد الراضى قد استلقوا على مقاعد مريحة فى غرفة المراقبة .

وقال عبد اللطيف :

ـ اختفى أصحابنا .. ولم يعد لهم أى أثر .

وتساءلت شهيرة :

ـ وهل تظنهم واصلين ؟

ورد عبد الراضى :

ـ وصلوا أو لم يصلوا .. بعد أيام سنقرأ على أرواحهم الفاتحة .. إذا كان لم يزل فينا رمق .

وقال عبد اللطيف مؤكدا :

ـ أجل .. إذا لم يموتوا بالجوع فى الفضاء .. فسيموتون بالشيخوخة على أرض الكوكب .

وقالت شهيرة :

ـ دعونا نلق نظرة على الرعية .. لنرى أحوالها .

ورد عبد الراضى :

ـ ياستى فضيها سيرة .. الرعية .. مازالت كما هى .. ولن تكون أبدا خيرا مما هى .

واستطرد عبد اللطيف :

ـ يبتكرون كل يوم اختراعا لإراحة أنفسهم .. ولكنهم لايلبثون حتى يحولوه إلى أداة للصراع بينهم .. وإلى وسيلة للفتك والإبادة .. وأطماعهم لاتقف عند حد .. وبقدر ذكائهم فى الابتكار والاختراع بقدر غبائهم فى فض مشاكل الصراع بينهم ..بحيث سرعان ما يتحول إلى صراع حيوانى للقوى .. تستعمل فيه وسائل البطش .. وتستبعد منه إمكانيات العقل .. رعية حمقاء غبية .. دعونا منها .

ونظر عبد الراضى إلى اللوحة السوداء وقال :

ـ إذن دعوا الدكتور يديرالمحطة .. ويرينا شيئا مسليا .

وقال عبد اللطيف :

ـ محطات إيه ياعبد الراضى .. قلنا لك هذا ليس تليفزيون .

ـ إذن دعونا نشاهد فى الكوكب شيئا مسليا .

ـ ليس هناك غير الضرب والصراع والخطب .

ـ أليس هناك تمثيليات ؟

ـ كلها قد باتت غير مفهومة .. كأننا فى مستشفى مجاذيب .. والصور قبيحة والتماثيل مشوهة .. حصان على رأسه تاج .. وامرأة بكفل حصان .. وحفر بدل العيون .. وعصى بدل الأصابع وبجانب كل هذا إنسان فهلوى يشرحها لك .. بألفاظ لامعنى لها .. بين أبعاد وأعماق وتلاحم .. ويقول لك عندما لاتفهم .. إنه لاضرورة لأن تفهم .. المهم هو التأثير المباشر .. أو الانطباع العام . والنتيجة ضيق مباشر .. وقرف عام ..

وقال عبد الراضى :

ـ يعنى .. سنبقى هكذا إلى النهاية ؟

ـ ليس أمامنا سوى هذا .

ـ ياخسارة .. ياألف خسارة .

ـ على ماذا ؟

ـ على الأرض .. لم نكن راضين بها .. الله يمسيكى بالخير يا زهرة .. كنت تعملين طول اليوم .. وتحضرين إلى الطعام الذى تلطشينه من الخوجاية التى تعملين عندها فى آخر النهار.. وإلا أم عبده !! كان حضنها دافئا وطريا .. خسارة انحرمنا من كل هذا.. ومن كل شىء كان سيجد فى المستقبل .. كل هذا منك ياأستاذ .

ـ أنا ؟

ـ أجل أنت .. قلت لى .. نصعد إلى السماء .. ووافقتك .. على أنه نكتة .. أومقلب .. مما تعودت أن تضحك به على .. ولكنه اتضح أنه مقلب حقيقى .. وجررتنى معك لتلقى بى فى سابع سما .. طول عمرك تمزح .. وطول عمر أقوالك ترسى على فشوش .. لست أدرى لماذا .. كنت جادا فى هذا .. لماذ لم يكن باب الهزل الذى تعودته؟

ـ قسمتك ياعبد الراضى .. لك نصيب تموت فوق .. وعلى رأى الشاعر :

- ومن كانت منيته بأرض فليس يموت فى أرض سواها .

- أرض يا أستاذ .. وليس سماء .. أرض يستقر فيها جسده .. ويرشها السقا بالماء .. ليرطب عظامه .. ياخسارة الأرض .. كان لنا بيت .. ومطبعة .. وغرزة .. كانت لنا أشياء عزيزة ..

وتنهدت شهيرة قائلة فى حزن :

- أجل ياعبد الراضى .. أشياء عزيزة .. وماذا أعز من الضنى .. لقد جريت وراء المجد والشهرة .. والاسم المطبوع .. والصورة المنشورة .. وحلمت بالمانشيتات .. ولكننى أحس الآن أن فى الأرض أشياء أجمل من هذا بكثير.. ضمة راوية إلى صدرى .. عزيزة .. عزيزة .. وشقاوة محمود .. وعفرتته .. كم أوحشتنى .. وجلسة الليل فى الشرفة أمام النيل .. ومناكفات التليفزيون .. أشياء صغيرة .. قد تبدو تافهة .. ولكن كلها عزيزة ..

وقال عبد اللطيف :

- أجل أشياء بسيطة .. ولكنها تشكل كياننا على الأرض .. تهامى التليفونجى واستراقه السمع إلى المحادثات . الأستاذ عبيد وعموده الذى لايعنى شيئا .. الشائعات .. والنكت .. والمطابع تدور .. او الأوتوبيسات تنطلق محملة تطفح بالركاب .. عربة ساندويتشات الفول يتزاحم عليها العمال وموظفو الدواوين ..

وصمت برهة ونظر إلى شهيرة ثم أطلق زفرة طويلة واستطرد يقول :

- والحب والشوق والحنين .. أشياء بسيطة .. ولكنها سمات الأرض .. أرضنا العزيزة .. بكل الأشياء العزيزة التى تحملها .. كنا نظنها الكون كله .. وكنا نظن أنفسنا فوق ظهرها كل شىء فى هذا الكون .. وإذا بنا .. وبها .. شىء ضئيل .. فى تكوينه الضخم المعقد ... لسنا وحدنا فى الكون ... إننا قطرة فى محيط هادر متلاطم .

وتمتم عبد الراضى قائلا :

ـ الأحد هو الله ياأستاذ .. هوالأحد فى هذا الكون .. هوصاحبه وخالقه .. والقادر على كل مالايقدرعليه غيره ..

وقال عبد اللطيف :

ـ القادر على أن يهب الحياة .. خالق الحبة التى تنبت سنبلة والنطفة التى تنبت إنسانا أوفيلا .. أونملة.. بكل ما فى كيانها من تركيب دقيق منظم معقد .. نحن لانملك إلا أن نخشع له ونؤمن بقدرته .

وقالت شهيرة :

ـ أجل ما أعجزنا فى الكون .. أمام .. أتفه مخلوقاته .. أمام حشرة .. أو حبة .. بعد كل ماأنتج الذهن البشرى .. يقف حائرا أمام سر الحياة .. أمام إتمام إنتاج .. حبة تنبت وتورق .. وتؤتى ثمرة .. أمام صنع نطفة .. تنمو وتتحرك .. وتتكاثر..

ورد عبد اللطيف :

ـ ما أضألنا بعد كل هذه الانتصارات .. أمام هذا الكون .. الكبير .. كل انطلاقة لنا خارج محيط أرضنا تزيد من ضآلتنا ..

أمام سعة الكون وروعيه .. وعظمته ..

وقال عبد الراضى :

ـ إذا كنا ننسب كل إنتاج إلى صاحبه وخالقه .. فماذا ننكر أن يكون لكل هذا الكون صاحب .. وخالق .. لماذا نريد أن نجعله .. مع كل روعته .. وتنظيمه ودقته .. رمية من غير رام .. أو خلقا بغير خالق ؟..

وقال عبد اللطيف :

ـ ولماذا نحاول أن نحدد قدرته ونختبرها فى جزء ضئيل من هذا الكون .. هو الأرض ومن عليها من بشر .. وكأنها كل شىء فى هذا الكون .. وهى لا تزيد على ذرة رمل فى صحراء كبرى .. نسأله عن تفصيلات حياة الملايين .. هذا نجح .. وهذا فشل .. وهذا سرق .. وهذا ظلم .. ونحمله مسئولية عجزنا وضعفنا وسوء تصرفنا.. ونحن جزء ضئيل من كون كبير

معقد مختلط .. نتصرف حياله وكأننا وحدنا فيه.. أو كأننا الكون كله ..

وقال عبد الراضي :

ـ كنت دائما أومن به وبعظمته وقدرته .. ورغم كل ما أتيت من ذنوب كنت دائما أطمع في عفوه ومغفرته .. فليغفر لنا خطايانا .. وليرحمنا جميعا .

وقالت شهيرة فى أسى :

ـ لوأننا نعود إلى الأرض ..

وهز عبد اللطيف رأسه قائلا فى يأس :

ـ لافائدة .. الدكتورمختنف فى حجرة الماكينات يحاول إصلاحها بغيرجدوى .

وفى تلك اللحظة أقبل عبد الخبير وقد بدا عليه الإرهاق الشديد . وقال عبد اللطيف :

ـ استرح يادكتور .. لقد سلمنا أمرنا له .

وقال عبد الخبير :

ـ مازالت أمامى محاولة أخيرة .. إذا لم تفلح .. قضى على آخر أمل لنا .

واسترخى عبد الخبير برهة .. ولكنه لم يلبث أن قفز من موضعه قائلا :

ـ سأجرب فكرة .. خطرت ببالى الآن .

واندفع إلى حجرة العمليات .. ولم تمض بضع دقائق حتى سمع الجماعة صيحة . ووثب الجميع تجاه الغرفة .. وصاحت شهيرة قائلة :

ـ ماذا حدث ؟

وهتف عبد الخبير :

ـ الصاروخ اشتغل .

وهز عبد الراضى رأسه قائلا دون أن يعرف سبب هذا الصراخ :

ـ طب مايشتغل .

وعاد عبد الخبير يقول فى صيحته العصبية :

ـ إن السفينة تستطيع الانطلاق .

وتساءل عبد اللطيف :

ـ الانطلاق إلى أين ؟

ـ إلى حيث نريد .. إما إلى الكوكب .. أو إلى الأرض .

وصاح عبد الراضى مشدوها :

ـ إلى الأرض ؟.. يقول إننا نستطيع أن نعود إلى الأرض .

هتفت شهيرة ودموعها تنساب من عينيها :

ـ أحقيقة نستطيع العودة إلى الأرض .. أواثق أنت يا أبى ؟

وقال عبد الخبير مؤكدا :

ـ طبعا ..

ـ هل قررتم أن تعودوا إلى الأرض ؟

وهتف الجميع :

ـ طبعا .

وتساءل عبد الخبير:

ـ والكوكب ؟

ورد عبد اللطيف :

ـ ماله الكوكب ؟

ـ هل سنتركه هكذا ؟

ـ وماذا نستطيع أن نفعل فيه .. إننا نريد العودة إلى الأرض وكفانا مغامرة ..

وقال عبد الخبير فى لهجة هادئة :

ـ هل سنترك أهله هكذا ؟

وتساءلت شهيرة :

ـ وماذا نستطيع أن نفعل لهم ؟

وقال عبد الراضى :

ـ يكفى لهم الكابتن والباشمهندس .. لقد ذهبا إليهم .. مندوبين عنا .

وقال عبد الخبير :

ـ إنهم لن يملكوا لهما شيئا ..

تساءل عبد اللطيف :

ـ وهل نملك نحن ؟

ـ بالطبع .

ـ ماذا نملك ؟

ـ نملك أن نغيرحالهم .

ـ كيف ؟

ـ ننزع عنهم الصفات التى سببت لهم كل هذا ..

ـ ونعيدهم شجرا ؟

ـ أو بعض الصفات .. ونتركهم بمشاكل أقل .

ـ مثل ؟

ـ يعنى ننزع مثلا صفة الطموح وحب التميز والسباق إلى تملك أكبرما يمكن من الأشياء .

ـ وماذ يصبحون ؟

ـ بشرا يأكلون ويتكاثرون .

ـ كالحيوانات ؟

ـ شىء كهذا .

ـ ولكنهم سيتصارعون من أجل الجنس ؟

ـ أجل .

ـ إذن تسلبهم متعة الجنس .

ـ وماذا يبقى لهم ؟

ـ متعة الطعام .

ـ وسيتصارعون على الطعام ؟

ـ طبعا .

ـ ويتقاتلون ؟

ـ جائز .

ـ إذن ننزع منهم هذه الصفة.

ـ ونعيدهم أشجارا كما كانوا ؟

ـ ولم لا .. على الأقل نريح ضميرنا مما يمكن أن نكون قد أوقعناهم فيه .. ونخلصهم من كل ما سببنا لهم من مشاكل ومادفعنا به إليهم من مصائب ومتاعب .

ـ هل ترون أن هذا أفضل ؟

ـ بالطبع .. لقد أثرنا فتنة نائمة .. ويجب أن نخمدها ..

وهكذا استقر رأى الجماعة بعد المناقشة على إعادة أهل الكوكب إلى ما كانوا عليه .. مجرد أشجارتضرب جذورها فى الأرض تستمد غذائها فى هدوء وترفرف أوراقها فى النسيم لتلتقط أنفاسها فى سكينة وتحمل الريح حبوب لقاحها ليجرى التكاثر فى صمت .. وتهبط بذورها إلى الأرض لتنبت نبتا جديدا .. تملأ الأرض خضرة وزهرا وثمرا .

وأخذ عبد الخبير يضبط لوحة الجهاز .. وبعد لحظة بدا الكوكب .. يملؤه الصراع والصراخ وكأنه يزخر بكوم من المجانين ..

وقال عبد الراضى ..

ـ آه ياغجر .. كسفتونا الله يكسفكم .. لن ينفع معكم سوى التشجير .. يالله يادكتور .. ريحهم .. وريحنا ..

وبدأ عبد الخبير عمله ..

ضغط على بعض الأزرار .. وحرك بعض المسامير ..

وبعد برهة .. بدأت حركة أهل الكوكب تهدأ ..

خف الصراع .. وخفت الصراخ .. وهدأت الخطب ..

وأخذت الجماعة تحملق فى اللوحة فى ذهول .. وهى ترى .. الكوكب يسكن .. كأن عاصفة هبت عليه .. ثم أخذت فى الهدوء .

وفجأة أشارت شهيرة إلى نقطة فى اللوحة وصاحت :

ـ انظروا ..

وتساءلت الجماعة :

ـ ماذا ؟

ـ شىء يهبط على أرض الكوكب ..

وقال عبد اللطيف :

ـ .. أجل .. أجل كأنه جندى مظلات .

ـ إنهما اثنان .

ـ عجيبة .. هل اكتشفوا فى الكوكب الهبوط بالمظلات ؟

ـ لعله من الخارج .. غزو من كوكب آخر .

وفجأة هتف عبد الخبير :

ـ إنهما هما .. بهلشى الفضاء .

وصاحت شهيرة مؤكدة :

ـ أجل .. هذا عبد المهيمن ووراءه عبد القادر.

ـ لقد خرجا من منطق اللاجاذبية .

ـ وهما يهبطان نحو أرض الكوكب .

ـ هبوطا هينا كأنه هبوط بالمظلة .

ـ أجل إنهما لايهويان .

ـ بل يهبطان الهوينى كأنهما يتمشيان .

ـ فى خفة .. وهدوء .. كأنهما ريشتان .. أو طائران .

ـ عجبا كيف وصلا إلى هناك ؟

ـ لابد أنهما قطعا منطقة اللاجاذبية .

ـ بمثل هذه السرعة ؟

ـ لابد أن المشوارلم يكن طويلا .

ـ وبعد ذلك اندفعا إلى الكوكب بحكم الجاذبية .

ـ الحمد لله إنهما قد وصلا .

ـ وإن اندفاعهما إلى الكوكب كان هادئا وبطيئا .

ـ سيصلان إن شاء الله بالسلامة .

ـ وسيجدان كل شيء هادئا .

ـ أترى سيرضيهما هذا ؟

ـ ولم لا ؟

ـ لقد كانا يرغبان في ممارسة السلطان وفي حكم الرعية .

ـ لاأظن الرعية بعد كل هذه اللخبطة تستحق الحكم .. إن البعد عنها كما يقولون غنيمة .

ـ وستكون الحياة لهما في الكوكب المشجر .. أفضل كثيرا .

ـ وسيستطيعان أن يدبرا أمرهما .. كروبن سان كروزو .

ـ أجل لديهما من الثمار مايكفيهما حتى آخر العمر .

ـ والآن أظننا نستطيع أن نعود مطمئني البال عليهما ..

ـ وعلى الرعية .

٢٣ ـ أمل فى البشرية

أخذ عبد المهيمن وعبد القادر .. فى الاقتراب من الكوكب . رويدا .. رويدا .

وقال عبد المهيمن فى فرحة :

ـ لم يكن المشوار طويلا كما ظننا .

ـ أجل .. لقد أحسست فجأة وأنا أطوح بذراعى فى الهواء كأن شيئا يشدنى إلى أسفل .

ـ خيل إلىّ أنى أغطس فى بركة ماء وأنى أحتاج إلى الجهد لكى أبقى على السطح .

ـ تركت نفسى فإذا بى أهبط .

ـ لقد خشيت فى أول الأمر.. أن يكون هناك مايسمونه بالمطب الهوائى .. وأن يكون هبوطنا مؤقتا .

ـ ولكن الجذب بدا متواصلا ملحا .

ـ جذبا هادئا .. لم أصدق معه فى أول الأمر أنى أهبط نحو الكوكب .

ـ وأنا أيضا .. لم يخطر ببالى أن المسألة هينة بهذا الشكل .. خسارة أننا لم نحضر الجماعة معنا .

ـ لقد ألححنا عليهم .. ولكنهم آثروا البقاء فى السفينة .

ـ مساكين .. إن الغذاء يوشك أن ينفد منهم .

ـ وسيلقون مصيرهم حتما .

ـ لوأننا استطعنا الاتصال بهم .

ـ أو العودة إليهم .

ـ لافائدة .

ـ ربما لو وصلنا إلى أرض الكوكب نجد وسيلة للاتصال بهم .

ـ أرجو ألا يكون ذلك بعد فوات الأوان .

ـ ولعلهم وقتئذ يستمعون إلى نصحنا ويهبطون .. بدلا من الاستسلام للموت .

ـ لاشك أنهم سيهبطون .. إذا عرفوا أننا وصلنا بسهولة .

ـ ليتهم يحاولون أن يديروا الجهاز .. فلعلهم يروننا هابطين ويقتدون بنا .

ـ لاأظنهم سيديرونه .. فلقد تركناه مغلقا ..

ـ أجل لقد بدوا كأنهم فرغوا من أمره .. ومن أمر الكوكب وأهله .

ـ لعلهم يشغلونه من باب التسلية .

ـ لاأظنهم فى حالة تساعد على البحث عن وسائل التسلية .. لقد كانوا فى حالة يأس تام .

ـ على أية حال بمجرد أن نهبط سنحاول أن نفعل شيئا لاستدعائهم .

ـ المهم أولا .. كيف سيستقبلنا أهل الكوكب .. وهل سيتركون لنا فرصة لعمل أى شىء .

ـ يجب أن نبذل جهدنا للسيطرة عليهم من أول لحظة .. يجب أن نستعمل كل وسائل الترويع والانبهار .. يجب أن نتركهم مأخوذين .. مبهورين حتى يدركوا أننا مخلوقات فوق مستواهم .

ـ ولكن يجب ألا نخيفهم حتى لا يؤذونا دفاعا عن أنفسهم .

ـ إن المسألة تحتاج إلى مهارة وحيطة .

ـ انظر إلى أسفل إن أرض الكوكب تقترب .

ـ تقصد أننا نقترب من أرض الكوكب ؟

ـ أجل .. أجل .. التفاصيل قد بدأت تتضح .. الأنهار والجبال ..

والبحيرات .. والغابات .

ـ إن الغابات تملأ أرض الكوكب .

ـ لم تكن تبدو كذلك من فوق .

ـ لابد أننا نهبط نحو منطقة كثيفة الغابات .

ـ لا أكاد أرى أثرا لبشر .

ـ غيرمعقول أن يبدو لنا من هذا البعد .

ـ وأشعر أن السكون يسود الكوكب .. أين الضجة والصراخ التى كنا نسمعها من فوق ؟

ـ اصبر .. إننا مازلنا بعيدين .

ـ إننا نقترب ..

ـ يخيل إليك .

ـ إن تفاصيل الأرض تبدو واضحة .

ـ هذا خداع بصر..

ـ بل إن الأشجار قد بدأت تتضح .. بفروعها وجذوعها .

ـ ولكن لاشىء يبدو سواها .

ـ والسكون يسود .

ـ إلا صوت الريح تسرى فى الأغصان .. وصوت الأمواج تلطم الشاطىء ..

ـ أنصت جيدا .. فلعلك تسمع ضجة آدمية .

ـ أبدا .. لافرقعة .. ولادوى .. ولا صراخ .. ولاهتاف .. ولاحتى همهمة أو لغط .

ـ لعلنا هبطنا فى منطقة غير آهلة بالبشر .

ـ جائز ..

ـ خذ حذرك .. إننا نقترب .

ـ أرض الكوكب تبدو بكل تفاصيلها .. إنى أكاد أرى .. الفروع

والورق والزهور.

ـ عجيبة ..

ـ ماذا ؟

ـ هذا المنظر ليس غريبا على .

ـ لعلك قد سبق لك الهبوط هنا .

ـ لا .. لا.. إنى أتكلم جادا .. أكاد أجزم أنى سبق أن رأيت هذا المنظر .

ـ إى والله معك حق .

ـ ولكن أين .. أين ؟

ـ تذكرت .. إنه هو بعينه .

ـ ماذا تقصد ؟

ـ نفس المنظر الذى رأيته هناك .

ـ أين ؟

ـ فى السفينة .

ـ أجل .. أجل .. تذكرت .. أول منظر رأيناه فى الكوكب على اللوحة ..

ـ ولكنه تغير بعد ذلك .

ـ طبعا .. تحرك معظم مافيه من شجر .

ـ ونبت له أذرع وسيقان وانطلق فى الأرض يأكل ويتكاثر ويتصارع .. ويعبث فيها فسادا.. ويملؤها ضجيجا وصراخا .

ـ ولكن ماذا حدث ؟

ـ لعلنا هبطنا فى منطقة مشابهة .. مازالت على بدائيتها .. لم يتحرك ما فيها من شجر.

ـ جائز .. على أية حال من المصلحة أن نهبط فى هذا الجانب الخالى من البشر حتى نتدبر أمرنا ونستقر ثم نتوجه إلى الرعية .

ـ احذر إننا نقترب .

ـ أوشكنا على الهبوط .

ـ ألايبدو منظرالشجرغريبا ؟

ـ كيف ؟

ـ فروعه كأنها تتحرك .

ـ ربما من النسيم .

ـ لا .. لا .. إنها تتحرك كالأذرع .

ـ أنت واهم .. مازلت تحت تأثيرأنها تحولت إلى بشر .

ـ والبراعم كأنها عيون تحدق فينا بذهول .

ـ احذر حتى لاتسقط على إحداها فتتعلق فى أغصانها .

ـ إنى أحاول تجنبها ..

ـ هناك منطقة خالية دعنا نتجه إليها ..

ـ أجل .. هناك .

ـ احذر هذه الشجرة الشائكة .

ـ لا يبدو هناك أثر لبشر.. ولامخلوق واحد .

ـ أكاد أحس بمخلوقات كثيرة تحتشد أسفلنا .

ـ أين .. تحت الشجر؟..

ـ بل فى داخله .. إنها هى الشجرنفسه .

ـ عدت لوهمك الذى يسيطرعليك .

ـ إننا نقترب .. إنها تنظر إلى .

ـ من هى ؟

ـ هذه الشجرة .. وتلك .. تحدق فى .. كأنها توشك أن تقول شيئا .

ـ كف عن الأوهام فإننا لا ننوى التعامل مع الشجر .. وليس فى مقدورنا أن نحولها إلى بشر .. فلنهبط إلى الأرض ونبحث عن الرعية .. حتى نمارس فيها السلطان .

وأخيرا .. هبط الاثنان .. وسط الأشجار المكدسة .

ومست أقدامهما الأرض .. وثبتت فيها .. كأن شيئا قد ألصقها بها .

وهتف عبد المهيمن :

ـ لاأستطيع أن أحرك قدمي .

ـ ولا أنا .

ـ كأن بالأرض مادة لاصقة .

ـ أو بها مغناطيسا .

ـ كيف سنخلص أقدامنا .. إننا لانستطيع الحراك .

ـ اجذب قدمك بشدة .

ـ لاأستطيع .

ـ ولا أنا .

ـ لنخلع البذلة .

ـ أخشى أن يكون الجو غيرملائم ..

ـ لنجرب فغير معقول أن نظل هكذا ملتصقين بالأرض .

وقبل أن يهم كل منهما بالخروج من البذلة .. هتف عبد القادر :

ـ انظر ..

ـ ماذا ؟

ـ إن أصابع يدي تنمو وتخترق القفاز

ـ وأنا أيضا .

ـ إنها تتفرع .

ـ وتتشعب .

ـ وأصابع قدمي قد امتدت من الحذاء واخترقت الأرض .

ـ وخرجت منها شعب وشعيرات تمتد في باطن الأرض .

ـ إذن هذا هو سر التصاقنا بالأرض .

ـ لابد أن يكون كذلك .

ـ إن شعري قد استطال وامتد ..

ـ إنه يورق .

ـ وأنت كذلك .. إن منظرك يبدو كالشجرة .. عيناك تتحولان إلى برعم .

ـ وجسدك يتحول إلى جذع ممدود .

ـ إنها كارثة .. لقد تحولنا إلى شجر.

ـ أمعقول هذا ؟

ـ ولم لا .. ألم يتحول الشجر إلى بشر ؟

ـ أجل .

ـ لابد أن تكون قد حدثت الآن عملية مضادة ..

ـ ماذا تقصد ؟

ـ أقصد أن البشرقد أضحى شجرا .

ـ كيف ؟

ـ كما تحول الشجر إلى بشر .

ـ ولكن من فعل هذا ؟

ـ ليس هناك سواهم .

ـ تقصد الجماعة هناك ؟..

ـ ولم لا ؟..

ـ وما الذي يدفعهم إلى هذا ؟

ـ الخلاص من المسئولية .. وإراحة ضميرهم قبل أن يموتوا .

ـ إذن لقد فعلها عبد الخبير .. الله لا يكسبه ولا يربحه لقد زرعنا في الأرض ...

ـ إنه بلا شك لم يقصدنا .

ـ ولكننا أدخلنا في العملية .

ـ لم يدر بخلده قط .. إننا سنتحول مع الرعية إلى شجر .

ـ إنها عملية إجرام .

ـ إجرام لماذا ؟

ـ لأنه قضى علينا كبشر .

ـ إنها شيء مروع فعلا .. أن يمسخط الإنسان إلى شجرة .. لكن بيني وبينك .. ماذا يضايقك ؟

ـ يضايقني .. يضايقني .. أني لاأستطيع أن أتحرك .

ـ ولماذا تريد أن تتحرك ؟

ـ لأقضى حوائجي .. لا أستطيع أن أبقى هكذا فى موضعي كالتنبل .

ـ وما هى حوائجك .. الطعام ؟

ـ مثلا .

ـ جذورك تضرب فى الأرض لتأخذ ما تحتاج وأنت رابض فى محلك .. المطر يسقط .. والنسيم يهب .. وأنت تأكل وتشرب وتتنفس .. ماذا تريد أكثرمن ذلك .. بلا حركة .. يأتى لك كل شىء على الجاهز .

ـ أتظن حياتنا كلها أكل وشرب ؟

ـ وتكاثر ؟ !!

ـ يعنى ؟!

ـ غدا يزهر رأسك .. أعنى فروعك وأوراقك .. وتخرج منها حبوب اللقاح .. فتحملها الريح عنك لأقرب أنثى .. وأنت مستريح فى مكانك ..

ـ أجل .. أجل .. بلا جرى وراء الإناث . ولامطاردة .. ولا غزل .. ولاصرف .. ولاجهد .. تخرج منا حبوب اللقاح ..

ـ لتحملها الريح إلى أول أنثى .. لتتلقاها .. بلا تدلل ولاتمنع ..

ـ وتحمل وتلد .. أعنى تثمر وترمى بذورها .

ـ لتخرج أولادك من الأرض .. دون أن تحمل مسئولية تربيتهم .. لامدارس .. ولادروس خصوصية .. ولا مجموع . ولاتنسيق .. ولاتخرج فى الجامعة .. ولامتاعب توظيف .. ولا مشاكل زواج .. لا شىء من هذا كله..

ـ أجل .. أجل .. لن نحمل مسئولية أي شيء .. ليس علينا سوى أن نرابط مكاننا .. وننطلق جذورنا تمتص الغذاء وأوراقنا تشم النسيم وحبوب لقاحنا تتهادى لأقرب أنثى .

ـ بلا منافسة .. ولا غيرة ولاحسد ولا حقد .. ولاوشاية .. ولانميمة . ولاخداع .. ولاغش ..

ـ ولا أي من هذه المتاعب المزعجة .. التى تجعل الحياة لاتستحق أن نعيشها .

ـ ولا أمراض .. ولامتاعب .

ـ لاقرحة .. ولا ذبحة .. ولاجلطة .. ولاسرطان .

ـ بل لانزلة معوية ولاصداع .. ولابرد .. ولا زكام .

ـ هل تعتقد أن حياتنا ستكون بهذه السهولة ؟

ـ طبعا.. أي شيء يمكن أن يجلب لنا المتاعب . إننا لانطمع في شهرة.

ـ ولانأمل في مجد .. ولاسلطان ..

ـ إننا سنريح ونستريح .. لا مطمع لنا في زعامة .. نقود بها الغير .. ونسودهم .. لا رجاء لنا في إعجاب .. ولاتصفيق .. ولا هتاف ..

ـ أجل .. سنظل دائما .. حيث نحن .. سنورق .. في موعدنا رغم كل شيء .. ونزهر رغم كل شيء .. ولن تستطيع أية قوة أو طموح أو ذكاء .. أن تجعلنا نفعل أكثرمن هذا .

ـ استرحنا أخيرا .

ـ أنعم الله علينا بنعم الاكتفاء .. والاستغناء .

ـ هل تظن الحياة ستظل هكذا ؟

ـ ولم لا ؟

ـ اسمع .. ألاتشعر بشيء تحت قدميك .. أعنى تحت جذورك .

ـ مثل ماذا ؟

ـ أنا أشعر كأن جذوري ترتطم بالصخر .. إن الطريق إلى الغذاء ليس

معبدا كما تتصور .. إن علينا أن نحفر طريقنا فى الصخر.

ـ وأنا أشعر بشىء يتسلق على جذعى .

ـ إنه نبات طفيلى ..

ـ غيرمعقول أن أجهد جذورى فى شق الصخور.. وامتص التربة وأحولها إلى غذاء . يأخذه هو من فروعى على الجاهز .

ـ حتى هنا لا تخلو الحياة من التسلق والتطفل والانتهازية .

ـ إنى أحس على أوراقى شيئا يلسعنى .

ـ لعلها حشرة أو إصابة بندوة أو لطعة .

ـ بدأنا مشكلة الأمراض والمتاعب .

ـ وأحس بالريح تشتد .. إن عاصفة توشك أن تهب .

ـ ثبت جذورك فى الأرض جيدا .. وإلا اقتلعتنا .

ـ الحياة لاتبدو مريحة كما تصورنا .

ـ لاأظن هناك حياة بلاصراع ..

ـ أجل .. الشىء الوحيد الذى لايحتاج إلى صراع .. هو الموت .

ـ على أية حال يجب أن نقاوم .. إنه مصيرنا المحتم .. لقد زرعنا فى الأرض .. وعلينا أن نكافح فى سبيل البقاء .. وأن نزهر .. ونثمر .. وننشر ذريتنا فى الكوكب .. ومن يدرى .. قد يحولنا أحد إلى بشر مرة أخرى .

ـ لا .. لا .. هكذا أفضل كثيرا .. لقد كفرنا بحياة البشر .. دعنا نستريح فى آخر عمرنا .

واستقر عبد المهيمن وعبد القادر فى أرض الكوكب .. شجرتين بين الأشجار المتكاثفة .. تتلقى أوراقهما النسيم وقطرات الندى والمطر وتضرب جذورهما فى الأرض . تنتزع الغذاء من الصخر..

لم تكن حياة سهلة كما تصوراها .. ولكن كان عليهما أن يعيشا .. وأن يقاوما من أجل البقاء والنمو والتكاثر . بكل مايملكان من قدرة .. وأن

يخوضا من أجلها صراعا مع كل العناصر المضادة للحياة .

***

وفي السفينة كانت الجماعة ترقب هبوطهما .. إلى الأرض .. وتحولهما إلى شجر .. وبدا عليهم الجزع وهم يرقبون المنظر العجيب .

وقال عبد الراضي وهو يضرب كفا بكف :

ـ عليهما العوض .. زرعا في الأرض زرع بصل .

وقالت شهيرة وهي تشير إلى اللوحة مشدوهة :

ـ لقد أورقا .

وقال عبد اللطيف مأخوذا :

ـ وأزهرا .

وقال عبد الخبير :

ـ لا أظن هناك وسيلة لإعادتهما كما كانا .. إلاإذا حولنا الرعية كلها إلى بشر ..

وصمت برهة ثم وجه السؤال إلى الجماعة :

ـ ما رأيكم .. هل نعيد الرعية كما كانت ؟

وتمتم عبد اللطيف :

ـ لتغرقها في المشاكل والصراع ؟ !! غيرمعقول .

وتساءل عبد الراضي :

ـ ولكن لماذا نعيدها ؟

ورد عبد الخبير :

ـ من أجل الاثنين .

وقال عبد الراضي :

ـ ولكن من أدراكم أنهما غير مستريحين هكذا ؟.

وتساءلت شهيرة :

ـ أتظنهما سعيدين بصلبتهما هذه على ظهر الأرض .. لايملكان

حراكا ؟.

ورد عبد الراضى على الفور:

ـ طبعا سعيدين .. لو مكانهما .. لرفضت التحول إلى بشر.. ماذا يريدان خيرا من هنا .. على رأى المثل .. أكل ومرعى وقلة صنعة ..

وقال عبد الخبير:

ـ ثم من غيرالمعقول أن نضحى بالرعية كلها من أجلهما .. ونعيدها إلى الصراع الذى كاد يوشك أن يلقى بها إلى الدمار.. وإلى حالة القرف والضيق واليأس :

وقال عبد اللطيف :

ـ أجل .. من الإجرام أن نثير فى الكوكب الفتنة البشرية مرة أخرى .. ثم إن عبد المهيمن وعبد القادر .. مازالا حيين .. يأكلان ويشربان ويتنفسان ..

وقال عبد الراضى :

ـ ويتكاثران .

وأردف عبد اللطيف :

ـ بغير جهد أو مشقة .

وقالت شهيرة :

ـ وهما يستطيعان .. أن يمارسا عملية التحكم والسلطان فيما حولهما من شجر .

وتساءل عبد الراضى :

ـ كيف ؟

وردت شهيرة :

ـ لن يعدما طريقة يلمان بها بعض الشجيرات تحت فروعهما ويتحكمان فى غذائها .. وهوائها .

وقال عبد الخبير :

ـ لاتخشوا عليهما .. إنهما سيعرفان كيف يديران أمرهما .

وصمت برهة ثم قال :

ـ المهم الآن .. هوأن نبدأ رحلتنا إلى الأرض .

وهتف الجميع في حماس :

ـ أجل .. هيا بنا .. إلى الأرض .

وتمتم عبد اللطيف قائلا :

ـ نعود إلى الأرض ! بأى شيء ؟.

وتمتمت شهيرة :

ـ نعود بتجربتنا .

ـ ماذا تسوى هذه التجربة ؟.

وتساءل عبد الخبير وهو يفكر :

ـ أجل .. ماذا تسوى !! ماذا تعلمنا منها ؟..

وقال عبد اللطيف :

ـ إننا لسنا وحدنا .. في كون متعدد الجوانب .. والعناصر .. والمركبات .. إنما الله الأحد .. في كون مركب معقد .. نحن لانشكل فيه إلا قطرة في بحر.. ونحن مسئولون عن أرضنا .. عن حياتنا .. بقوة مركباتنا .. الذهنية والنفسية والبدنية .. مسئولون عن تشكيل حياتنا .. وحدة بشرية بحيث تمنحنا الأفضل دائما .

وقال عبد الراضى مؤكدا :

ـ يجب أن نعود إلى الأرض لعلنا نستطيع أن نفعل شيئا .. أى شيء .. من أجل ملايين التعساء الذين يقاسون من الجوع والمرض .. والخوف .. على ظهر الأرض .. في وقت نجح فيه الإنسان في الانطلاق إلى الفضاء والوصول إلى القمر .

وردت شهيرة قائلة :

ـ أجل .. يجب أن نفيد من تجربتنا لإنقاذ الإنسان من حياة .. بائسة

.. لايعرف كيف يستمتع فيها بخيرات أرضه ونتاج ذهنه .. فيقضيها ـ على قصرها ـ إما فى حرب أو فى انتظارحرب .

وقال بعد اللطيف :

ـ إذا كان حتما علينا أن نعيش بمركباتنا البشرية من أجل بقاء الحياة ونموها وتطورها .. فيجب علينا أن نجعل من حياتنا قيمة للبشرية ذاتها .. وأن نجعل من الحياة شيئا يستحق أن يحياه الإنسان .. وعلى الأقل يمكن أن يحتمل .. يجب علينا أن نصلح الخلل فى تركيب الذهن البشرى .. إنه يعرف كيف يعمل من أجل ذاته .. ولكنه يجهل كيف يتعامل مع الغير .. إنه ممتاز فى العمل الفردي .. ولكنه قد عجز عن أن يكون وحدة فى كل .. لقد فشل نهائيا فى تحقيق التآلف .. الذى يمكن أن يضع جهده وتقدمه ومنجزاته .. فى عمل موحد من أجل خيرالبشر .

وقال عبد الخبير:

ـ أجل .. إن الذهن البشري وهو أمضى أسلحة الكون قد عجز تماما عن تحقيق الانتصار الحقيقى للبشرية على أعدائها .. إنه سلاح ذو حدين .. حد يوجهه الإنسان ليحقق التقدم والرفاهية ولصراع التحديات التى تواجه البشرية من بقية عناصر الكون .. وحد يوجهه لذاته .. لعنصره البشرى .. فيقضى به على ما حققه من مزايا .. ويترك جنسه جزعا قلقا .. حائرا .

ورد عبد اللطيف :

ـ أجل .. التناقض الحتمى فى مركبات النفس البشرية .. قد يكون سبب الصراع الضرورى لتطور الحياة .. ولكن خلل الذهن البشرى .. وعجزه عن أن يجعل من جهود البشرية .. تروسا منتظمة متناسقة فى حركة واحدة فى آلة التقدم البشرى .. قد أضاع قيمة هذه الجهود .. وأضاع الأمل فى التقدم والتطور الذى يمكن أن يحقق الخير للبشرية .. ويقضى على كل ماتعانيه من هزائم أمام أعدائها الحقيقيين .. وعجزها فى مواجهة الجوع والمرض والخوف .. ووقف هذا الصراع المجنون الذى يهدد بدمارها .

وتساءل عبد الراضى :

ـ ترى هل هناك أمل .. فى قدرة الذهن البشرى على الخلاص مما به من خلل ؟

وأجاب عبد اللطيف :

ـ لم لانحاول . ما دام الذهن البشرى لم يعطل .. ومادمنا قادرين على التفكير.. فإن الأمل .. لم ينقطع .

وغمغم عبد الخبير :

ـ العناصر المضادة للبشرية ليست هينة .. ويجب أن نواجهها .. كوحدة .. إن الجراثيم والأوبئة والزلازل .. والسيول .. والجوع وكل وسائل التدمير الكبرى التى تواجه البشر فى الأرض .. يجب أن يتكاتف البشر لمواجهتها .. وأن تسأل البشرية كوحدة .. عن كل فرد فى كل مكان .. عندما يموت إنسان جوعا فى الهند .. يجب أن يسأل عنه .. الإنسان فى أمريكا وفى روسيا .. عندما تفتك الزلازل بالبشر فى تركيا .. يجب أن يواجهها البشر فى كل مكان .. يجب أن تتحمل البشرية كلها مسئولية كل فرد فيها .

وقال عبد اللطيف :

ـ ويجب أن يتحمل كل فرد مسئولية البشرية كلها .. يجب أن يكون طموح الفرد .. طموحا من أجل تقدم الجماعة .. وخيرالجماعة .. الطموح والتميز والرغبة فى السبق .. أمرمحتوم للتقدم .. ولكن يجب أن يكون فى نطاق الجماعة .. يجب أن يتميز الفرد .. بما يؤديه من خير للجماعة .. من حق الفرد أن يبرز وأن يسبق .. ولكن لحساب فائدة الجماعة .. فإذا أضر تميزه بالجماعة .. فيجب أن يوقف تميزه .. وأن يردع .. والجماعة أيضا يمكن أن تتميز ولكن لحساب المجموع .. إذا حققت تميزا لنفسها فيجب أن يكون فى نطاق فائدة الآخرين .. وليس على حسابهم .

وقالت شهيرة :

ـ يجب أن يكون التعامل بين الفرد والمجموع على أساس الثقة والحب .. أن يؤمن المجموع حياة الفرد وأمنه وكرامته .. وأن يمنح الفرد جهده للمجموع ورخائه ورفاهيته .

وقال عبد الراضى :

ـ إننا لم نعدم الأمل فى الأرض .. الناس ما زالوا طيبين .. على كل مافيهم من أنانية ..ومكر .. وحقد .. ينضوى فى نفوسهم خيط من التضحية .. وإنكارالذات والمودة .. والحنان .. فى نطاق الأسرة .. يكمن الإحساس بالتضحية .. وفى نطاق الوطن يكمن الإحساس بالفداء .. إن نفوس الناس لم تعد أرضا قاسية صماء .. لاينبت فيها الخير .. إن بها قابلية خصبة لإنبات الحب .. والخير.. ألا يمنحنا هذا أملا ؟

وقال عبد اللطيف :

ـ رغم كل شيء .. الأمل يجب أن يستمر موجودا .. أجمل فى الأشياء الطيبة التى منحنا الله إياها .. ولم يحجبها عنا.. أويقبض يده بها .. الحياة نفسها .. الحبة التى تنبت .. والنطفة التى تنمو . والجمال فى الحياة .. الزهور التى تتفتح .. مشرق الشمس ومغربها .. زرقة البحر.. وخضرة السهول .. وبياض الجليد .. دفء الشمس فى البرد .. ورطوبة النسمة فى الحر.. مال الإنسان .. ولطفه .. ورقته .. وخفته .. كل هذا لم يحجبه الله عنها .. ومشاعر الود والمحبة .. وروابط الحب تشد الإنسان إلى الإنسان .. تشد الأب بابنه والأم بوليدها .. لم تدمرالكراهية والأحقاد بعد .. كل الأشياء الطيبة على الأرض . ومازال الأمل المرجو منها كبيرا .

وقال عبد الخبير:

ـ والأمل فى الذهن البشرى .. بكل مايتفتق عنه .. من مبتكرات ومخترعات واكتشافات تهيىء للبشرية سبل الرخاء والرفاهية .

الأمل فى القدرة الخارقة لذهن الإنسان .. تستنبط من الأرض والسماء إمكانيات هائلة للرخاء .. قدرة تسيطر على الطاقة الهيدروجينية المبددة

التى تحوى ملايين الوحدات الحرارية . والتى تستخرج من أرخص الخامات وأكثرها توافرا فى الحياة .. قدرة تستغل كل المساحات الهائلة التى لم تزرع فى الأرض من مناطق تتوافر فيها المياة .. من غابات وسهول .. قدرة تحول مياه البحر إلى مياه حلوة تروى المساحات الهائلة من الصحارى وتنقب فى أعماق البحار عن ثروات مجهولة هائلة .. قدرة تستخرج غذاء الإنسان من بروتينات ومواد سكرية من المياه .. ومن ثانى أكسيد الكربون .. دون أن تتوقف حياته على النباتات الخضراء وعلى لحوم الأحياء .. قدرة تستغل كل إمكانيات الانطلاق فى الفضاء .. وكل الموارد الهائلة للقمر وللكواكب والأجرام السماوية .. وتطور وسائل الاتصال بينها وبين الأرض .. بحيث يصبح نقلها ممكنا ومثمرا.. من أجل صالح البشرية كلها .. ومن أجل رخاء الإنسان الذى يجب أن تتوحد جهوده .. من أجل رفاهيته وسلامته .. بدل أن تتبدد فى الصراع الأحمق الذى يشتت قواه .. ويدمر طاقته .. الأمل فى أن نكف عن شهوة السيطرة والسلطان والاستعباد .. وأن نركز جهودنا فى استنباط الخيرللجميع .. وهو بفضل الذهن البشرى .. والإمكانيات الكونية .. يفوق حاجة البشرية كلها .. بحيث لايعود هناك مبرر للنزاع عليه والاستئثار به .

وقال عبد الراضى :

ـ الأمل فى أشياء كثيرة .. أكبرها .. أن الله موجود .. وأنه لم يتخل .. ولن يتخلى عنا... على كل ما نفعل من هنات وخطايا ليس أقلها السهو عن وجوده .. والتنكر له .. الأمل فى رحمته ومغفرته .

وقال عبد اللطيف :

ـ الأمل فى أن يهتدى الإنسان وأن يستمتع بالحياة ويمتع بها غيره وألا يقيم سعادته على شقاء الغير ولايبنى مجده على عذاب الآخرين .

وقال عبد الخبير :

ـ الأمل فى أن نحل المعادلة الصعبة الكامنة داخل الإنسان والتى

يشكلها حب ذاته .. وقدرته على التضحية من أجل الغير.. وأن يصبح تميز، لحساب الجماعة وليس على حسابها .

وانطلقت السفينة نحو الأرض .. تحمل بضعة من البشر .. مجرد بشر.. مازال أصحابها .. رغم كل شىء يملأ نفوسهم أمل فى البشرية بكل ماتملكه من إيمان بالله .. وإحساس بالحب .. ورغبة فى الخير .. وثقة فى العلم .

(تمت)

فهرست

المــؤلف

اطيــاف	(قصص قصيرة	١٩٤٧)
نائب عزرائيل	(رواية	١٩٤٧)
اثنتا عشرة امراة	(قصص قصيرة	١٩٤٨)
خبايا الصدور	(قصص قصيرة	١٩٤٨)
يا امة ضـحكت	(قصص قصيرة	١٩٤٨)
اثنــا عشر رجلا	(قصص قصيرة	١٩٤٩)
ارض النفاق	(رواية	١٩٤٩)
فى موكب الهوى	(قصص قصيرة	١٩٤٩)
من العالم المجهول	(قصص قصيرة	١٩٤٩)
هذه النفوس	(قصص قصيرة	١٩٥٠)
انى راحـلة	(رواية	١٩٥٠)
مبكى العشاق	(قصص قصيرة	١٩٥٠)
بين ابو الريش وجنينة ناميــش	(قصص قصيرة	١٩٥٠)
اغنيــات	(قصص قصيرة	١٩٥١)
ام رتيبة	(مسرحية	١٩٥١)
هذا هو الحب	(قصص قصيرة	١٩٥١)
صور طبق الأصل	(قصص قصيرة	١٩٥١)
بين الأطــلال	(رواية	١٩٥٢)
الســقا مات	(رواية	١٩٥٢)
سمار الليالى	(قصص قصيرة	١٩٥٢)
الشيخ زعرب	(قصص قصيرة	١٩٥٢)
نفحة من الايمان	(قصص قصيرة	١٩٥٢)
وراء الستار	(مسرحية	١٩٥٢)
ست نساء وستة رجال	(قصص قصيرة	١٩٥٣)
هذه الحيــاة	(قصص قصيرة	١٩٥٣)

البحث عن جسد	(رواية ١٩٥٣)
جمعية قتل الزوجات	(مسرحية ١٩٥٣)
فديتك يا ليلى	(رواية ١٩٥٣)
ليلة خمر	(قصص قصيرة ١٩٥٣)
همسة غابرة	(قصص قصيرة ١٩٥٣)
رد قلبى	(رواية فى جزأين ١٩٥٤)
ليال ودموع	(قصص قصيرة ١٩٥٥)
طريق العودة	(رواية ١٩٥٦)
أيام تمر	(مقالات ١٩٥٧)
من حياتى	(مقالات ١٩٥٨)
لطمات ولثمات	(مقالات ١٩٥٩)
نادية	(رواية فى جزأين ١٩٦٠)
جفت الدموع	(رواية فى جزأين ١٩٦١)
أيام مشرقة	(مقالات ١٩٦١)
أيام وذكريات	(مقالات ١٩٦١)
أيام من عمرى	(مقالات ١٩٦٢)
ليل له آخر	(رواية فى جزأين ١٩٦٤)
أقوى من الزمن	(مسرحية ١٩٦٦)
نحن لا نزرع الشوك	(رواية فى جزأين ١٩٦٩)
لست وحدك	(رواية ١٩٧٠)
من وراء الغيم	(مقالات ١٩٧٠)
أيام عبد الناصر	(مقالات ١٩٧١)
ابتسامة على شفتيه	(رواية ١٩٧١)
طائر بين المحيطين	(رحلات ١٩٧١)
العمر لحظة	(قصة ١٩٧٣)

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

To: www.al-mostafa.com

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

رقم الايداع ٨٦/٧٤١٨
الترقيم الدولى ٠ — ٠٢٦٨ — ١١ — ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

Bibliotheca Alexandrina
0294501

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

الثمن ٩ جنيهات

To: www.al-mostafa.com